

# مَجَاهِدُ الْبُصَيْرِ عَلَى شَأْنِ هَذَا الْخِصِّ

تَأَلَّفَ

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي  
التوفي في عام ٩٦٣ من الهجرة

حقته ، وعلق حواشيه ، ومنع فهارسه

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ

مفتش العلوم الدينية والعربية  
بجامعة الأزهر والمجمع العلمي

لِلْبَيْعِ الثَّانِي

عالم الكتب - بيروت

# مَكْتَبَةُ الدُّعَا وَالدُّعَا



تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط، وبإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م

---

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر  
لصاحبها

مصطفى محمد

---

جميع حق الطبع محفوظ

# مكتبة الدكتور وزير العطية

شواهد الفن الثاني ، وهو علم البيان



٧٣ — وَكَأَنَّ مُحْمَرَّ الشَّقِيْقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَعْلَامُ يَاقُوتٍ نُشِرَ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرَجَدَ

شاهد التشبيه  
الحالي

البيتان من الكامل المجزوء المرفل ، ولم أقف على اسم قائلهما ، ورأيت  
بعض أهل العصر نسبهما في مصنف له إلى الصنوبري الشاعر .  
والشقيق: أراد به شقائق النعمان ، وهو النور المعروف ، ويطلق على الواحد  
والجمع ، وسمي بذلك لحرته تشبيها بشقيقة البرق ، وأضيف إلى النعمان بن المنذر  
— وهو آخر ملوك الحيرة — لأنه خرج إلى ظهر الحيرة وقد اعتم نبتة ما بين  
أصفر وأحمر وأخضر ، وإذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير ، قال : ما أحسنها !  
أحسوها ، فكان أول من حماها ، فنسبت إليه .

وكن أبو العَمَيْثَل يقول : النعمان اسم من أسماء الدم ، ولذلك قيل شقائق  
النعمان نسبت إلى الدم لحررتها . قال : وقولهم « إنها منسوبة إلى النعمان بن  
المنذر » ليس بشيء . قال : وحدثت الأصمعي بهذا فقله عني ، انتهى . والذي  
قمناه هو الذي ذكره أرباب اللغة .

والشاهد فيهما : التشبيه الخيالي ، وهو المعلوم الذي فرض مجتمعا من أمور  
كل واحد منها مما يدرك بالحس ، فإن الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح  
الزبرجدية مما لا يدركه الحس ، إنما يدرك ما هو موجود في المادة حاضر عند  
الدرك على هيآت محسوسة مخصوصة ، لكن مادته التي تركيب منها كالأعلام  
والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر .

وقريب من هذا النوع قول بعضهم [ من المقتضب ] :

كَلْنَا بِاسِطِ الْيَدِ نَحْوَ نِيلَوْفَرَنْدِي

كَدَبَائِسٍ عَسَجِدٍ قُضِبُهَا مِنْ زَبَرَجَدٍ

ومثله قول أبي الغنيم الحمصي [ من مجزوء الكامل ] :

خودٌ كأنَّ بناتها في خُضرةِ النقشِ المَزْرَدِ  
مَمَكٌ من البلورِ في شَبَكِ تَكُونُ من زبرجد

وقد تفتن الشعراء في وصف الشقائق : فما ورد من ذلك قول ابن الرومي أو  
الأخطل الأهوازي [ من البسيط ] :

هذه الشقائقُ قد أَبْصَرَتْ حُمْرَها مع السواد على قُضبانها الذُّبُلِ  
كأنها أدمعٌ قد غسَلَتْ كُحْلاً جادت بها وقعة في وَجْنتي حَبْلِ  
وقول سيدوك الواسطي [ من مجزوء الكامل ] :

انظر إلى مُقَلِّ العقيقِ تَضَمَّنَتْ حَقِ السَّبَجِ  
من فوق ظلماتٍ حَسُنَ وما سَمَجَنَ من العُوجِ  
وقول الخباز البلدي من أبيات [ من الوافر ] :

إلى الروض الذي قد أَضْحَكْتُهُ شَائِبُ السَّحَابِ بالبكاءِ  
كأن شقائق النعمانِ فيه ثيابٌ قد رَوَيْنَ من النماءِ  
وقول ولد القاضي عياض رحمهما الله تعالى [ من السريع ] :

انظر إلى الزَّرْعِ وخاماته تحكى وقد وَّاتَ أمامَ الرياحِ  
كَنِيَّةَ خُضراءِ مَهْزُومَةٍ شقائق النعمانِ فيها جِراحِ  
وقول الخالدي أيضاً [ من الوافر ] :

وصبغ شقائق النعمانِ يحكى بواقيناً نَظْمَنَ على اقترانِ  
وأحياناً تُشَبِّهُها خَدُوداً كساهَا الرَّاحُ ثوباً أَرْجُوَانِي  
شقائق مثلُ أقداحِ مِلاءِ وخَشْخَاشُ كَفَارِغَةِ القَنَائِي  
ولما غَارَ لَتْنَا الرِّيحَ خِلْنَا بها جَيْشِي وَغَى يَتَقَاتِلَانِ  
وقول الصنوبري [ من الوافر ] :

وجوه شقائق تبندو وتحنى      على قُضْبٍ تَمِيسُ بَيْنَ ضَعْفَا  
تراها كالْعَذَارَى مُسْبِلَاتٍ      عليها مِنْ حَمِيمِ الشَّعْرِ سَجْفَا  
إذا طَلَعْتَ أَرْتَكَ الشَّرْحَ تَذَكَّى      وإنْ غَرَبْتَ أَرْتَكَ السَّرْحَ تَطْفَأُ  
تَخَالُ إِذَا هِيَ اعْتَدَلَتْ قَوَامًا      زُجَاجَاتٍ مِلْنِ الرَّاحِ صِرْفَا  
تَنَازَعَتْ الْخُدُودَ الْحُمْرَ حُسْنًا      فما قَدْ أَخْطَأْتُ مِنْهُنَّ وَصْفَا  
وقول ابن الدويدة [من المتقارب] :

كَأَنَّ الشَّقَائِقَ وَالْأَفْحُوَانَ      خُدُودَ تَقْبِلُنَّ الثُّغُورَ  
فَهَاتِيكَ أَخْجَلُنَّ الْحِيَاءَ      وَهَاتِيكَ أَضْحَكُنَّ الشُّرُورَ  
وقول أبي الحسن بن وكيعة من أرجوزة [من الرجز] :

يَضْحَكُ فِيهَا زَهْرُ الشَّقِيقِ      كَأَنَّهُ مَدَاهِنُ الْعَقِيقِ  
مُضْمِنَاتٍ قِطْعًا مِنَ السَّبَجِ      فَأَشْرَقَتْ بَيْنَ احْمِرَارٍ وَدَعَجِ  
كَأَنَّمَا الْحُمْرُ فِي الْمَسْوَدِ      مِنْهُ إِذَا لَاحَ عَيُونُ الرُّمَدِ

وقول أبي الفضل الميكالى [من الطويل] :

تَصَوَّغُ لَنَا أَيْدَى الرَّبِيعِ حَدَائِقًا      كَعَتِدَ عَقِيقٍ بَيْنَ سَمَطٍ لَّالٍ  
وَفِيهِنَّ أَنْوَارُ الشَّقَائِقِ قَدْ حَكَّتْ      خُدُودَ عَذَارَى تُقَطُّتُ بَغْوَالِي

وقول الخبز أَرْزَى أَيْضًا [من المنسرح] :

وَرَوْضَةٍ رَاضَهَا النَّدى فَقَدَتْ      لَهَا مِنَ الزَّهْرِ أَتْجَمُ زَهْرُ  
تَتَشَرُّ فِيهَا أَبْدَى الرَّبِيعِ لَنَا      ثَوْبًا مِنَ الْوَشْيِ حَاكِهِ الْقَطْرِ  
كَأَنَّمَا شَقِيٌّ مِنْ شَقَائِقِهَا      عَلَى رُبَاهَا مَطَارِفُ خُضْرُ  
ثُمَّ تَبَدَّتْ كَأَنَّمَا حَدَقُ      أَجْفَانِهَا مِنْ دِمَائِهَا حُمْرُ

٧٤ — \* وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ \*

هو من الطويل ، صدره :

\* أَيْقَمْتُ لِلْمَشْرِفِ مُضَاجِعِي \*

وقائله امرؤ القيس الكندي ، من قصيدة (١) أولها :

وَهَلْ يَعْنِي مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي	أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الظَّلُّ الْبَالِي
قَلِيلُ هُمُومٍ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ (٢)	وَهَلْ يَعْنِي إِلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ
ثَلَاثِينَ شَهْرًا أَوْ ثَلَاثَةَ أَحْوَالِ (٣)	وَهَلْ يَعْنِي مَنْ كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ
أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمٍ هَطَالٍ	دِيَارٌ لَسَلِمَى عَافِيَاتٌ يَذِي الْخَالِ
يُوَادِي الْخَزَامَى أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَالٍ	وَتَحْسَبُ سَلَمَى لَا تَزَالُ كَهْدَنَا
كَبُرَتْ وَأَنْ لَا يَشْهَدَ اللَّهُ أَمْثَالِي (٤)	أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنِّي
بِأَنْسَةِ كَأَنَّهَا خَطٌّ تَمَّالٍ	بَلَى رَبِّ يَوْمٍ قَدْ هَوَتْ وَلِيلَةٌ
كَمَصْبَاحِ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلِ ذَبَالٍ	يُضِيءُ الْفِرَاشَ وَجْهَهَا لَضْجِيعَهَا
تَمِيلُ عَلَيْهِ هَوْنَةً غَيْرَ مَعْتَالٍ (٥)	إِذَا مَا الضَّجِيعُ ابْتَزَّهَا مِنْ ثِيَابِهَا
لَمَّا احْتَسَبَا مِنْ لَيْنٍ مَسٍّ وَتَسْمَالٍ (٦)	كَدَعَصِ النَّقَا يَمْشِي الْوَكِيدَانِ فَوْقَهُ

(١) انظرها في الديوان (١٣٧)

(٢) في الديوان « قليل الهموم »

(٣) في الديوان « أحدث عهده » وفيه « في ثلاثة أحوال »

(٤) في الديوان « وألا يحسن السر أمثالي »

(٥) في الديوان « غير مجبال » وغير مجبال : أي ليست فظة ولا غليظة

(٦) في الديوان « كحقف النقا » وفيه « بما احتسبا »

إِذَا مَا اسْتَحَمْتَ كَانَ فَيْضُ جَمِيمِهَا      عَلَى مَتْنِيهَا كَالْجَمَانِ لَدَى الْجَالِي (١)  
تَوَرَّتْهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلِهَا      يِثْرَبَ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي  
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا      مُضَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقَعَالِ (٢)  
تَمَمْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا تَلَمَّ أَهْلُهَا      تَمَوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَلَالاً عَلَى حَالِ  
قَالَتْ سِبَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي      أَلَسْتَ تَرَى السَّمَاءَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي  
قُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ لَا أَنَا بَارِحُ      وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي (٣)  
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحْتَ      هَصُرْتُ بِغَضَنِ ذِي شَارِبِخِ مِيَالِ  
فَصَرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا      وَرُضْتُ قَدَلْتُ صَعْبَةَ أَى إِذْلالِ  
حَافِضُهَا بِاللَّهِ حَلَفَةً فَاجِرِ      لَنَأْمُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِي  
فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا      عَلَيْهِ قَتَامٌ كَلَسُفُ اللَّوْنِ وَالْبَالِ (٤)  
يَنْطُ غَطِيطُ الْبَكْرِ شَدَّ خَنَاقَهُ      لِيَقْتَلَنِي وَالْمَرْءَ لَيْسَ يَقْتَالِ  
وبعد البيت ، وبعده :

وليس يذرى سيف فيقتلني به      وليس يذرى رُمح وليس بنبال  
أَيَقْتَلَنِي وَقَدْ قَطَرْتُ فؤَادَهَا      كَمَا قَطَرَ الْمُهْنُوَّةُ الرَّجُلُ الطَّالِي (٥)

(١) في الأصل « لدى الحالى » بالحاء مهمله ، وليس بشيء . وما أثبتناه عن الديوان ، والجالي : صراف الدراهم

(٢) تشب : توقد ، والققال : جمع قافل من قفل من الغزو والسفر إذا رجع

(٣) في الديوان « يمين الله أبرح قاعدا » وهذا هو المحفوظ ، وهو من شواهد

النحاة على حذف حرف النفي بعد القسم ، وما في الأصل ضعيف في العربية

(٤) في الديوان « عليه القتام سىء الظن والبال »

(٥) في الديوان :

ليقتلنى أنى شغقت فؤادها      كما شغف المهنوءة الرجل الطال

وقد علمت سلمى وإن كان بعلمها بأن الفقى يهذى وليس بفعل  
وما ذا عليه إن ذكرت أوانساً كغزلان رمل في محاريب أقوال<sup>(١)</sup>  
وهي طويلة .

والشرقى — بفتح الميم والراء — نسبة إلى مشارف الشام ، وهي قرى  
من أرض العرب ، تدنو من الريف ، منها السيوف المشرفية . والمسنون : المحدد  
المصقول ، ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها ، وكونها مجلوة ، وأراد  
بقوله « أنياب أغوال » أى شياطين ، وإنما أراد أن يهول . قال أبو نصر :  
سألت الأصمعى عن الغول ، فقال : همرجة من همرجة الجن .

والشاهد فيه : التشبيه الوهمى ، وهو الغير المدرك<sup>(٢)</sup> بإحدى الحواس ،  
ولكنه بحيث لو أدرك لكان مدركاً بها ، فإن أنياب الغول مما لا يدركه الحس  
لعدم تحققها ، مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر .

وذكرت بأول القصيدة ما حكاه ناشب بن هلال الحرانى الواعظ البديهي  
— وكان يلقب به لقوله الشعر بديهاً — قال : قصدت ديار بكر متكسباً بالوعظ ، فلما  
نزلت قلعة مابدين دعانى بها صاحبها تمر داس بن المغان بن أرتق للإفطار عنده  
فى شهر رمضان ، فحضرت إليه ، فلم يرفع مجلسى ولم يكرمنى ، وقال بعد الإفطار  
لغلام عنده : إئتنا بكتاب ، فجاء به ، فقال له : ادفعه إلى الشيخ ليقرأ فيه ،  
فازداد غيظى لذلك ، وفتحت الكتاب ، فإذا هو ديوان امرئ القيس ؛ وإذا  
أول ما فيه :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

(١) الأقوال : جمع قيل ، وهو من يل الملك من ملوك حمير

(٢) من حق الاستعمال العربى أن يقال « غير المدرك بإحدى الحواس »

فقلت في نفسي : أنا ضيف وغريب ؛ وأستفتح ما أقرأه على سلطان كبير  
وقد مضى هزيع من الليل الأعم صباحاً ، فقلت :  
الأعم مساء أيها الملك العالى ولا زلت في عز يدوم وإقبال  
ثم أتممت القصيدة ، فتمل وجه السلطان لذلك ، ورفع مجلسى ، وأدنانى  
إليه ، وكان ذلك سبب حظوتى عنده .

\*\*\*

٧٥ — وكان النجوم بين دُجَاهَا سُنن لاحَ بينهنَّ ابتداءُ

شاهد التشبيه  
التخيلى

البيت للقاضى التنوخى ، من أبيات من الخفيف ، أولها (٢) :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ بِصُدُودٍ أَوْ فِرَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ  
مَوْحَشٍ كَالْفَقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْعَيْسَنُ وَتَأْبَى حَدِيثُهُ السَّمَاعُ

وبعد البيت ، وبعده :

مُشْرِقَاتُ كَأَنَّهُنَّ حِجَابُ تَقَطَّعُ الْخَصْمُ وَالظَّلَامُ انْقِطَاعُ  
وَكَانَ السَّمَاءُ خِيَمَةً وَشَيْءٌ وَكَانَ الْجُوزَاءُ فِيهَا شِرَاعُ

والدجى : جمع دُجَيَّة ، وهى الظلمة ، والضمير راجع إلى الليالى أو النجوم ،  
والابتداء : الحدث فى الدين بعد الكمال ، أو ما استحدث بعد النبى صلى الله  
عليه وسلم من الأهواء والأعمال .

والشاهد فيه : التشبيه التخيلى ؛ وهو أن لا يوجد فى أحد الطرفين أوفى  
كليهما إلا على سبيل التخييل والتأويل ، ووجهه فى هذا البيت هو : الهيئة

(١) أقرأها فى يتيمة الدهر ، للشعالى ( ٢ - ٣٣٦ بتحقيقنا ) وفيها بيت  
سادس ، وهو قوله :

كان ليلا فصيرته نهارا كتب تكبت العدى ورقاع

الحاضلة من حصول أشياء مُشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود ، فتلك الهيئة غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخيل ، وذلك أنه لما كانت البدعة وكل ما هو جهل تجعل صاحبها كمن يمتنى في الظلمة فلا يهتدى للطريق ولا يأمن أن ينال مكروها شبهت بالظلمة ، ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور ، لأن السنة والعلم تقابل البدعة والجهل ، كما أن النور يقابل الظلمة .

ترجمة القاضي  
التنوخى

والقاضي <sup>(١)</sup> التنوخى : هو على بن محمد بن داود ، أبو القاسم التنوخى ، قدم بغداد ، وتفق على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، وكان حافظاً للشعر ، ذكياً وله عروض بديع ، وولى القضاء بعدة بلدان ، وهو والد أبي علي المجسن <sup>(٢)</sup> التنوخى صاحب «نشوار المحاضرة» وكتاب «الفرج بعد الشدة» وغيرهما . وكان أبو القاسم هذا بصيراً بعلم النجوم ، قرأ على الكسائى المنجم ، ويقال : إنه كان يقوم بعشرة علوم ، وكان يحفظ للطائفين سبعاً مائة قصيدة ومقطوعة ، سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين وغيرهم ، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً كثيراً ، وكان في الفقه والفرائض والشروط غاية ، واشتهر بالكلام والمنطق والهندسة ، وكان في الهيئة قدوة . وقال الثعالبي في حقه رحمه الله تعالى : هو كما قرأته في فصل للصاحب <sup>(٣)</sup> إن أردت فاني سبعة ناسك ، أو أحببت فاني تفاحة فاتك ، أو اقترحت فاني مدرعة راهب ، أو آثرت فاني نخبة شارب .

وكان الوزير المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جداً ، ويتعصبون له ، ويُعدونه ربحانة الندماء وتاريخ <sup>(٤)</sup> الظرفاء ، ويعاشرهم منه من تطيب عشرته

(١) له ترجمة في يتيمة الدهر للثعالبي (٢ - ٣٣٥ - ٣٤٥ بتحقيقنا)

(٢) في الأصول «أبي علي الحسن» محرفاً ، ولأبي علي ترجمة في اليتيمة تنبؤ ترجمة والده

(٣) يريد الصاحب بن عباد

(٤) كذا في الأصول ونسخ اليتيمة ، وأحسبه محرفاً عن «ونارنج الظرفاء»



وتلين قشرته ، وتكرم أخلاقه [ وتحسن أخباره ] <sup>(١)</sup> ، وتسير أشعاره [ ناظمه ] <sup>(٢)</sup> حاشيتي البر والبحر ، وناحيتي الشرق والغرب .

ويحكى أنه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى ويجتمعون عنده فى الأسبوع ليلتين على أطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة ، وهم ابن قريعة وابن معروف والأينجى وغيرهم ، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبى ، فاذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولذ السماع ، وأخذ الطرب منهم مأخذ ، وهبوا أثواب الوقار للعقار ، وتقبلوا ، أعطاف العيش ، بين الخلفة والطيش ، ووضع فى يد كل منهم طاس من ذهب ألف مثقال مملوء شرباً بقطربليا أو عكبوريا ، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ثم يرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون بأجمعهم ، وعليهم المصبغات ومخائق البرم ، وإياهم عنى السرى الرفاء بقوله [ من المنسرح ] :

تَجَالَسُ تَرْقُصُ الْقَضَاةُ بِهَا إِذَا انْتَشَرُوا فِي مَخَانِقِ الْبَرَمِ  
وَصَاحِبٌ يَخْلُطُ الْمَجُونَ لَنَا بِشِيمَةٍ حُلُوةٍ مِنْ الشِّمِ  
تَخْضِبُ بِالرَّاحِ شَيْبُهُ عَبْنَا أَنَامِلٌ مِثْلَ حِمْرَةِ الْعَمِ  
حَتَّى تَحَالَ الْعَيُونُ شَيْبَتَهُ شَيْبَةُ عُثْمَانَ ضَرَجَتْ بِدَمِ

فاذا أصبحوا عادوا لعادتهم من الزام التوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء .

وكان له غلام يؤثره على غيره من غلمانه يسمى نسبا ، فكتب إلى القاضى التنوخى بعض أصحابه [ من الرمل ] :

هَلْ عَلَى لَامِهِ مُدْغَمَةٌ لَا ضَرَارَ الْوَزْنِ فِي مِمْ نَسِيمِ؟

فوقع تحته ، نعم ، ولم لا؟!

• وقال منصور الخالدي : كنت ذات ليلة عند التنوخي في ضيافة ، فأغنى  
إغفاعة فخرج منه ريح ، فضحك بعض القوم ، فاتبه بضحكه وقال : لعل ريحاً ،  
فسكتنا من هيئته ، فكث ساعة ثم قال : [ من الطويل ] :

إذ نامت العينان من مُتَيَقِّظٍ تراخت بلاشك تشاريحُ قَفَحَتِه  
فمن كان ذا عقلٍ فيعندر نائماً ومن كان ذا جهلٍ في جوفٍ لحيتِه  
وهذه نبذة من شعره .

قال من قصيدة كثيرة العيون ، وكان الصاحب بن عباد يفضلها على سائر  
شعره [ ويرى أنها من أمهات قلائده <sup>(١)</sup> ] وهي [ من الكامل ] :

أحبب إليّ بنهر معقلٍ الذي فيه لقلبي من همومي معقلُ  
عذبٌ إذا ما عبّ منه ناهلٌ فكأنه من ريق حبّ ينهلُ <sup>(٢)</sup>  
متسلسلٌ وكأنه إصفائه دمعٌ يحدّى كاعبٍ يتسلسلُ  
وإذا الرياح جرين فوق متونه فكأنه درعٌ جلاها صيقلُ <sup>(٣)</sup>  
وكان دجلة إذ تغطط مَوْجها ملكٌ يعظمُ خيفةً ويبجلُ  
وكانه ياقوتة أو أعين زرق يلاءم بينها ويوصل <sup>(٤)</sup>

(١) الزيادة عن يتيمة الدهر فإن هذه الترجمة نقلت بحذفها عنها ، وإن  
لم تكن مساقها على ترتيبها هناك

(٢) في اليتيمة « إذا ما عب فيه »

(٣) في الأصل « فكأنها درع » محرّفاً ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة ،  
والضمير يعود إلى النهر وهو مذكور ، وفي اليتيمة « علاها صيقل » وأراها  
محرّقة عما هنا

(٤) في اليتيمة « وكأنها ياقوتة » ولكل منها وجه ، فإن الضمير هنا  
يجوز أن يعود إلى النهر ، وإلى دجلة ولقنظها مؤنث

عذبت فما ندرى أماء ماؤها      عند المذاقة أم رحيقٌ سَكَلْ  
ولها بمدٍ بعد جزرٍ ذاهبٍ      جيشان يُدبر ذا وهذا يُقبل  
وإذا نظرت إلى الأبلَّةِ خلَّتْها      من جنة الفردوس حين تخيلُ  
كم منزل في نهرها آلى السرو      ربَّاه في غيره لا ينزل  
وكأنما تلك القصور عرائس      والروض حلىً فى فيه ترُقِل  
غَشَّتْ رِيقان الورق في أرجائها      هَزَجًا يقل له الثقيلُ الأولُ  
وتعانت تلك الغصون فأذكرت      يومَ الوداع وعبرُهم ترحلُ  
ربع الربيع بها فحَاكَّتْ كَفُّهُ      حللا بها عَقْدُ الموم تحلل  
فمدبجٌ وموشحٌ ومدنرٌ ومعد      ومحبرٌ ومهللٌ  
فتخال ذا عَيْنًا وذا نغراً وذا      خَدًا يعضض مرة ويقبل

ومن شعره أيضاً قوله [من السريع] :

كأنما المَرِيخُ والمَشْتَرِى      أَمَامَهُ في شامِخِ الرَّفْعِ (١)  
مُنْصَرَفٌ بِاللَّيْلِ عَن دَعْوَةٍ      قَدْ أَوْقَدَتْ قُدَامَهُ شِعْمَهُ (٢)

ومثله قول أبي عتيق السفار [من الرمل] :

وكانَ البدرُ والمَرِيخُ إِذْ وافى إِلَيْهِ  
ملكٌ تَوَقَّدُ لَيْلًا شِعْمَةً بين يديه

رجع إلى شعر القاضى التنوخى رحمه الله ، قال [من الطويل] :

- (١) فى اليتيمة « قدامه » فى مكان « أمامه » وكذا فى كتب البيان ، وفى التلخيص فيما يأتى  
(٢) فى اليتيمة « قد أسرجوا » فى مكان « قد أوقدت »

وليلة مشتاق كأن نجومها قد اغتصبت غنى الكرى فهي نُومٌ (١)  
 كأن سواد الليل والفجر ضاحكٌ يلوح ويخفى أسودٌ يتبسّم  
 وله أيضاً في غور الكواكب عند الصباح [من اليسيط]:  
 عهدى بها وضياء الصبح يُطفئها كالشرح تطفأ أو كالعين العور  
 أعجب بها حين وافى وهي تيرةً فظل يطمس منها النور بالنور  
 وكتب إلى الوزير المهلبى ، وقد منعه المطر من خدمته [من الطويل]:  
 سحابٌ أتى كالامن بعد تخوفٍ له في الثرى فعل الشفاء بمدنفٍ  
 أكب على الآفاق إطراق مطرق يفكر أو كالنادم المتلف (٢)  
 ومد جناحيه على الأرض جانحاً فراح عليها كالغراب المرقرف  
 غداً البربحراً زائراً وانثنى الضحى بظلمته في ثوب ليلٍ مُسجفٍ  
 يعبس عن برقٍ به متبسّم عبوسٍ بخيلٍ في تبسمٍ مُعتقى  
 تحاول منه الشمس في الجو مخرجاً كالحاول المغلوب تجريد مرهفٍ

\*\*\*

أين هذا من قول ابن المعتز رحمه الله [من الوافر]:

تحاول فتق غيم وهو يابى كعينٍ يريد نكاح بكرٍ

\*\*\*

فأفرغ ماء قال وارد حوضه أسلسال ماء أم سلاقة قرقف (٣)

- (١) في اليتيمة «وهى قوم» وبين البيتين في اليتيمة بيت آخر ، وهو  
 كأن عيون الساهرين بطولها إذا شخصت لأنجم الزهر أنجم  
 (٢) في الأصل «أو كالنادم المتلف» وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة  
 (٣) في اليتيمة «فأترع ماء»

أَتَى رَحْمَةً لِلنَّاسِ غَيْرِي ، فَأَنَّهُ عَلَى عَذَابٍ مَّالَهُ مِنْ تَكْثُفٍ  
 سَحَابٌ عَدَّابِي عَنْ سَحَابٍ ، وَعَارِضٌ مُنَعْتُ بِهِ مِنْ عَارِضٍ مُتَكَفِّفٍ  
 أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّيَلَاتِ [ مِنْ الْخَفِيفِ ] :  
 لَسْتُ أُدْرِي مَاذَا أَذَمُّ وَأَشْكُو مِنْ سَمَاءٍ تَعَوَّقَتْنِي عَنْ سَمَاءٍ  
 وَمِنْ شَعْرِ الْقَاضِي التَّوْخِيِّ أَيْضاً <sup>(١)</sup> [ مِنْ الْبَسِيطِ ] :

أَمَا تَرَى الْبَرْدَ قَدْ وَافَتْ عَسَاكِرُهُ وَعَسْكَرَ الْحَرِّ كَيْفَ انْصَاعَ مَنْطَلِقًا  
 فَالْأَرْضَ تَحْتَ ضَرْبِ التَّلْحِ تَحْبِبُهَا قَدْ أَلْبَسَتْ حَبْكَأً أَوْ غُثِيَتْ وَرَقًا  
 فَاتَمَّضَ بِنَارٍ إِلَى فَحْمٍ كَأَنَّهُمَا فِي الْعَيْنِ ظِلٌّ وَإِنْصَافٌ قَدْ اتَّهَقَا  
 جَاءَتْ وَنَحْنُ كَقَلْبِ الصَّبِّ حِينَ سَلَا بَرْدًا فَصَرْنَا كَقَلْبِ الصَّبِّ إِذْ عَشَقَا  
 وَمِنْهُ أَيْضاً <sup>(٢)</sup> [ مِنْ الطَّوِيلِ ] :

رِضَاكَ شَبَابٌ لَا يَلِيهِ مَشِيبٌ وَسَخَطُكَ دَاءٌ لَيْسَ مِنْهُ طَيْبٌ  
 كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ النَّفُوسِ مُرْكِبٌ قَانَتْ إِلَى كُلِّ النَّفُوسِ حَيْبٌ  
 وَلَهُ فِي مُعَذَّرٍ [ مِنْ السَّرِيعِ ] :

قُلْتُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ مَرَّ بِي مُنْتَقِبًا بَعْدَ الضِّيَاءِ بِالظُّلُمِ  
 يَا أَهْلَ وَدَادِي قَفُّوا كَيْ تَبْصُرُوا كَيْفَ زَوَالُ النُّعْمِ  
 وَمَحَاسِنُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيرَةٌ ، وَهَذَا الْأَتَمُّونُجُ كَلَّفَ فِيهَا . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةٌ  
 اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَةً

(١) أَنشَدَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْقَاهِرِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْأَرْبَعَةَ فِي أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ  
 ( ٢٠٠ طَبْعَةٌ ثَالِثَةٌ )

(٢) قَالَ التَّمَالِي قَبْلَ إِشْدَادِ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ : « وَمَا أَنشَدْتُ لَهُ وَلَمْ أَجِدْهُ  
 فِي دِيْوَانِهِ »

٧٦ - وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنقود ملاحية حين نوراً (١) شاهد المركب الحسى البيت لأبي القيس (٢) بن الأسلت ، من الطويل .

والملاحى - بضم الميم وتخفيف اللام ، وقد تشدد - عنب أبيض فى حبة طول . ومعنى نور : تفتح نوره . والثريا : مصغرة ، قيل : تصغير تعظيم ، وقيل : تصغير تقريب إعلالاً بأن نجومها قريب بعضها من بعض ، ومكبرها ثروى ، وهى الكثرة . وسميت هذه النجوم المجتمعة بالثريا لكثرة نورها ، وقيل : لكثرة نجومها مع صغر مرآها ، فكأنها كثرة العدد بالإضافة إلى ضيق الحبل . وعدد نجومها سبعة أنجم : سنة ظاهرة ، وواحد خفى تخبر به الناس أبصارهم ، وذكر القاضى عياض رحمه الله تعالى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يراها أحد عشر نجماً .

والشاهد فيه : المركب الحسى فى التشبيه الذى طرأه مفردان ، الحاصل من الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض الصغار المقادير فى المرأى وإن كانت كباراً فى الواقع على الكيفية المخصوصة منضمة إلى المقدار الخصوص ، والمراد بالكيفية المخصوصة أنها لا مجتمعة اجتماع التضام والتلاصق ، ولا هى شديدة الافتراق ، بل لها كيفية مخصوصة من التقارب والتباعد على نسبة قريبة مما نجدته فى رأى العين بين تلك الأنجم . والطرفان المفردان هما : الثريا ، والعنقود .

ومما جاء فى وصف الثريا أيضاً قول امرئ القيس [ من الطويل ] :  
إذا ما الثرياً فى السماء تعرّضت تعرّضاً أثناء الوشاح المفصل

آيات فى وصف  
الثريا

- (١) المحفوظ فى هذا البيت \* وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى \*  
(٢) أنشده الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٧٥) ونسبه إلى قيس بن الخطيم ، وليس بشيء

وقد أبدع المتأخرون في وصفها : فمن ذلك قول ابن المعتز<sup>(١)</sup> [ من

المنسرح ] :

قَدْ انْقَضَتْ دَوْلَةُ الصِّيَامِ وَقَدْ      بَشَّرَ سُقْمُ الْهَلَالِ بِالْعِيدِ  
يَتَلَوُ الثَّرِيَاءُ كَفَاغِرَ شَرِّهِ      يَفْتَحُ فَاهُ لَا كُلَّ عُنُقُودِ

ومثله قوله أيضاً [ من الخفيف ] :

زَارَنِي وَالِدُجِي أَحْمُ الْحَوَاشِي      وَالثَّرِيَا فِي الْغَرْبِ كَالْعُنُقُودِ  
وَهَالِكُ السَّمَاءِ طَوْقُ عَرُوسٍ      بَاتَ يُجَلَّى عَلَى غَلَاثِلَ سُودِ

وقول ابن بابك [ من مجزوء الرجز ] :

وَلَيْلَةٌ جَوَزَاوْهَا      مِثْلُ الْخَبَاءِ الْمُنْهَبِكِ  
قَطَعْتُهَا وَالبَدْرُ عَنْ      تَمَّتِ الثَّرِيَا مُنْفَرِكِ  
كَأَنَّهَا فِي عَرْضِهِ      بَارَزَ عَلَى كَفِّ مَلَكِ

وقول سهل بن المرزبان [ من الكامل ] :

كَمْ لَيْلَةٌ أَحْيَيْتَهَا وَمُؤَانَسَى      طُرْفُ الْحَدِيثِ وَطَيْبُ حَثِّ الْأَكُوسِ<sup>(٢)</sup>  
شَبَّهْتُ بَدْرَ سَمَائِهَا مَا دَنْتُ      مِنْهُ الثَّرِيَا فِي قَيْصِ سِنْدُسَى  
مَلِكًا مَهِيًّا قَاعِدًا فِي رَوْضَةٍ      حَيَّاهُ بَعْضُ الزَّاثِرِينَ بَنَرُجْسِ

ومثله قول ابن المعتز أيضاً [ من الطويل ] :

أَتَانِي وَالْإِصْبَاحُ يَرْفُلُ فِي الدُّجَى      بِصَفَرَاءَ لَمْ تَفْسُدْ بِطَبِخٍ وَإِحْرَاقِ

(١) أنشدها الشيخ عبد القاهر في أسرار البلاغة (٧٦ الطبعة الثالثة)

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة مانصه « قوله حث

الأكوس هكذا في النسخ ، ومعناه شربها ، ولم أجده بهذا المعنى في  
القاموس ، فلعله محرف عن حسو ، فتدبر » اهـ

فَنَاقِلْنِيهَا وَالثَرِيَا كُنْهَهَا جَنَى نَرْجَسٍ حَيَا الدَّامِي بِهِ السَاقِي  
ومثله قول الناشيء الأصغر [ من الطويل ] :

وَلِيلَ تَوَارِي النَجْمِ مِنْ طُولِ مُكْثِهِ كَمَا أَزُورَ مَحْبُوبٍ خُوفَ رَقِيبِهِ  
كَأَنَّ الثَرِيَا فِيهِ بَاقَةٌ نَرْجَسٍ يُحْيِي بِهَا ذُو ضَبُوءٍ لَحِيْبِهِ  
وقول أبي الفرج البغواء من أبيات [ من المنسرح ] :

تَرَى الثَرِيَا وَالْبَدْرَ فِي قَرْنٍ كَمَا يُحْيَا نَرْجَسٍ مَلَكٌ  
وقول الوزير أبي العباس الضبي [ من مجزوء الرجز ] :

خَلَّتْ الثَرِيَا إِذْ بَدَتْ طَالِعَةً فِي الْحِنْدِسِ  
مَرْسَلَةً مِنْ لَوْلُؤٍ أَوْ بَاقَةً مِنْ نَرْجَسٍ

وقوله أيضاً [ من مجزوء الرجز ] :

إِذَا الثَرِيَا اعْتَرَضَتْ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ  
حَسِبْتُهَا لَامِعَةً سَبِيكَةً مِنْ دُرٍّ

ونفيس قول ابن حمديس أيضاً من قصيدة [ من الرمل ] :

فَاسْقِنِي عَنْ إِذْنِ سُلْطَانِ الْهَوَى لَيْسَ يَشْفِي الرُّوحَ إِلَّا كَاسُ رَاحٍ  
وَأَتَتَّظِرُ لِلْحَلَمِ مِنْ كَرَّةٍ كَمْ فَسَادٍ كَانَ عَقْبَاهُ صَلَاحٍ  
فَالْقَضِيبُ اهْتَزَّ وَالْبَدْرُ بَدَا وَالْكَثِيبُ ارْتَجَّ وَالْعَنْبَرُ فَاحٍ  
وَالثَرِيَا زَجَجَ الْجَوِيهَا كَابِنِ مَاءِ ضَمٍّ لَوْكَرِ جَنَاحٍ  
وَكَأَنَّ الْغَرْبَ مِنْهَا نَاشِقٌ بَاقَةٌ مِنْ يَاسْمِينٍ أَوْ أَفَاحٍ

وقول صاحب بن عباد [ من الطويل ] :

تُنِيرُ الثَرِيَا وَهِيَ قُرْطٌ مُسَلْسَلٌ وَيَعْقِلُ مِنْهَا الطَّرْفُ دُرٌّ مُبَدَّدٌ  
وما أطف قول ابن حصن [ من المقتضب ] :



عَلَى أَنْ أَتَدَلَّلَ لَهُ وَأَنْ يَتَدَلَّلَ

خَذَ كَانَ الثريا عَلَيْهِ قُرْطٌ مُسْلَسِلٌ

وقول أبي الفرج البغواء [ من البسيط ] :

خَفُّوا مِنَ الْعَيْشِ فَالْأَعْمَارُ فَانِيَةٌ      وَالذَّهْرُ مَنْصَرِفٌ وَالْعَيْشُ مَنْقَرَضٌ

فِي حَامِلِ الْكَأْسِ مِنْ بَدْرِ الدَّجَى خَلْفَ      وَفِي الْمَدَامَةِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى عِوَضُ

كَأَنَّ نَجْمَ الثريا كَفُّ ذِي كَرَمٍ      مَبْسُوطَةٌ لِلْعَطَايَا لَيْسَ تَنْقَبِضُ

وقول ابن سكرة الهاشمي [ من المنسرح ] :

تَرَى الثريا وَالْغَرْبُ يُجْذِبُهَا      وَالْبَدْرُ يَسْرَى وَالْفَجْرُ يَنْفَجِرُ

كَفَّ عُرُوسٍ لَاحَتْ خَوَاتِمُهَا      أَوْعَقَدَ دُرِّي فِي الْجَوْ يَنْتَنِرُ

ومثله قول أبي القاسم علي بن جلبات [ من الطويل ] :

وَحَلَّتْ الثريا كَفَّ عَذْرَاءَ طِفْلَةٍ      مَخْتَمَةً بِالْذَرِّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

تَخِيلَتْهَا فِي الْأَفَقِ طُرَّةَ جَعْبَةٍ      مُكْوَكَبَةٌ لَمْ تَعْتَلِقْهَا حَبَائِلُ

وقول أبي القاسم بن هانيء الأندلسي [ من الطويل ] :

وَوَلَّتْ نَجْمُ الثريا كَأَنَّهَا      خَوَاتِمُ تَبْدُو فِي بَنَانٍ يَدُ تَحْفَى

ومما أحسن قول محيي الدين بن عبد الظاهر [ من الطويل ] :

مَلَأَتْ اللَّيَالِي مِنْ عَلَاءٍ وَخَتَمَتْهَا      فَقَدْ أَصْبَحَتْ مُحْشَوَةٌ مِنْ مَكَارِمِكُ

خَتَمَتْ عَلَيْهَا بِالثريا فَقُلْ لَنَا      أَهَذَا الَّذِي فِي كَفِّهَا مِنْ خَوَاتِمِكُ

وقد أحسن الصنوبري في تشبيهه الثريا في جميع أحوالها حيث يقول من

أبيات [ من المنسرح ] :

قُمْ فَاسْقِنِي وَالظَّلَامَ مِنْهُمْ      وَالصُّبْحَ بِإِدِّ كَأَنَّهُ عِلْمُ

وَالطَّيْرُ قَدْ طَرَبَتْ فَأَفْصَحَتْ      الْأَلْحَانَ طُرًّا وَكَلَّهَا عَجْمُ

وميلت رأسها الثريا لاسرارٍ إلى الغربِ وهي تحتشمُ  
في الشرق كأس وفي مغاريها قرط وفي أوسطِ السما قدم  
وقد وصفها الواواء الدمشقي في حالتي الشروق والغروب فقط فقال  
[ من مجزوء الرمل ] :

قد تأملتُ الثريا في شروقٍ وغروبٍ  
فهى كأس في شروقٍ وهى قرط في غروبٍ  
وما أبدع قول بعضهم أيضاً [ من مجزوء الكامل ] :

وكأنما نجم الثريا إذ تعرّض كالوشاح  
كأس بكف خريدة تسقى المساء بيد الصباح  
وقول الواواء الدمشقي [ من مجزوء الكامل ] :

وجلا الثريا في ملاءة نورٍ بدر النمام  
فكأنها كأس ليشربها الدجى والبدر جام  
وكان زرق نجومها حديق مفتحة نيام  
وبديع قول عبد الوهاب الأزدي المشهور بالمتقال [ من مخلع البسيط ]

ياساقى الكأس اسق صحبي وأسقني إننى أواسى  
وانظر إلى حيرة الثريا والليل قد سدّ بانديماس  
ما بين بهرامها الملاحى وبين مرّيجها المواسى  
كأنها راحة أشارت لأخذ تفاعية وكاس  
وقوله أيضاً [ من مخلع البسيط ]

رأيت بهرام والثريا والمشتري في القِران كره  
كراحة حيرت يداها ما بين ياقوتة ودُرّه

قال عبد الوهاب المذكور هذين البيتين لما أنشده ابن رشيقي قوله  
[من الخفيف]:

والثريا قبالة البدر تحكى      باسطاً كفّه ليأخذ جاما  
وللأواء الدمشقي [من الخفيف]:

رُبَّ ليلٍ ما زلتُ أُلتم فيه      قرأً لا بساً غلالةً وردٍ  
والثريا كأنها كفُّ خَوْدٍ      داخلتها اللين رِعْدَةٌ وجدٍ

ومثله قول بعضهم [من الطويل]:

كأن الثريا بين شرقي ومغرب      وقد سلّمت للصبح طوعاً عيناها  
مروعة بالبين نحو ألفيها      تُقلب من خوف الفراق بنانها

وقول الآخر [من الكامل]:

والليلُ قد وليَّ يُقلصُ بُردَهُ      كدّاً ويسحب ذيله في المغرب  
وكانما نجم الثريا سحرةً      كيف تَمسَحُ عن معاطِفِ أشهب

ولأبراهيم بن العباس الصولي في اقتران الثريا والهِلال [من البسيط]:

وليلة من ليالي الأنس بث بها      والروض ما بين منظوم ومنضودٍ  
والنسر قد حام في الظلماء من ظلم      وللمجرة نهرٌ غيرٌ موزودٍ  
وابن الغزاله فوق النجم منعطفٌ      كما تأوّد عرجونٌ بعنقودٍ

ولأبي عاصم البصري في اقتران الهلال والثريا والزهرة [من المتقارب]:

رأيتُ الهلال وقد أخذته      نجوم السماء لكي تسبقه

فشبهته وهو في إثرها      وبينهما الزهرة المشرقة

يقوس لرام رمى طائراً      فأتبع في إثره بُندقه

ولأبي الحسن الكرخي في مثله [من الطويل]:

كَأَنَّ الْهَلَالَ الْمُسْتَنِيرَ وَقَدْ بَدَأَ      وَنَجْمَ الثَّرِيَا وَأَقْفُ فَوْقَ هَالَتِهِ  
 مُلِكٌ عَلَى أَعْلَاهُ تَلَجُّ مَرْصَعٌ      وَيُزْهِى عَلَى مَنْ دُونَهُ بِجَلَالَتِهِ  
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ طَبَاطَبَا الْعُلُوَّى [ مِنْ الطَّوِيلِ ] :  
 أَمَّا وَالثَّرِيَا وَالْهَلَالَ جَلَّتْهُمَا      إِلَى الشَّمْسِ إِذْ دَوَّعَتْ كُرْهًا نَهَارَهَا  
 كَأَسْمَاءَ إِذْ زَارَتْ عَشِيًّا وَغَادَرَتْ      دَلَالًا لَدَيْنَا قُرْطَهَا وَسِوَارَهَا  
 وَقَوْلَ أَبِي عَلَى الْحَاتِمِيِّ [ مِنْ الطَّوِيلِ ] :

وَلَيْلٍ أَقْنَا فِيهِ نَعْمَلُ كَأَسْمَاءَ      إِلَى أَنْ بَدَأَ لِلصَّبْحِ فِي اللَّيْلِ عَسْكَرُ  
 وَنَجْمُ الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ      عَلَى حُلَّةٍ زَرْقَاءَ جَيْبٌ مُدْفَرُ  
 وَمَنْ بَدِيعُ أَوْصَافِ الثَّرِيَا قَوْلُ الْبَدِيعِ الْقَلْيُوبِيِّ الْكَاتِبِ [ مِنْ الطَّوِيلِ ] :  
 وَصَافِيَةٌ بَاتَ الْغَلَامُ يَدِيرُهَا      عَلَى الشَّرْبِ فِي جَنَحٍ مِنَ اللَّيْلِ أَدْعَجِ  
 كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ فِي وَجَنَاتِهَا      فَرَائِدُ دُرٍّ نَحْنُ عَقِيقُ مُدْحَرَجِ  
 وَلَا ضَوْءَ إِلَّا مِنْ هَلَالٍ كَأَنَّمَا      تَفَرَّقَ عَنْهُ الْغَيْمُ عَنْ نِصْفِ دُمَلَجِ  
 وَقَدْ حَالَ دُونَ الْمُشْتَرَى مِنْ شِعَاعِهِ      وَمِيزُ كَمَثَلِ الزُّبُقِ الْمُتَرَجِّجِ  
 كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا      نَجْمَةٌ وَرَدٍ فَوْقَ زَهْرِ بَنْفَسَجِ  
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ فَضَالٍ [ مِنْ السَّرِيعِ ] :

كَأَنَّ بَهْرَامَ وَقَدْ عَارَضَتْ      فِيهِ الثَّرِيَا نَظَرَ الْمُبْصِرِ  
 بِأَقْوَتِهِ يُعْرِضُهَا بِأَلْعَ      فِي كَفِّهِ وَالْمُشْتَرَى الْمُشْتَرَى  
 وَبَدِيعُ قَوْلِ الشَّهَابِ مُحَمَّدٍ فِي تَشْبِيهِ الثَّرِيَا وَالْهَلَالَ وَالْدَّارَةَ [ مِنْ الطَّوِيلِ ] :  
 كَأَنَّ الثَّرِيَا وَالْهَلَالَ وَدَارَةً      حَوْتُهُ وَقَدْ زَانَ الثَّرِيَا التَّنَاطُفُ  
 حَبَابُ ظَفَا مِنْ فَوْقِ زُورِقٍ فَضْةٍ      بِكَفِّ فَتَاةٍ طَافَ بِالرَّاحِ جَامُهَا  
 وَقَدْ أَغْرَبَ ابْنُ عَوْنٍ بِقَوْلِهِ [ مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ ] :

رُبَّ لَيْلٍ لَمْ أُنْمِ      وَنَجُومُ اللَّيْلِ تَشْهَدُ  
وَالثَّرِيَا فِي مَدَاهَا      حِينَ تَنْجُطُ وَتَصْغَدُ  
عَقْرَبٌ يُسْعَى مِنَ الدَّ      رَّ عَلَى صَحْنِ زَبْرُجْدٍ  
خَلَفَهَا طَالِبُ نَارٍ      وَشِهَابٌ لَيْسَ يَخْمَدُ  
فَهِيَ حَيْرَى مَا أَرَاهَا      مِنْ سَبِيلِ الْغَيِّ تَرْشَدُ

وبديع قول ظافر الحداد [ من الطويل ] :

كَأَنَّ الثَّرِيَا تَقْدُمُ الْفَجْرَ وَالْدَجَى      يَضُمُّ حَوَاشِي سِجْنِهِ لِلْمَغَارِبِ  
مُقَدِّمُ جَيْشِ الرُّومِ أَوْ مَا بِكَفِّهِ      لَتَبْدِيدِ جَيْشٍ مِنْ بَنَى الزَّنْبَجِ هَارِبِ  
وقوله أيضاً [ من الطويل ] :

كَأَنَّ نَجُومَ اللَّيْلِ لَمَّا تَنَحَّلَتْ      تَوَقَّدَ جَمْرٌ فِي سَوَادِ رَمَادٍ  
حَكِي فَوْقَ مَمْدُ الْمُجْرَةِ شَكْلُهَا      فَوَاقِعَ تَطْفُو فَوْقَ لُجَّةِ وَادٍ  
وَقَدْ سَبَحَتْ فِيهِ الثَّرِيَا كَأَنَّهَا      بَقِيَّةُ وَشَى فِي قِمِصِ حَدَادٍ  
وَلَا حَتَّ بَتَوَلَّعَتْ كَتَنَقِيطِ كَاتِبٍ      يُسْرَاهُ لِلتَّعْلِيمِ هَيْئَةً صَادٍ  
إِلَى أَنْ بَدَا وَجْهُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ      رَدَاءُ عَرُوسٍ فِيهِ صَبْغُ مِدَادٍ  
وقوله أيضاً [ من البسيط ] :

وَلَيْلَةٌ مِثْلُ عَيْنِ الظُّبَى دَاجِيَةٍ      عَسَفَتْهَا وَنَجُومُ اللَّيْلِ لَمْ تَقْدِ  
كَأَنَّ أَنْجَمَهَا فِي اللَّيْلِ زَاهِرَةٌ      دَرَاهِمُ الثَّرِيَا كَفَّ مَنْتَقِدِ

وظريف قول بعضهم في شكاية طول الليل [ من الطويل ] :

كَأَنَّ الثَّرِيَا رَاحَةً تَشْبُرُ الدَّجَى      لَتَعْلَمُ طَالَ اللَّيْلِ أَمْ لِي تَعَرَّضَا  
عَجِبْتَ لِلَّيْلِ بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ      يُقَاسُ بِشَبْنٍ كَيْفَ يُرْجَى لَهُ انْقِضَا

ولبعضهم [من الخفيف] :

والثريا كأنها رأسُ طِرْفٍ أدهم زين بالليجام الحلبي

ومثله قول ابن المعتز [من الطويل] :

ألا فاسقنيها والظلام مِقْوَضٌ ونجم الدجى في لجة الليل يركض

كأن الثريا في أواخر ليلها مفتحٌ نورٍ أو لجامٌ مفضض<sup>(١)</sup>

والاطلاع على تفنن الأدباء في أوصاف الثريا يقتصر الاطالة هنا .

وأبو قيس<sup>(٢)</sup> لم يقع لى إلى الآن اسمه ، والأسلت : لقب أبيه ، واسمه ترجمة أبي قيس  
ابن الأسلت  
عامر بن جشم بن وائل ، ينتهى نسبه للأوس ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ،  
وأسلم ابنه عقبة بن أبي قيس رضى الله عنه واستشهد يوم القادسية ، وكان يزيد بن  
مرداس السكلى أخو عباس بن مرداس السكلى الشاعر قتل قيس بن أبي قيس في  
بعض حروبهم ، فطلب بثأره هازون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد  
ابن مرداس فقتله بقيس ابن عمه ، ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت  
المذكور [من الوافر] :

أقيسُ إن هلكتُ وأنتِ حَيٌّ فلا تَعُدْ مواصلةَ الفقير

وقال هشام السكلى : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بغاث<sup>(٣)</sup> إلى

(١) أنشد الشيخ عبد القاهر هذا البيت في أسرار البلاغة (١٤٣)

(٢) تجد لأبي قيس بن الأسلت ترجمة في الأغاني (١٥ - ١٦٠) ومن

العجيب أن أبا الفرج هو الذى يقول « لم يقع لى اسم أبي قيس » وأن المؤلف  
ينقل بعد تناول القرون هذه العبارة ولا يكلف نفسه البحث عن اسمه ، واسم  
أبي قيس - فى أرجح الأقوال - صيفي وقد كتب بهامش نسخة الأغاني ما نصه  
« وهامش نسخة هكذا : اسمه صيفي ، وهو أشهر من أن لا يقع لاحد » اهـ

(٣) بغاث - بزنة غراب - بالعين المهملة ، وبالغين المعجمة - موضع قرب

المدينة وقع فيه يوم مشهور بين الأوس والخزرج

أبي قيس بن الأسلت الوائلي ، فقام بحربهم ، وأثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ، ولبت أشهراً لا يقرب امرأته ، ثم إنه جاء ليلة فدى على امرأته وهي كبشة بنت ضمرة بن مالك من بني عمرو بن عوف ، ففتحت له ، فأهوى بيده إليها ، فأنكرته ودفعته ، فقال : أنا أبو قيس ، فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمت فقال في ذلك أبو قيس <sup>(١)</sup> [ من السريخ ] :

قالت ولم تقصد قتال الخنا مهلاً فقد أبلغت أسامى <sup>(٢)</sup>  
استنكرت لونا له شاحباً والحرب غول ذات أوجاع <sup>(٣)</sup>  
من يذوق الحرب يجد طعمها مرّاً وتتركه يجمع <sup>(٤)</sup>  
لا نألم القتل ونجزى به إلا عدا كيل الصاع بالصاع <sup>(٥)</sup>

ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير رضى الله عنهما خطب الناس بالنخيلة فقال في خطبته : أيها الناس ، دعوا الأهواء المضلة والآراء المشتتة ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها ، فقد جاريتونا إلى السيف برأيتم كيف صنع بكم ، ولا أعرفكم بعد الموعظة تزدادون جرأة ، فإني لا أزداد فعدها إلا عقوبة ، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال أبو قيس بن الأسلت <sup>(٦)</sup> :

- (١) الأبيات من أول قصيدة له في المفضليات ، وفي الأغاني
- (٢) في المفضليات « ولم تقصد لقيال الخنا » وكذلك هو في الأغاني
- (٣) في المفضليات « أنكرته حين توسمته » وفي الأغاني مثل ما هنا
- (٤) في المفضليات « وتحبسه بجمع جاع » والجمع جاع : الحبس في المكان الضيق الغليظ ، وفي الأغاني مثل ما هنا
- (٥) بين هذا البيت والذي قبله في المفضليات سبعة أبيات لم يروها المؤلف وروى أبو الفرج هذا البيت متصلاً بالذي قبله في صوت
- (٦) القصة والأبيات في الأغاني (١٥ - ١٦٧)

مَنْ يَصِلْ نَارِي بِلاذَنْبٍ وَتِرْلَاةٍ      يَصِلْ بِنَارِ كَرِيمٍ غَيْرِ غَدَارٍ (١)  
 أَنَا النَّذِيرُ لَكُمْ مِنْهُ مُجَاهِرَةً      كَيْلَا أَلَامَ عَلَى نَهْيٍ وَإِعْذَارِ  
 فَإِنْ عَصَيْتُمْ مَقَالِي الْيَوْمَ فَاعْتَرِفُوا      أَنْ سَوْفَ تَلْقَوْنَ خِزْيًا ظَاهِرًا عَارِ  
 لَتُتْرَكُنَّ أَحَادِيثًا وَمَلْعَبَةً      عِنْدَ الْمُقِيمِ وَعِنْدَ الْمُدْلِجِ السَّارِي  
 وَصَاحِبِ الْوَتْرِ لَيْسَ الدَّهْرُ يَدْرِكُهُ      عِنْدِي وَإِنِّي لَطَلَّابٌ لِأَوْتَارِ  
 أَقِيمْ عَوْجَتَهُ إِنْ كَانَ ذَا عِوَجٍ      كَمَا يَقُومُ لِقَدْحِ النَّبْعَةِ الْبَارِي (٢)  
 وعن الهيثم بن عدي ، قال : كنا جلوسا عند صالح بن حسان ، فقال لنا :  
 أنشدوني بيتا خفرا في امرأة خفرة ، فقلنا قول حاتم [ من الطويل ] :  
 يُضْيِئُ بِهَا الْبَيْتُ الظِّلِيلُ خِصَاصُهُ      إِذَا هِيَ يَوْمًا حَاوَلَتْ أَنْ تَبَسَّمَ (٣)  
 فقال : هذه من الأصنام ، أريد أحسن من هذا ، فقلنا : قول الأعشى  
 [ من البسيط ] :

كَأَنَّ مَشْيَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا      مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ  
 فقال : هذه خراجة ولاجة كثيرة الاختلاف ، فقلنا : ما عندنا شيء ،  
 فقال : قول أبي القيس بن الأسلت [ من الطويل ] :  
 وَيُكْرِمُهَا جَارَاتُهَا فَيَزُرُّنَهَا      وَتَعْتَلُّ عَنْ إِيَّانِهَا فَتُعْذَرُ  
 وَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَسْتَهِنَ بِجَارَةٍ      وَلَكِنَّهَا مِنْهُمْ تَحِيًّا وَتُخْفَرُ

- 
- (١) في الأصل «غير عوار» محرفا وما أثبتناه موافق لما في الأغاني  
 (٢) في الأصل «أقيم نخوته» وفيه «كما يقيم لقدح النبعة» وما أثبتناه موافق لما في الأغاني  
 (٣) في الأغاني «يضئ لها»



ثم قال : أنشدوني أحسن بيت وصفت به الثريا ، فقلنا : بيت الزبير  
الأسدي وهو [ من الطويل ] :

وقد لآحَ في الغور الثريا كأنما به رايةٌ بيضاء تحفُّقُ للطننِ  
فقال: أريد أحسن من هذا ، فقلنا : بيت امرئ القيس [ من الطويل ] :  
إذا ما الثريا في السماء تعرَّضتْ تعرَّضَ أُنْباءُ الوشاحِ المُفَصِّلِ  
قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : بيت ابن الطَّيرِية<sup>(١)</sup> [ من الطويل ] :  
إذا ما الثريا في السماء كأنها جُمانٌ وهى من سلكه فتسرعا  
قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : ما عندنا شيء ، قال : قول أبي قيس  
ابن الأسلت [ من الطويل ] :

وقد لآحَ في الصبح الثريالمن رأى كهنقود ملاحية حين نوراً  
قال : فحكم له بالتقدم عليهم في هذين المعنيين ، والله أعلم .

\*\*\*

٧٧ — كأن مُنَّارَ النَّعْمِ فوقَ رُؤُوسِنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبهُ

شاهد المركب  
الحى

البيت لبشار بن برد ، من قصيدة من<sup>(٢)</sup> الطويل يمدح بها ابن هُبَيْرَةَ ،  
وأولها :

جَفَاودَه فَازُورٌ أومَلَّ صاحِبُهُ وأزرى به أن لا يزال يعاتبُهُ  
خليلٌ لا تستكثر الوعة الهوى ولا سلوة الحزون شطَّتْ حبابُهُ

(١) في الأصل « ابن الطيرية » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني  
(٢) انظر أبياتاً منها في حماسة ابن الشجرى ( ٥٧ ر ١٤٣ و ٢٣٤ ) وأبياتاً  
منها في المختار من شعر بشار ( ١ ر ٧٤ ) وأبياتاً منها في حماسة البحترى ( ٧٢ )

يقول فيها :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً      صديقك لم تلقَ الذي لا تغائبه  
ففس واحدًا أو صِلْ أخاك فإنه      مقارفُ ذنبٍ مرةً ومُجانبه  
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى      ظمئتْ وأىُّ الناس تصفو مشاربهُ  
رويدا نصاهل بالعراق جيانا      كأنك بالضحاك قد قام ناديه  
ومنها :

وسامٍ لمروان ومن دونه الشَّجَا      وهولٌ كلُّج البحر جاشت غواربه  
أحلت به أمُّ المناسيا بناتها      بأسيا فنا إنا ردَى من نَحاربه  
وكنا إذا دبَّ العدو لسخطنا      وراقبنا في ظاهرٍ لا نراقبه  
رَكبنا له جهراً بكلِّ منقَفٍ      وأبيض تستسقى الدماء مضاربهُ  
وجيشٍ كجنح الليل يزحف بالحصا      وبالشوك والخطى حمراً ثعالبه  
ومنها :

غدونا له والشمسُ في خِدر أمها      تطالعهما والطلّ لم يجز ذائبة  
بضربٍ يذوق الموت من ذاق طعمه      وتدرِكُ من نجى الفرار مثالبه  
وبعد البيت ، وبعده :

بعثنا لهم موت الفُجاءة إننا      بنو الموت خفاقٌ علينا سبائبه  
فراحوا فريقاً في الأسارى ومثله      قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربهُ  
إذا الملكُ الجبارُ صَعَرَ خدّه      مشينا إليه بالسيوف نعاتبه  
وهي طويلة ، فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم ، وكانت أول عطية  
سَنِيَّةٍ أعطيتها بشار بالشعر ورفعت من ذكره .

والنقع : الغبار ، ومعنى « تهاوى كواكبه » يتساقط بعضها في إثر بعض والأصل « تهاوى » فحذفت إحدى التاءين .

والشاهد فيه : المركب الحسى فى التشبيه الذى طرّاد مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم ، فوجه الشبه مركب كما ترى ، وكذا طرفاه ، كما فى أسرار البلاغة .

يروى أنه قيل لبشار ، وقد أنشد هذا البيت : ما قيل أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ، ولم تر الدنيا قط ولا شيئاً منها ؟ فقال : إن عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته ، وأنشدهم قوله [ من الطويل ] :

عميتُ جُنيئاً والذكاه من العمى      فجئت عجيب الظن للعلم مؤثلاً  
وغاض ضياء العين للعلم رافداً      لقلب إذا ما ضيع الناس حصلاً  
وشعر كنوز الروض لاءمت بينه      بقول إذا ما أحن الشعر أسهلاً  
وحدث أبو يعقوب الخريجي الشاعر أن بشاراً ، قال : لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس فى تشبيهه شيئين بشيئين فى بيت واحد ، حيث يقول [ من الطويل ] :

كأن قلوب الطير رطباً ويابسا      لدى وكرها العُنب والحشف البالى  
أعمل نفسى فى تشبيه شيئين بشيئين ، حتى قلت :

\* كأن مثار النقع — البيت \*

وقد كرهه بشار ، فقال [ من الطويل ] :

خلقت سماء فوقنا بنجومها      سيوفاً وتعايقبض الطرف أقمماً

أبيات في وصف  
إثارة النقع

وقد أخذ هذا المعنى منصور النمرى <sup>(١)</sup> فقال وأحسن [ من البسيط ] :  
ليلٌ من النقع لا شمسٌ ولا قمرٌ إلا جبينك والمذروبة الشرع  
ومسلم بن الوليد أيضاً حيث يقول [ من البسيط ] :  
في عسكر تشرق الأرض الفضاء به كالليل أنجمه القضبان والأسل  
ولمؤلفه رحمه الله من قصيدة عثمانية مظفرية [ من البسيط ] :  
والنقع ليلٌ سماءٌ لا نجومٌ له إلا الأسنة والهندية البتر  
وله في معناه من قصيدة مظفرية أيضاً مع زيادة مخترعة فيما يظن [ من  
الخنيف ] :

يَعْقُدُ النَقْعُ فَوْقَهَا سَحْبًا كَاللَّيْلِ فِيهِ السُّيُوفُ أَضْحَتْ نَجُومًا  
فَتَى مَا رَأَتْ سَوَادَ شَيَاطِينٍ بُغَاةِ الحُرُوبِ عَادَتْ رَجُومًا  
وابن المعتز حيث قال [ من الطويل ] :  
إِذَا شَتَّتْ أَوْقَرَتْ الْبِلَادَ حَوَافِرًا وَسَارَتْ وَرَأَى هَاشِمٌ وَنَزَارُ  
وَعَمَّ السَّمَاءُ النَّقْعُ حَتَّى كَأَنَّهُ دُخَانٌ وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ شَرَارُ  
وبعضهم أيضاً حيث قال [ من الكامل ] :  
نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءَ فَوْقَهَا جَعَلَتْ أَسِنَّةَهَا نَجُومَ سَمَائِهَا  
وأبو الطيب المتنبي حيث قال [ من الكامل ] :  
فَكَأَنَّمَا كُتِبَ النَّهَارُ بِهَا دَجَى لَيْلٍ وَأُطْلِعَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبًا  
وقد نقله إلى مثال آخر فقال [ من الطويل ] :  
تَزُورُ الْأَعَادَى فِي سَمَاءٍ عَجَاجَةٍ أَسْنَتُهَا فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ

وقد ضمنه سيف الدين بن المشد فقال [ من الطويل ] :  
 كأن دُخان العود والنَّد بيننا      وأقداحنا ليلٌ تهوى كواكبُه  
 ولاحتْ لنا شمسُ العقارِ فزقت      دُجى الليل حتى نَظَّمَ الجزع ثاقبه  
 والبرهان القيراطى ضمن المصراع الأخير، وإن كان من غير هذه القصيدة  
 بقوله وأجاد [ من الطويل ] :

ولما بدا والليلُ أسودُ فاحمٌ      قد انتشرت في الخافقين ذوائبه  
 أضاء بيدُر الثغر عند ابتسامه      دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

\*\*\*

## ٧٨ - \* والشمسُ كالمرآة في كفِّ الأشلِّ \*

شاهد المركب  
الحسى في الهيات

هو من الرجز ، واختلف في قائله ، ف قيل : الشماخ ، وقيل : ابن أخيه (٢)  
 وقيل : أبو النجم ، وقيل : ابن المعتز .  
 والأشل : هو الذى يَدست يده أو ذهب .

والشاهد فيه : مجئ المركب الحسى في الهيات التى تقع عليها الحركة من  
 الاستدارة والاستقامة وغيرها ، ويعتبر فيها التركيب ، ويكون ما يجيء في تلك  
 الهيات على وجهين : أحدهما أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل

(٢) ضمن هذا البيت من قول أبى الطمحان القينى :  
 أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم      دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه  
 (٣) فى ديوان الشماخ بن ضرار ( ١٠٩ ) أرجوزة منسوبة إلى جبار بن  
 جزء بن ضرار بن أخى الشماخ ، وأولها قوله :  
 قالت سليمي لست بالحادى المدل      مالك لا تملك أعضاد الابل  
 وفيها هذا الشاهد . وليس فى هذا الديوان مما ينسب إلى الشماخ نفسه هذا  
 الشاهد ، بل ولا كلمة على رويه .

واللون ، والثاني : أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها ، فالأول كما في البيت ، ووجه الشبه من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراف والحركة السريعة المتصلة مع تموج الاشراف واضطرابه بسبب تلك الحركة حتى يرى الشعاع كأنه يهيم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يسدوله فيرجع من الانبساط إلى الانقباض ، فالشمس إذا أخذ الانسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية إلى هذه الهيئة ، وكذلك المرأة إذا كانت في كف الأشل .

آيات في وصف  
حركة الشمس  
والنجوم

وما أعدل قول المعوج الشاعر في معناه [ من الطويل ] :

كَأَن شُعَاعَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ غُدُوٍّ عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ أَوَّلُ طَالِعِ  
دَنَانِيرُ فِي كَفِّ الْأَشْلَى يَضُمُّهَا لِقَبْضِ قَهْوَى مِنْ فُرُوجِ الْأَصَابِعِ

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي [ من الوافر ] :

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ الْبَنَانِ

وأخذه أيضاً القاضي عبد الرحيم الفاضل فقال [ من الكامل ] :

وَالشَّمْسُ مِنْ بَيْنِ الْأَرَائِكِ قَدَحَكَتْ سَيْفًا صَقِيلًا فِي يَدِ رَعْشَاءِ

وما أبدع قول الشهاب التلعفري [ من البسيط ] :

أَفْدَى الَّذِي زَارَنِي فِي اللَّيْلِ مُسْتَرًّا أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الدَّهْشِ

وَلَا حَتَّ الشَّمْسِ تَحْكِي عِنْدَ مَطْلَعِهَا مَرَاةً تَبْرِ بَدَتْ فِي كَفِّ مَرْتَعِشِ

وبديع قول إدريس بن اليماني الغبدي [ من المديد ] :

قُبْلَةٌ كَانَتْ عَلَى دَهْشٍ أَذْهَبَتْ مَا بِي مِنَ الْعَطَشِ

وَلَهَا فِي الْقَلْبِ مَنَزَلَةٌ لَوْ عَدَّتْهَا النَّفْسُ لَمْ تَعِشِ

طَرَقَتْنِي وَالِدَجِي لَا بَسَّ خَلَعًا مِنْ جِلْدَةِ الْحَبَشِ

وَكَأَنَّ النَّجْمَ حِينَ بَدَا دَرُهمُ فِي كَفِّ مُرْتَعِشِ

وقول النامي [من الطويل] :  
سما غصونٌ تحجبُ الشمسَ أن تُرى      على الأرضِ إلا مثلَ نثرِ الدراهمِ

\* \*

٧٩ — وكأنَّ البرقَ مصحفُ قارٍ      فأنطَبَاقاً مرةً وانفتاحاً

شاهد تجرد  
الحركة عن  
غيرها

البيت لابن المعتز، من قصيدة <sup>(١)</sup> من المديد <sup>(٢)</sup>، وأولها :

عَرَفَ الدارَ فحياً وناحاً      بعدما كان صحاً واستراحاً  
ظَلَّ يَلْجَأُ العَدُولُ ويأبى      في عَيْنانِ العَذْلِ إلا جَاحاً  
عَلِّمُونِي كَيْفَ أَسْلُو وإلا      فخذوا من مُقَلَّتِي الملاحاً <sup>(٣)</sup>  
من رَأى بَرَقاً يُضِيءُ التماحاً      ثَقَبَ اللَّيْلَ سَناءُ فَلَاحاً

وبعد البيت ، وبعده <sup>(١)</sup> :

لم يزل يلمعُ بالليل حتى      خَلَّتْهُ نَبْهٌ فِيهِ صَبَاحاً  
وكان الرِّعْدُ فخلُّ لِقَاح      كلما يُعْجِبُهُ البرقُ صاحاً

(١) اقرأ هذه القصيدة في مفتتح حرف الحاء المهملة من الباب الثالث من ديوان ابن المعتز (١٣٢ بيروت) والبيت في أسرار البلاغة ١٣١ و ١٣٦

(٢) في الأصل « من الرمل » خطأ ، والقصيدة من بحر المديد ، وأجزاؤه « فاعلاتن فاعلن فاعلاتن »

(٣) في الديوان « فخذوا عن مقلي »

(٤) في الديوان زيادة بيت بين البيت المستشهد به والذي ذكر المؤلف أنه بعده ، وهو قوله :

في ركام ضاق بالماء ذرعاً      حينما مالت به الريح ساحاً

والبرق : واحد بروق السحاب ، أو هو ضَرْبُ ملكِ السحاب وتحرّيكه إياه لينساق فترى النيران .

والشاهد فيه : الوجه الثانى ، وهو تجرد الحركة عن غيرها من الأوصاف مع اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له ، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفلى ؛ ليتحقق التركيب وإلا لكان وجه الشبه مفرداً وهو الحركة لا مركباً ، فحركة المصحف الشريف فى انطباقه وانفتاحه فيها تركيب لأن المصحف يتحرك فى الحالتين إلى جهتين فى كل حالة إلى جهة .

ومثله قول القلعي المغربي [ من الكامل ] :

أيات فى وصف  
البرق والسحب

والسحب تلعب بالبروق كأنها      قار على عجل يقلب مصحفاً  
قد قلدت بالنور أجساد الربا      حلياً وألبست الخائل مطرفاً  
وما أحسن قول بعضهم فى وصف البرق [ من الرمل ] :

عارض أقبل فى جنح الدجى      يتهادى كتهادى ذى الوجى  
أتلفت ريح الصبا لؤلؤه      فانبرى يوقد غنها سُرُجاً  
وكان الرعد حادى مُضَعَبٍ      كلما صال عليه وشجا  
وكان البرق كأس سكبت      فى لهاه المزن حتى لهحا  
وكان الجو ميدان وغى      رفعت فيه المذاكى رهجاً

وما أحسن قول ابن المعتز فيه أيضاً <sup>(١)</sup> [ من الرجز ] :

رأيت فيها برقها منذ بدت      كمثل طرف العين أو قلب وجب <sup>(٢)</sup>

(١) اقرأها فى الديوان ( ١٦ بيروت )

(٢) فى الديوان « لما وثب » فى مكان « منذ بدت » وفيه « أو قلب يجب »



ثم حدا بها الصبا حتى بدا فيها لي البرق كأمثال الشهب<sup>(١)</sup>  
 تحسبه فيها إذا ما انصدعت أحشاؤها عنه شجاعا يضطرب<sup>(٢)</sup>  
 وتارة تحسبه كأنه أبلق مال جلّه حين وثب<sup>(٣)</sup>  
 حتى إذا ما رَفَعَ اليوم الضحى حسبته سلاسلًا من الذهب<sup>(٤)</sup>  
 وقد ولد أبو العباس بن أبي طالب العربي من تشبيه البرق بالسلاسل توليداً  
 بديعاً، فقال يصف ممدوحه بسرعة البديهة إذا كتب [من المتقارب] :  
 له قلم لو يجارى البروق نخلت السلاسل فيه قيوداً  
 وللأديب أبي حفص أحمد بن برد في السحاب والبرق [من المتقارب] :  
 ويوم تفنن في طيبه وجاءت مواقيته بالعجب  
 تجلّ الصباح به عن حياً قد أسقى وعن زهر قد شرب  
 ومازلت أحسب فيه السحاب ونار بوارقه تلتهب  
 بخاتي توضع في سيرها وقد فزعت بسياط الذهب  
 ولأبي عثمان الخالدي في مثله [من المنسرح] :  
 أذن من الدنّ لي فذاك أبي واشرب وأسقى الكبير وانتخب  
 أما ترى الطلّ وهو يلمع في عيون نور تدعو إلى الطرب

- (١) هذا البيت يروى في الديوان :  
 ثم حدث بها الصبا كأنها فيها من البرق كأمثال الشهب  
 (٢) يروى هذا البيت في الديوان :  
 إذا تعرى البرق فيها خلسته بطن شجاع في كئيب يضطرب  
 (٣) في الديوان «وتارة تبصره»  
 (٤) يروى هذا البيت في الديوان :  
 وتارة تخاله إذا بدا سلاسل مصقولة من الذهب

والصبح قد جُرِّدَتْ صَوَارِمُهُ      والليل قد هم منه بالهَرَبِ  
والجوُّ في حُلَّةٍ مَمْسُكَةٍ      قد كَتَبَتْهَا البرقُ بالذهب  
وللسرى الرفاء في مثله [ من المتقارب ] :  
غيومٌ تَمَسُّكَ أَفْقَ السَّاءِ      وبرقٌ يَكْتُبُهَا بالذهب  
وله أيضاً ، وينسب للخالدي [ من الوافر ] :  
وبرقٌ مِثْلُ حَاشِيَتِي رِداءٍ      جَدِيدٍ مُذهَّبٍ في يوم رِيح  
وللخالدي فيه أيضاً وأجاد [ من الطويل ] :  
أَلا فاسقني والليل قد غابَ نوره      لغيبة بدر في الظلام غريق  
وقد فَضَحَ الظَّلماءُ بَرَقٌ كَأَنَّهُ      فؤادٌ مَشُوقٌ مولعٌ بخفوق  
وقد سرقه من قول ابن المعتز [ من الطويل ] :  
أَمْنُكَ سَرَى يابِشَ طَيْفٌ كَأَنَّهُ      فؤادٌ مَشُوقٌ مولعٌ بخفوق  
وسرقة السرى الرفاء أيضاً ، فقال من قصيدة [ من البسيط ] :  
أَمَّا ثَرَى الصُّبْحِ قَدْ قَامَتْ عَسَاكِرُهُ      في الشرق تنشرُ أعلاماً من الذهب  
والجوُّ يَخْتَالُ في حُجْبٍ مَمْسُكَةٍ      كأنما البرق فيها قلبُ ذِي رُعبٍ  
وما أحسن قوله فيه أيضاً [ من الكامل ] :  
وحدائقُ يَسْبِيكَ وَشَى بُرودها      حتى تشبهها سَبَائِبُ عِبْقَرٍ  
يَجْرِي النسيمُ خِلالها فكأنما      غُمِسَتْ قُضُولُ رِداءه في عنبرٍ  
باتت قلوبُ المَحَلِّ تَخْفِقُ بينها      بخفوقِ رَاياتِ السحابِ المَطَرِ  
من كل نَأَى الحِجْزَيْنِ مولعٍ      بالبرقِ كَدَانِي الظلَّيْنِ مُشَهَّرِ (١)

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هذا البيت بهامش النسخة ما نصه ==

تُحْدَى بِالسَّنةِ الرَّعُودِ عِشَارُهُ      فَتُسِيرُ بَيْنَ مُعَرَّدٍ وَمَزَجِرٍ  
ظَارَتْ عَقِيقَةُ بَرْقِهِ فَكَأَنَّمَا      صَدَعَتْ نَمْسِكَ غَيْمِهِ بِمَعْصِفٍ  
وَلَأَبَى الْقَاسِمُ الزَّاهِي فِيهِ أَيْضًا [مَنِ الْبَسِيطُ] :  
الرَّيْحُ تُعَصِفُ الْأَغْصَانُ تَعْتَنِقُ      وَالْمَزْنُ بِأَكِيَّةٍ وَالزَّهْرُ مُعْتَبِقُ  
كَأَنَّمَا اللَّيْلُ جَفَنُ الْبُرُوقِ لَهُ      عَيْنُ مِنَ الشَّمْسِ تَبْدُو ثَمَّ تَنْطَبِقُ  
وَلِبَعْضِهِمْ [مَنِ السَّرِيعُ] :

بَرْقُ أَطَارِ الْقَلْبِ لِمَا اسْتَطَارَ      أَنْارَ جَنَحِ اللَّيْلِ لِمَا اسْتَنَارَ  
ذَابَ لَجِينُ الْمَزْنِ لِمَا رَمَى      مَعْدَنَهُ مِنْهُ بِمَقْبَاسِ نَارَ

ترجمة ابن المعتز

وابن المعتز (١) : هو عبد الله بن محمد — وقيل الزبير — المعتز بالله  
ابن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ، الأمير الأديب ، صاحب النظم  
البديع والنثر الفائق . أخذ الأدب والعربية عن المبرد وعلب ، ومؤدبه  
أحمد بن سعيد الدمشقي . ومولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين ، وهو  
أول من صنف في صنعة الشعر ، وضع كتاب البديع ، وهو أشعر بني هاشم على  
الإطلاق ، وأشعر الناس في الأوصاف والتشبيهات ، وكان يقول : إذا قلت  
« كَأَنَّ » ولم آت بعدها بالتشبيه ففضَّ الله فأى (٢) .

== « قوله الظلّتين ، في بعض النسخ الطلّتين ، وفي بعضها الطلبتين ، ولعله الكلّيتين ،  
ودنوها كناية عن ضيق ملايين الحرقفتين وتضامه ، والبيت كناية عن كون  
السحاب المشبه بالابل واسعا من جهة حسبا أشار له بقوله نأى الحجزتين متضاما  
من جهة أخرى كما أشار له بقوله دأى الكلّيتين ، فليتأمل وليراجع » اهـ

(١) تجد بعض أخباره في الأغاني (٩ - ١٤٠)

(٢) هذا التعبير خطأ في العربية ، والصواب أن يقال « ففضَّ الله في » بتشديد  
الياء ، لأن شرط إعراب الأسماء الخمسة بالآلف نصباً أن تكون إضافتها لغير  
ياء المتكلم

وحدث جعفر بن قدامة ، قال : كنت عند ابن المعتز يوماً ، وعنده سرية<sup>(١)</sup> ، وكان يحبها ويهيم بها ، فخرجت علينا من صدر البستان في زمن الربيع وعليها غلالة معصفرة ، وفي يدها جنابي من با كورة باقلاء ، والجنابي : لعبة للصبيان ، فقالت له : ياسيدي ، تلعب معي جنابي ؟ فالتفت إلينا ، وقال على بديته غير متفكر ولا متوقف [ من البسيط ] :

فديتُ من مريمشي في معصفرة عشيّة فسقاني ثم حيانِي  
وقال تلعبُ جنابي فقلتُ له من جدّ بالوصل لم يلعب بهجران  
وأمر فغنى به .

وحدث جعفر قال : كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبه ، وكان يغني غناء صالحاً ، وكان يدعى بنشوان ، فجُدِرَ ، فخرج عبد الله لذلك جزعا شديداً ثم عوفي ولم يؤثر الجُدَرى في وجهه أثراً قبيحاً ، فدخلت عليه ذات يوم فقال لي : يا أبا القاسم قد عوفي فلان بعدك وخرج أحسن مما كان ، وقلت فيه بيتين ، وغنت زرياب فيهما رملا ظريفا فاسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غناء ، فقلت : يتفضل الأمير - أبله الله ! - بانشادي إياهما ، فأنشدني [ من السريع ] :

بي قمرٍ جدّر لما استوى فزاده حسناً وزالت هموم  
أظنه غنى لشمس الضحى فنقطته طرباً بالنجوم

فقلت : أحسنت والله أيها الأمير ، فقال : لو سمعته من زرياب كنت أشد استحساناً له ، وخرجت زرياب فغنته لنا في طريقة الرمل غناء شربنا عليه عامة يومنا .

قال : وغضب هذا الغلام عليه ، فجهد أن يترضاه ، فلم تكن له فيه حيلة ، ودخلت عليه فأنشدني فيه [ من مجزوء الخفيف ] :

(١) سماها في الأغاني باسمها فقال « وعنده نشر وكان يحبها ويهيم بها » وأظن أن اسمها « بشر » كما ورد في شعره ، وانظر (ص ٣٧ من هذا الجزء)

بأبي أنتَ قد تما ديتَ في الهجر والغضبِ  
واضطباري على صدو ديك يوماً من العجبِ  
ليس لي إن فقدتَ وجهك في العيش من أرب  
رحمَ الله من أعان على الصلح واحتسب

قال : فضيت إلى الغلام ، ولم أزل أداريه وأرفق به حتى ترضيته له وجثته به ، فر لنا يومئذ أطيب يوم وأحسنه وغننتنا زريب<sup>(١)</sup> في هذا الشعر رملاً عجيباً .

وحدث عبد الله بن موسى الكاتب ، قال : دخلت على عبد الله بن المعتز وفي داره طبقات من الصناعات<sup>(٢)</sup> وهو يبينها ويبيضاها ، فقلت له : ما هذه الغرامة الجادة<sup>(٣)</sup> والكلفة ؟ فقال : السيل الذي جاء من ليالٍ أحدث في داري ما أخرج إلى هذه الغرامة الجادة<sup>(٣)</sup> والكلفة ، فقلت<sup>(٤)</sup> [ من المتقارب ] :

ألا من لنفسٍ وأحزانها ودار تداعى بحيطانها<sup>(٥)</sup>  
أظلُّ نهاري في شمسه شقياً معني ببنينها  
أسود وجهي بتبييضها وأهدمُ كيبي لعمرانها<sup>(٦)</sup>

(١) في الأغاني «وغننتنا هزار» وهو في بعض أصول مطبوعة بولاق  
(٢) في مطبوعة بولاق «طبقات من الصانع» وهو تحريف ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

(٣) في الأغاني «ما هذه الغرامة الحادثة»

(٤) في الأغاني «وقال» والآيات لابن المعتز ، وهي في ديوانه (٢٨٤)

(٥) في الديوان «ودار تداعت»

(٦) في الديوان «لتبييضها» وفيه «لعمرانها» وفي الديوان بيت بين هذا والذي قبله وهو قوله :

ولا أحد من ذوي قررتي يساعدنني عند إتيانها

ومن هنا أخذ أبو الحسين الجزار قوله [ من الطويل ] :

أَكَلْتُ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ      شُرُورًا عَلَى مَنْ لَا أَفُوزُ بِخَيْرِهِ  
كَاسُوا ذَا الْقَصَارِ فِي الشَّمْسِ وَجْهَهُ      لِيَجْهَدَ فِي تَبْيِضِ أَثْوَابٍ غَيْرِهِ

وحدث جعفر بن قدامة قال : كنت عند عبد الله بن المعتز ، ومعنا النميرى ،  
فحضرت الصلاة ، فقام النميرى فصلى صلاة خفيفة جداً ، ثم دعا بعد انقضاء صلاته  
وسجد سجدة طويلة جداً حتى استثقله جميع من حضر بسببها ، وعبد الله ينظر  
متعجباً ، ثم قال [ من المتقارب ] :

صَلَاتُكَ بَيْنَ الْمَلَأِ تَقَرَّةٌ      كَمَا اخْتَلَسَ الْجُرْعَةُ الْوَالِغُ  
وَتَسْجُدُ مِنْ بَعْدِهَا سَجْدَةٌ      كَمَا خَتَمَ الْمَزُودُ الْفَارِغُ

وقال : كنا عند عبد الله بن المعتز يوماً ، ومعنا النميرى ، وعنده جارية لبعض  
بنات المعتز تغنيه ، وكانت محسنة إلا أنها كانت فى غاية القبح ، فجعل عبد الله  
يجمشها ويتعاشق ، فلما قامت قال له النميرى : أيها الأمير ، سألتك بالله أنعشق  
هذه التى ما رأيت قط أقبح منها ؟ فقال وهو يضحك [ من السريع ] :

قَلْبِي وَثَّابٌ إِلَى ذَا وَذَا      لَيْسَ يَرَى شَيْئًا فَيَأْبَاهُ  
يَهْمُ بِالْحَسَنِ كَمَا يَنْبَغِي      وَبِرَحْمِ الْقَبِيحِ فَيَهْوَاهُ

وقال : كنت أشرب مع عبد الله بن المعتز فى يوم من أيام الربيع بالعباسية  
والدنيا كالجنة المزخرقة فقال عبد الله [ من مجزوء الرمل ] :

حَبْدًا آذَارُ شَهْرًا      فِيهِ لِلنُّورِ انْتِشَارُ  
يَنْقُصُ اللَّيْلُ إِذَا حَلَّ      وَيمتدُّ النَّهَارُ (١)

(١) فى الأغاني « ينقص الليل إذا جاء »

وعلى الأرض اصفرارٌ واخضرارٌ واحمرارٌ  
فكان الرّوض وشى بالفت فيه التجار  
نقشه آس ونسرين وورد وبهار

وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف مؤنس  
ابنه محمد بن عبيد الله على شرطة بغداد [من الطويل] :

فرحت بما أضعافه دون قدركم وقلت عسى قدهب من نومه الدهر  
فترجع فينا دولة طاهريّة كما بدأت والأمر من بعده الأمر  
عسى الله إن الله ليس بغافل ولا بد من يسر إذا ما انتهى العسر  
فكتب إليه عبيد الله قصيدة منها [من الطويل] :

وتحن لكم إن نالنا مس جفوة فتنّا على لأوائها الصبر والعذر  
فان رجعت من نعمة الله دولة إلينا فمنا عندها الحمد والشكر

وجاء محمد بن عبيد الله المذكور بعقب هذا شاكرًا لتهنئته ، ولم يعد إليه  
مدة طويلة ، فكتب إليه ابن المعتز يقول [من المنسرح] :

قد جئنا مرة ولم تك ولم تزر بعدها ولم تعد  
لست ترى واجدا بنا عوضا فاطلب وجرب واستقص واجتهد  
ناولني جبل وصله بيد وهجره جاذب له بيد  
فلم يكن بين ذا وذا أمد إلا كما بين ليلة وغد

ولم يزل في طيب عيش ودعة من عوادي الزمان إلى أن قامت الدولة ووثبوا  
على المقتدر وخلعوه ، وأقاموا ابن المعتز ، فقال : يشترط أن لا يقتل بسبي مسلم ،  
ولقبوه « المرتضى بالله » وقيل « المنصف » وقيل « الغالب » وقيل « الراضى »  
فحدث المعافى بن زكريا الجريري قال : لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز

دخلوا على شيخنا محمد بن جرير رحمه الله ، فقال : ما الخبر ؟ فقيل له : بويح ابن المعتز ، قال : فمن رشح للوزارة ؟ فقيل : محمد بن داود ، قال : فمن ذكر للقضاء ؟ قيل : الحسن بن المثنى ، فأطرق ثم قال : هذا الأمر لا يتم ، قيل : وكيف ؟ قال : كل واحد ممن سمعتم متقدم في معناه ، على الرتبة ، والدنيا مولية ، والزمان مديبر ، وما أرى هذا إلا لاضمحلال ، وما أرى لمدته طولاً .

وبعث ابن المعتز إلى المقتدر يأمره بالتحويل إلى دار محمد بن طاهر ، لكي ينتقل هو إلى دار الخلافة ، فأجاب ، ولم يكن يبق معه غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن وغريب خاله وجماعة من الخدم ، فباكر الحسين بن حمدان دار الخلافة فقاتلها ، فاجتمع الخدم فدفعوه عنها بعد أن حمل ما قدر عليه من المال وسار إلى الموصل ، ثم قال الذين عند المقتدر : يا قوم نسلّم هذا الأمر ، ولا نجرب أنفسنا في دفع منازل بنا ، فزلوا في الزوارق ، وألبسوا جماعة منهم السلاح ، وقصدوا الحرم وبه عبد الله بن المعتز ، فلما رأهم من حوله أوقع الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا منهزمين بلا حرب ، وخرج ابن المعتز فركب فرساً ومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يمن ، وقد شهر سيفه وهو ينادى : معاشر الغامة ادعوا لخليفكم ، وأشاروا إلى الجيش ليتبعوهم إلى سامرا ليثبتوا أمرهم ، فلم يتبعهم أحد ، فنزل ابن المعتز عن دابته ودخل دار ابن الجصاص الجوهري ، واختفى الوزير ابن داود والقاضي الحسن بن المثنى ، ونهبت دورهم ، ووقع النهب والقتل في بغداد ، وقبض المقتدر على الأمراء والقضاة الذين خلعوه ، وسلمهم إلى مؤنس الخازن ، فقتلهم ، واستقام الأمر للمقتدر ، واستوزر ابن الفرات ، ثم بعث جماعة فكبسوا دار ابن الجصاص وأخذوا ابن المعتز وابن الجصاص ، فصور ابن الجصاص ، وحبس ابن المعتز ، ثم أخرج فيما بعد ميتاً ، وراثه على بن محمد بن بسام بقوله [ من البسيط ] :

لله درك من ملاك بمضيعة ناهيك في العقل والآداب والحسب .



ما فيه لو<sup>١</sup>، لا، ولا ليت<sup>٢</sup> تنقصه وإنما أدركته حرفة الأدب  
وهو مأخوذ من قول أبي تمام الطائي [من البسيط]:

ما زلت أرمي بأمالى مطالبها لم يخلق العرض منى سواه مطلق  
إذا قصدت لساو خيلت أني قد أدركته أدركتني حرفة الأدب  
وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى، فقال ابن الساعاتي [من البسيط]:  
عفت القريض فلا أسمو له أبداً حتى لقد عفت نأرويه في الكتب  
هجرت نظمي له لا من مهاتمه لكنها خيفة من حرفة الأدب  
وقال ابن قلاقس [من البسيط]:

لا أقتضيك لتقديم وعدت به من عادة الغيث أن يأتي بلا طلب  
عيون جاهك عنى غير نائمة وإنما أنا أخشى حرفة الأدب  
وذكرت بهذا ما أنشدنيه بعض أدباء العصر متسلية، حين قعدت  
الأحوال، وقامت الأهوال، وهو الشهاب ابن محمود النابلسي، رحمه الله تعالى  
[من المجتث]:

عبد الرحيم أضاعوا بدولة ضيعته  
ما فيه لو<sup>١</sup> ولا ليت<sup>٢</sup> إنما أدركته (١)

رجع إلى أخبار ابن المعتز رحمه الله.

قال بعض من كان يخدمه: إنه خرج يوماً يتنزه ومعه ندماءؤه، وقصد باب  
الحديد، وبستان الناعورة، وكان ذلك آخر أيامه، فأخذ خزفة، وكتب على  
الجبص [من المجتث]:

(١) في الأصول «ما فيه لولا وليت وإنما» محرفا عما أثبتناه

سَقِيًّا لَظَلَّ زَمَانِي      وَدَهْرِيَّ الْحَمُودِ  
وَلَّى كَلِيلَةَ وَصَلٍ      قَدَامَ يَوْمِ صُدُودِ  
قال : وضرب الدهر ضرباته ، ثم عُدَّتْ بعد قتله ، فوجدتُ خطه خفيًّا ،  
وتحتته مكتوب [ من المجتث ] :

أَفَ لَظَلَّ زَمَانِي      وَعِيشِي الْمُنْكَودِ  
فَارَقْتُ أَهْلِي وَالْفِي      وَصَاحِبِي وَوَدُودِي  
وَمِنْ هَوَيْتُ جَفَانِي      مَطَاوِعًا لِحَسُودِي  
يَا رَبَّ مَوْتًا وَإِلَّا      فَرَاخَةً مِنْ صُدُودِ

ويقال : إنه لما سلم لمؤنس الخادم ليهلكه أنشد<sup>(١)</sup> [ من البسيط ] :

يَا نَفْسُ صَبْرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عَقْبَاكَ      خَانَتْكَ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْأَمْنِ دُنْيَاكَ  
مَرَّتْ بِنَا سَحَرًا طَيْرٌ قَقَلْتُ لَهَا :      طُوبَاكَ يَا لَيْتَنِي إِيَّاكَ طُوبَاكَ  
إِنْ كَانَ قَصْدُكَ شَوْقًا بِالسَّلَامِ عَلَى      شَاطِئِ الْفَرَاتِ ابْلُغِي إِنْ كَانَ مِثْوَاكَ  
مِنْ مَوْتِي بِالْمَنَايَا لَا فَكَاكَ لَهُ      يَبْكِي الدَّمَاءُ عَلَى إِلْفٍ لَهُ بَاكِ  
إِلَى أَنْ قَالَ :

أَظَنَّهُ آخِرَ الْأَيَّامِ مِنْ عُمرِي      وَأَوْشَكَ الْيَوْمَ أَنْ يَبْكِيَ لَهُ الْبَاكِ  
وَمِنْ نَثَرِهِ الْجَارِي مَجْرَى الْحَكَمِ وَالْأَمْثَالِ : مِنْ تَجَاوَزِ الْكَفَافِ لَمْ يَغْنَهُ  
الْإِكْثَارُ . رَبَّمَا أوردَ الطَّمَعُ وَلَمْ يَصْدُرْ . مِنْ ارْتَحَلِ الْحَرَصُ<sup>(٢)</sup> أَضْنَاهُ الْطَلَبُ<sup>(٣)</sup> .

(١) في الديوان (٣٣٩) بيتان أولهما أول هذه الأبيات وثانيهما :

لَسَكُنَ هُوَ الدَّهْرَ لِقِيَاهُ عَلَى حَذَرٍ      قَرِبَ حَارِسُ نَفْسٍ تَحْتَ أَشْرَاكِ

(٢) ارتحلته : اتخذته راحله يركبها في سيره ، والمراد من اتخذ الحرس

وسيلة إلى أغراضه

(٣) أضناه : أوردته الضنى ، يريد أتعبه

الحظ يأتي من لا يأتيه . أشقى الناس أقربهم من السلطان كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها إلى الاحتراق . من شارك السلطان في غز الدنيا شاركه في ذل الآخرة . يكفيك للحاسد غمه بسرورك .

ومن شعره <sup>(١)</sup> [ من الطويل ] :

وإني لمعدورٌ على طولِ حبها      لأن لها وجهاً يدلّ على عندي  
إذا ما بدتْ والبدرُ ليلةَ تيمّه      رأيتَ لها فضلاً مبيناً على البدرِ  
وتتمتْ من تحت الشياب كأنها      قضيبٌ من الریحان في الورق الخضرِ  
أبي الله إلا أن أموت صبايةً      بساحرة العينين طيبة النشْرِ  
ومنه [ من السريع ] :

من لي بقلبٍ صيغَ من صخرةٍ      في جسدٍ من لؤلؤٍ رطبٍ  
جرحتُ خديه بلحظي فما      برحتُ حتى اقتص من قلبي  
ومنه ، ويعزى لغيره [ من المتقارب ] :

تفقدُ مساقطَ لحظ المريبِ      فإن العيونَ وجوه القلوبِ  
وطالعُ بوادهُ في الكلام      فإنك تجنى ثمار الغيوبِ  
ومنه [ من السريع ] :

سابقٌ إلى مالِكٍ ورّائهُ      ما المرء في الدنيا بلبّاثِ  
كم صامتٍ تخفق أكياسهُ      قد صاح في ميزان ميراثِ  
ومنه [ من البسيط ] :

يطارق في الدُّجى والليلُ منبسطُ      على البلاد بهم ثابتُ الدّعَمِ  
طرقت باب غنى طابت مواردهُ      ونائلاً كأنهم مال العارض السجَمِ

(١) هذه الأبيات لا توجد في ديوانه المطبوع

حكم الضيوف بهذا الربع أنفذ من حكم الخلائف آبائي على الأمم  
فكل ما فيه مبنول لطارقه ولا زمام له إلا على الحرم  
ومنه قوله في القلم [ من الخفيف ] :

قلم ما أراه أم فلك يجري بما شاء قاسم ويسير  
راكح ساجد يقبل قرطا سا كاقبل البساط شكور

ومنه قول ابن طباطبا [ من الكامل ] :

قلم يدور بكفه فكأنه فلك يدور بنحسه وسعوده

وقوله فيه أيضا، وأجاد [ من الكامل ] :

أقسمت بالقلم الحسام فلم يزل يردى به حتى وينتاش الردى  
وإذا رضىت فريقه أربى وإن أضمرت سخطا مج سم الأسود  
فكأنه فلك بكفك دائر يجرى النجوم بأنحس وبأسعد

وما أحسن قول الآخر فيه [ من الكامل ] :

قلم يفل الجيش وهو عرمرم والبيض ما سلئت من الأغناد  
وهبت له الآجام حين نشأ بها كرم السيول وصوله الآساد

وقول النهايى فيه أيضا [ من الكامل ] :

قلم يقلم ظفر كل ملة ويكف كف حوادث الأيام

وقول أبى سعيد بن بوقه [ من الكامل ] :

قلم يمج على العداة سماه لكنه للمرتجين سماه  
كم قد أسكت به لعبدك ريقة سوداء فيها نعمة بيضاء

ومحاسن ابن المعتز كثيرة، وكان قتله في ربيع الآخر سنة ست وتسعين

ومائتين، رحمه الله وسامحه !!

## ٨٠ — \* يَقْمِي جُلُوسَ الْبَدَوِيِّ الْمِصْطَلِيَّ \*

شاهد التركيب  
في هيئة السكون

قائله المتنبي ، من أرجوزة <sup>(١)</sup> قالها ارتجالاً في مجلسه يصف كلباً أخذ ظيباً  
وحده بغير صقر ، وأولها :

ومنزل ليس لنا بمنزل	ولا لغير الغاديات الهطل <sup>(٢)</sup>
ندى الخزامى ذقر القرنفل	محلل ملوحش لم يحال
عن لنا فيه مراعى مغزل	محين النفس يعيد الموئل <sup>(٣)</sup>
أغناه حسن الجيد عن لبس الحلى	وعادة العرى عن التفضل
كأنه مضخ بصندل	مترضا بمنزل قرن الأيل
يحول بين الكلب والتأمل	فل كلابى وثاق الأجل
عن أشدق مسوَجَرٍ مُسلسل	أقب ساطٍ شرسٍ شمرذل <sup>(٤)</sup>
منها إذا يُثَغَّ له لا يغزل	مؤجد الققرة رخو المفصل <sup>(٥)</sup>
له إذا أدبر لحظ المقبل	يعدو إذا أحزن عدو المسهل

\* إذا تلا جاء المدى وقد بُلي \*

وبعد البيت ، وبعده :

## (١) أقرأها في الديوان (٣-٢٠١)

- (٢) الغاديات : السحب ، والهطل : جمع هاطلة ، وهي الكثيرة الماء .  
(٣) أراد بالمراعى الطي ، والمغزل : التى معها غزالها ، ومحين النفس : هالك  
(٤) الأشدق : الواسع الشدق ، والمسوَجَر : الذى فى رقبتة ساجور ،  
والمسلسل : الذى فى رقبتة سلسلة . والأقب : الضامر البطن ، والساطى :  
الذى يسطو على الصيد .  
(٥) مأخوذ من الشفاء ، وهو الصياح ، ولا يغزل : لا يتلف ولا يتخير .

بَارِيعٌ مَجْدُودَةٌ لَمْ تُجَدَلِ      قُتِلَ الْيَادَى رِبَذَاتِ الْأَرْجُلِ  
آثَارُهَا أَمْثَالُهَا فِي الْجَنْدَلِ      يَكَادُ فِي الْوُثْبِ مِنَ التَّفْتُلِ  
يَجْمَعُ بَيْنَ مَتْنِهِ وَالْكُلْكُلِ      وَبَيْنَ أَعْلَاهُ وَبَيْنَ الْأَسْفَلِ  
وهي طويلة

والإقعاء : الجلوس على الأليتين ، والمصطلى : المتدفىء بالنار .

والشاهد فيه : وقوع التركيب في هيئة السكون لوجه الشبه من الهيئة  
الحاصلة من موقع كل عضو من الكلب في إقعائه ، فإنه يكون لكل عضوه منه  
موقع خاص ، والجموع صورة خاصة ، مؤلفة من تلك المواقع ؛ وكذلك صورة  
جلوس البدوى عند الاصطلاء بالنار الموقدة على الأرض .

وفي مثل ذلك قول الأخيطل الأهوازي يصف (١) مصلوباً [من البسيط] : أبيات في وصف  
للمصلوب

كَأَنَّهُ عَاشِقٌ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ      يَوْمَ الْفِرَاقِ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَحِلِ  
أَوْ قَائِمٍ مِنْ نُعَاسٍ فِيهِ لُوثَتُهُ      مُوَاصِلٌ لِمُتَطْيِّهِ مِنَ الْكُسَلِ

شبهه بالمتطى المواصل لتمطيه مع التعرض لسببه ، وهو اللوثة والكسل ، فنظر  
إلى الجهات الثلاث ، فلفظ بحسب التركيب والتفصيل ؛ بخلاف تشبيهه  
بالمتمطى ، فإنه قريب التناول ، يقع في نفس الرائي للمصلوب ، لكونه  
أصراً جلياً .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف المصلوب (٢) بقوله [من الطويل] :

كَأَنَّ لَهُ فِي الْجَوِّ حَبلاً يَبُوعُهُ      إِذَا مَا انْقَضَى حَبْلٌ أُتْبِيعَ لَهُ حَبْلُ  
يُعَانِقُ أَنْفَاسَ الرِّيحِ مُودَعًا      وَدَاعَ رَحِيلٍ لَا يَحِطُّ لَهُ رَحْلُ

(١) أنشدهما الشيخ عبد القاهر في أسرار البلاغة (١٦٣) بدون نسبة

(٢) أنشدهما الشيخ في أسرار البلاغة (١٦٤) متسويين لابن الرومي أيضاً

(٤ — مائة ٢)

وللبحتري فيه [ من الكامل ] :

فتراهُ مطرداً على أعوادهِ      مثل أطرادِ كواكبِ الجوزاءِ  
مستشرقاً للشمس منتصباً لها      في أخرياتِ الجدعِ كالحرِّباءِ

ولابن المعتز فيه [ من الوافر ] :

أَرَانِيكَ إِلَّا لَهُ قَرِينُ جَدْعٍ      يَضْمُكَ غَيْرَ ضَمِّ الْإِتْرَامِ  
كُلُّوْطِيَّ لَهُ أَيْرُ طَوِيلُ      يَفْخِذُ لِلْمَوَاجِرِ مِنْ قِيَامِ

ولابراهيم بن المهدي فيه [ من البسيط ] :

كَأَنَّهُ شَلُوْ كَبْشٍ وَالهَجِيرُ لَهُ      تَنْوُرُ شَاوِيَةٍ وَالْجَدْعُ سَفُودُ

ولابن حمديس فيه [ من الطويل ] :

وَمُرْتَفِعٍ فِي الْجَدْعِ إِذْ حُطَّ قَدْرُهُ      أَسَاءَ إِلَيْهِ ظَالِمٌ وَهُوَ مُحْسِنُ  
كَذَى غَرَقِي مَدَّ الذَّرَاعِينَ سَابِحاً      مِنَ الْجَوْ بِحَرٍّ عَوْمُهُ لَيْسَ بِمَكْنُ  
وَتَحْسِبُهُ مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ دَانِيَاً      يِعَانِقُ حَوْرًا لَا تَرَاهُنَّ أَعْيُنُ

وما أحسن قول ابن الأنباري في ابن بقية (١) الوزير لما صلب من

أبيات [ من الوافر ] :

كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا      وَوُقُودٌ يَدِيكَ أَيَّامَ الصَّلَاتِ  
كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيْباً      وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ  
وَقَدْ أَخَذَ مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِ [ من الطويل ] :  
وَصَلُّوا عَلَيْهِ خَاشِعِينَ كَأَنَّهُمْ      وَوُقُودٌ وَوُقُوفٌ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ

(١) أنشد الشيخ عبد القاهر ستة عشر بيتاً من هذه المرثية فيها هذان البيتان ، في أسرار البلاغة (٣٠٠).

ولعمر الخراط فيه [ من الكامل ] :

انظرُ إليه كأنه في وصفه مُتَظَلِّمٌ لَحَظَ السَّاءَ بِطَرْفه  
بسطَ اليدين كأنه يدعُو على من قد أشارَ على الأمير بِحُفنه

وللفقيه عمارة اليمى فيه [ من الوافر ] :

ومدَّ على صليبِ الصَّليبِ منه يميناً لا تطولُ إلى شمالي  
ونكسَ رأسه لعتابِ قلب دَعَاهُ إلى الغواية والضلالِ  
ومن العجيب أنه صلب بعد قوله هذا بقليل ، صلبه الملك الناصر صلاح الدين  
يوسف بن أيوب ، فكانت هذه الكلمات كالفأل عليه ، وله في معناه أيضاً  
[ من الكامل ] :

ورأت يداهُ عظيمَ ما جَنَنَّا ففَرَرْنَ ذى شَرْفاً وذى غَرْبا  
وأمالَ نحوَ الصدرِ منه فمَّا ليَومَ في أفعَالِه القَلْبَا

\* \*

٨١ — كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً فلما رأوها أقشعت وتجلت  
شاهد المركب العقلى المنتزع من متعدد

البيت من الطويل ، ولا أعرف قائله (١) .

والمعنى : أبرقت الغمامة للقوم ، فحذف الجار وأوصل الفعل ، ومعنى أقشعت وتجلت : تفرقت وانكشفت .

والشاهد فيه : المركب العقلى من وجه الشبه ، وأنه قد ينتزع من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر ، كما إذا انتزع وجه الشبه من الشطر الأول من البيت ، فانه يكون خطأ لوجوب انتزاعه من جميعه ، فان المراد تشبيه الحالة

(١) أنشده الشيخ عبد القاهر في أسرار البلاغة ( ٨٨ الطبعة الثالثة )



المذكورة في الآيات السابقة على هذا البيت بظهور الغامة لقوم عطاشٍ ثم تفرقها  
وانكشافها بواسطة اتصال مُطْمَعٍ بانتهاء مؤنسٍ ، لأن البيت مثل في أن يظهر  
للمضطر إلى الشيء الشديد الحاجة إليه أمانة وجوده ثم يفوته ويبقى تحسره  
وزيادة ترجيه .

وفي معناه قول مسلم بن الوليد [ من الطويل ] :  
وشمكتُ إذ أقبلت في عارض الغنى فاقلمتُ لم تذبض برى ولا تحل  
وقول بشار بن برد [ من الطويل ] :  
أظلمت علينا منك يوماً سحابة أضأت لنا برقاً وأبطأ رشاها  
فلا غيمها يحل فيئاس طامع ولا غيمها يأتي فيروى عطاشها  
وقوله [ من الوافر ] :

آيات في وصف  
السحاب الذي  
لا يتعبه المطر

لمرؤان مَوَاعِدُ كاذباتٌ كما برق الحياء وما استهلاً  
والأصل فيه قول الأحوص [ من الطويل ] :  
وكنتُ وما أملتُ منك كبارقٍ لوى قطره من بعد ما كان غيماً  
وما أحسن قول بعضهم [ من الطويل ] :  
ألا إنما الدنيا كظِلٍّ غمامةٍ إذا ما رجاها المستهل اضمحلَّت  
فلا تك مفراً حاً إذا هي أقبلتْ ولا تك مخزناً إذا ما تولتْ  
ولا بن الطراوة النحوى في معنى البيت وقد خرجوا ليستسقوا على إثر قحط  
في يوم غامت سماؤه فزال ذلك عند خروجهم [ من الكامل ] :  
خرجوا ليستسقوا وقد نشأت بحريةً قمن بها السح  
حتى إذا اصطفوا لدعوتهم وبدا لأعينهم بها نضح  
كشفت الغمام إجابة لهم فكانهم خرجوا ليستصحبوا  
وقد سبقته إلى ذلك أبو علي الحسن التنوخي فقال [ من الطويل ] :

خرجنا لنستسقى بيمينِ دُعائِهِ      وقد كادهُذِبُ الغيمِ أن يلبس الأرضا  
فلما بدا يدعو تَشَعَّتِ السما      فما تم إلا والغمامُ قد اِرْقَضَا  
ومنه قول بعضهم [من الكامل]:

لما بدا وجهُ السماء لهم      متجهماً لم يُبْدِ أنواء  
قاموا ليستسقوا الآله لهم      غيثاً فلم يسقيهم الماء<sup>(١)</sup>

\*\*\*

٨٢ — فان تَقَى الأنامَ وأنتَ مِنْهُمْ      فانَّ المسكَ بَعْضُ دَمِ الغزالِ  
البيت لأبي الطيب المتنبي ، من قصيدة<sup>(٢)</sup> من الوافر ، يرثى بها والده  
سيف الدولة بن حمدان ، أولها :

نُعِدُّ المَشْرِفَةَ والعَوَالِي      وَتَقْتُلُنَا المُنُونُ بلا قِتَالِ  
ونَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مَقْرَبَاتٍ      وما يُنْجِينَ من خَبَبِ اللَّيَالِي  
وهي طويلة ، وقبل البيت قوله يخاطب سيف الدولة :

رَأَيْتُكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مَلُوكَا      كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مَحَالِ  
حكى أن المتنبي قيل له : إن المحال لا يطابق الاستقامة ، ولكن القافية  
أجأتك إلى ذلك ، فلو فرض أنك قلت « كأنك مستقيم في اعوجاج » كيف  
كنت تصنع في الثاني ؟ فقال ولم يتوقف « فان البيض بعض دم الدجاج »  
فاستحسن هذا من بليهته .

والشاهد فيه : بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود ، وذلك في كل أمر  
غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه ، فانه أراد أن يقول : إن المدح

(١) كذا ، وفيه أنه أثبت حرف العلة مع وجود عامل الجزم ، وله  
نظائر في العربية

(٢) اقرأها في الديوان (٣-٧)

شاهد إمكان  
وجود الشبه

قد فاق الناس ، بحيث لم يبق بينه وبينهم مشابهة بوجه ، بل صار أصلاً برأسه وجنسا بمفرده ، وهذا في الظاهر كالممتنع ، لاستبعاد أن تنتهي بعض آحاد النوع في الفضائل الخاصة بذلك النوع إلى أن يصير كأنه ليس منها ، فاحتج لهذه الدعوى وبين إمكانها بأن شبه حاله بحال المسك الذي هو من الدماء ثم إنه لا يعد منها لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا توجد في الدم ، ويسمى مثل هذا تشبيها ضمنيا أو مكنيا عنه ، لدلالة البيت عليه ضمنا ،

وقد أحسن السراج الوراق تضمينه بقوله [ من الوافر ] :

وَأَصِيدَ ظِلٌّ يَدْرِكُ يَوْمَ صَيْدِ طَرَائِدُهُ بِجُرْدٍ كَالسَّعَالِ  
فَانْغَبَقَتْ لَنَا يَمْنَاهُ مِسْكَ فَاِنْ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

آيات في معنى  
انقراض الشيء  
عن جنسه بفضيلة

والشهاب ابن بنت الأعز بقوله [ من الوافر ] :

وَقَالُوا بِالْعِذَارِ تَسَلَّ عَنْهُ وَمَا أَنَا عَنْ غَزَالِ الْحَسَنِ سَالِي  
وَإِنْ أَبَدَتْ لَنَا خَدَّاهُ مِسْكَ فَاِنْ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

ويشبه قول أبي الطيب المتنبي هنا في سيف الدولة قوله في عضد الدولة [ من الوافر ] :

وَلَوْلَا كَوْنُكُمْ فِي النَّاسِ كَانُوا هُرَاءَ كَالْكَلَامِ بِلَا مَعَانٍ<sup>(١)</sup>

ومثله قول يحيى بن بقى [ من البسيط ] :

هَلْ يَسْتَوِي النَّاسُ قَالُوا كُلُّنَا بَشَرٌ فَالْمَنْدَلُ الرُّطْبُ وَالطَّرْفَاءُ أَعْوَادُ

وللغزى في مثله [ من المتقارب ] :

فَلَا غُرُوَ إِنْ كُنْتَ بَعْضَ الْوَرَى فَإِنَّ الْيَلْدَجُوجَ بَعْضُ الْحَطَبِ

(١) في الأصل « هذاء كالكلام بلا معان » محرفا ، وما أثبتناه موافقا لما في الديوان (٤ - ٢٦٢) والهراء - بزنة الغراب - الفاسد من الكلام

ومنه قول خالف بن عبد العزيز النحوى [ من الكامل ] :

ما أنتَ بعضُ الناسِ إلا مثلُ ما      بعضُ الحصىِ الياقوتَةُ الحمراء

وللحصرى فيه [ من الطويل ] :

أيا بكرٍ أن أصبحتَ بعضَ ملوكهم      فإنَّ الليالىَ بعضها ليلةُ القدرِ

ومثله قول ابن قلاقس وأجاد [ من الكامل ] :

أنشرتَ من أبائك الصيدَ الأولى      ذكراً لسانُ الدهرِ ناشرُ نشره

كروموا فزدتَ عليهم فكأنهم      شهرُ الصيامِ وأنتَ ليلةُ قدره

ومثله قول التهامى [ من الطويل ] :

لقد شرفَ الرحمنُ قدرَكَ فى الورى      كما فى الليالى شُرِّفتَ ليلةُ القدرِ

وإن كنتَ من جنسِ البرايا وفقتهم      فللمسكِ نشرٌ ليسَ يوجدُ فى العطرِ

وما أحسن قول شيخ الشيوخ رحمه الله [ من البسيط ] :

فأقتَ بيوسفُها الدنيا وفاحَ لها      طيبٌ طوى المسكَ من نشرِ لها ربح

فإن يُشارِكهُ فى اسمِ الملكِ طائفةٌ      فإن شمسَ الضحى من جملةِ السُّرجِ

ومثله قول عبد الصمد بن بابك [ من الطويل ] :

تقاعسَ عنكَ الفاخرون فأحجموا      وخيلُ المغانى غيرُ خيلِ المواكبِ

فإن زعمَ الأملاكُ أنَّكَ منهمُ      فخاراً فإن الشمسَ بعضُ الكواكبِ

ومن البديع فى معناه قول ابن شرف القيروانى [ من الكامل ] :

سلكَ الورى آثارَ فضلكَ فأنثنى      متكلفٌ عن مسلكِ مطبوعِ

أبناء جنسك فى الحلى لافى العلاء      وأقولُ قولاً ليسَ بالسد فوعِ

أبدأ ترى البيتين يختلفان فى المعنى      ويتفقان فى التقطيعِ

وفي مقلوب معنى البيت قول صاحب بن عباد يهجو [من الوافر] :  
أبوكَ أبو عليّ ذو اعتلاء إذا عُدَّ الكرامُ وأنتَ نَجْلُهُ  
وإن أباك إذ تُعزَى إليه لكالطَّاووس تقبُّحُ منه رجُلُهُ

\*\*\*

٨٣ - ولا زورديّة تزهو برزقيها وسطاء الرياض على حُجر اليواقيت  
كأنها وضعا ف القُصْبِ تحملها أوائل النار في أطراف كبريت (١)

شاهد ندرة  
حضور المشبه  
به في الذهن  
عند حضور  
المشبه

البیتان لابن الرومی یصف البنفسج ، وقبلهما :

بنفسجٌ جُمِعَتْ أوْراقُهُ فحكي كُحلاً تَشْرَبُ دَمَماً يومَ تَشْتِيتِ

وهي من قصيدة من البسيط : (٢)

والشاهد فيهما : كون المشبه به نادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه  
فان صورة اتصال النار بأطراف الكبريت ينذر حضورها في الذهن عند حضور  
صورة البنفسج ، فيستطرق لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية التباعد  
فانه أراك شهباً لنبات غَضَّ يرف ، وأوراق رطبة من لهب نار ، استولى عليه  
الليس ، ومبنى الطبائع على أن الشيء إذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان  
ميل النفوس إليه أكثر ، وهي بالشغف به أجدر .

وهذان البيتان من نادر التشبيه وغريبه ، وليس يعدلها إلا قول النمرى

[ من البسيط ] :

(١) الذي في نسخ التلخيص

كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

(٢) لا توجد في ديوانه المطبوع كلمة على هذا الوزن والروى

بَنَفْسِجٌ بِذِكِّي الْمَسْكِ مَخْصُوصُ      مَا فِي زَمَانِكَ إِنْ وَأَفَاكَ تَنْغِيصُ  
كَأَنَّمَا شَعْلُ الْكَبْرِيتِ مَنْظَرُهُ      أَوْخَذُ أَغِيدَ بِالْتَّخْنِيشِ مَقْرُوصُ  
وقول الآخر [ من الكامل ] :

ما زلتُ من شغفى أَلْعُ كَفَهَا      وذراعها بِالْقَرَصِ وَالْأَنَارِ  
حتى جعلتُ أَدِيمَهَا وَكَأَنَّمَا      غُرِسَ الْبَنَفْسِجُ فِي نَقَا الْجَارِ  
وقد لطف ابن كيغلف في استعارة المعنى ، فقال [ من الكامل ] :  
لَمَّا التَقِينَا لِلْوَدَاعِ وَأَعْرَبْتُ      عِبْرَاتُنَا عَنَا بِدَمْعٍ نَاطِقِ  
فَرَقْنَا بَيْنَ مَخَاجِرٍ وَمَعَاجِرٍ      وَجَمَعْنَا بَيْنَ بَنَفْسِجٍ وَشَقَائِقِ  
واستعاره أبو تمام في قوله [ من الوافر ] :

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ التَّدَامُ      يُعِيدُ بَنَفْسِجًا وَرَدَ الْخَيْدُودِ  
وقوله « التدام » مما أخذ عليه به في جملة ما أخذ .

\*\*\*

٨٤ — وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ      وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُتَمَدِّحُ  
شامد التشبيه  
المقلوب

البيت لمحمد بن وهيب الحميرى ، من قصيدة من الكامل ، يمدح بها  
المأمون ، أولها :

الْعَذْرُ إِنْ أَنْصَفْتَ مَتَضَحُ      وَشُهُودُ حَبِكَ أَدْمَعُ سَفْحُ<sup>(٢)</sup>

---

(١) اقرأ كل ما أورده المؤلف من أبيات هذه القصيدة في الأغاني  
( ١٧ - ١٤٨ بولاق )  
(٢) في الأغاني « وشهيد حبك »

وإذا تكلمت العيونُ على      إعجابها فالسرُّ مفتضحُ  
 فضحت ضميرك عن ودائعِهِ      إن الجفون نواطقُ فُصحُ<sup>(١)</sup>  
 ربَّما أبيتُ معانقِ قمرُ      للحسن فيه مخايلُ تَضِحُ<sup>(٢)</sup>  
 نشرَ الجمالُ على محاسنِهِ      بدعاً وأذهبَ همهُ الفرخُ  
 يختالُ في حللِ الشبابِ ، بهِ      مَرَحُ ودأوكَ أنه مَرِحُ  
 ما زالَ يُلثمني مَرَأشِفُهُ      ويعلني الإبريقُ والقدحُ  
 حتى استردَّ الليلُ خلعتَهُ      ونشأَ خلالَ موادِهِ وَضَحُ  
 وبعده البيت ، ثم إنه يقول فيها :

نشرت بك الدنيا محاسنها      وترينت بصفتك العِدَحُ  
 وكأنَّ ما قد غابَ عنك لهُ      بإزاء طرفك عارضاً شَبِيحُ<sup>(٣)</sup>  
 وإذا سلَّمتُ فكلُّ حادثةٍ      جَلَلُ ، فلا بُؤسُ ولا تَرَحُ<sup>(٤)</sup>  
 والشاهد في البيت : إيهام أن المشبه به أتم من المشبه<sup>(٥)</sup> ، ويسمى التشبيه

(١) في الأغاني « نواطق فضح »

(٢) في الأصل « مهما أبيت » وفي الأغاني « وبما أبيت » وكلاهما محرف  
 عما أثبتناه

(٣) ورد هذا البيت في الأصل هكذا :

وكانما مذهب عنك له      بإزاء طرفك عارض سحج

وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

(٤) جلال هاهنا بمعنى هين يسير

(٥) الأصل في كل تشبيه أن يكون المشبه به أتم في وجه الشبه من المشبه  
 وعلى ذلك فالعبارة غير وافية بأداء ما يريد المؤلف ، والذي يريده هو أن الذي  
 من حقه أن يكون مشبهاً وهو وجه الخليفة في هذا البيت يراد إيهام أنه أتم  
 في وجه الشبه من الذي حقه أن يكون مشبهاً به وهو الصباح ، فيعتمد إلى قلب  
 التشبيه بأن يجعل المشبه مشبهاً به والمشبه به مشبهاً

المقلوب ، فانه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء ، وفي قوله « حين يمتدح » دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق المادح وتمظيم شأنه عند الحاضرين بالاصغاء إليه والارتياح له ، وعلى كونه كاملا في الكرم ، يتصف بالبشر والطلاقة عند استماع المدح .

وفي معناه قول البحترى [ من الطويل ] :

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشِيِّ لَصُبْحَهَا تَبَشُّمُ عَيْسَى حِينَ يَلْفِظُ بِالوَعْدِ  
وتقدم ذكر ابن وهيب في شواهد المسند (١) .

\* \*

٨٥ - تَشَابَهَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمُدَامَتِي      فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْتَى تَسْكَبُ  
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَبَا حُمْرٍ أَسْبَلَتْ      جَفَوْنِي أَمْ مِنْ عِبْرَتِي كُنْتُ أَشْرَبُ

شاهد الحكم  
بالتشابه

البیتان لأبي إسحاق (٢) الصابي ، من الطويل ، ورأيت في اليتيمة البيت الأول بلفظ « تورده » بدل « تشابه » .

والشاهد فيهما : ترك التشبيه والعدول إلى الحكم بالتشابه ، ليكون كل واحد من الشيتين مشبها ومشبها به ، احترازا من ترجيح أحد المتساويين في وجه الشبه ، فان الشاعر لما اعتقد التساوي بين الحمر والدمع ولم يعتقد أن أحدهما زائد في الحمرة والآخر ناقص يلحق به حكم بينهما بالتشابه وترك التشبيه .

وفي معناه قول صاحب بن عباد (٣) [ من الكامل ] :

(١) انظر ترجمته في شرح الشاهد (رقم ٤٠ ص ٢١٥ ج ١)

(٢) انظرهما في يتيمة الدهر في ترجمة الصابي (٢ - ٢٣٣)

(٣) انظر هذين البيتين وثلاثة الآيات بعدهما في أثناء ترجمة صاحب بن

عباد من يتيمة الدهر (٣ - ٢٣٦)



رَقَّ الزَّجَاجُ وَرَاقَتْ الحُمْرُ وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ<sup>(١)</sup>  
فَكَأَنَّمَا خُمْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خُمْرٌ  
وقوله أيضاً من أبيات [من الكامل] :

مُتَغَايِرَاتٌ قَدْ جُمِعْنَ وَكُلُّهَا مُتَشَاكِلٌ أَشْبَاهُهَا أَرْوَاحُ  
وَإِذَا أَرَدْتَ مَصْرَحًا تَفْسِيرَهَا فَالرَّاحُ وَالْمِصْبَاحُ وَالتُّفَاحُ  
لم يعلم السَّاقِ وَقَدْ جُمِعْنَ لِي مِنْ أَى هُنْدَى تَمَلُّدُ الْأَقْدَاحِ<sup>(٢)</sup>

ومثله ما كتب به أبو الوليد بن زيدون إلى المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية  
مع تفاح أهدها إليه [من مجزوء الكامل] :

يَا مَنْ تَزَيَّنْتَ السَّيَّا دَةً حِينَ الْبَسِ ثَوْبَهَا  
جَاءَتْكَ جَامِدَةٌ الْمَدَا مَ فَخَذَ عَلَيْهَا ذَوْبَهَا

وهو مأخوذ من قول الخليل [من السريع] :

الرَّاحُ تَفَاحٌ جَرَى ذَائِبًا كَذَلِكَ التُّفَاحُ رَاحٌ جَدُّ  
فَاشْرَبَ عَلَى جَامِدِهِ ذَوْبُهُ وَلَا تَدَعُ لَذَّةُ يَوْمٍ لَعْنَةً

وللسرى الرفاء في معناه [من المنسرح] :

وَقَدْ أَضَاءَتْ نَجُومٌ بِمَجْلِسِنَا حَتَّى اكْتَسَى غُرَّةٌ وَأَوْضَاحَا  
لَوْ جَدَّتْ رَاحُنَا اغْتَدَّتْ ذَهَابًا أَوْ ذَابَ تَفَاحُنَا اغْتَدَى رَاحَا

ولطاهر العتابي في هذا المعنى [من الطويل] :

أَيَا لَيْلَةً قَدْ بَتَ أَهْزَمُ بَرْدَهَا بِجَيْشِينَ مِنْ خُمْرِ عَتِيقٍ وَمِنْ جَمْرِ

(١) في اليتيمة « ورقَّت الحُمْرُ » وما هنا أحسن

(٢) في اليتيمة « لو يعلم السَّاقِ » وما هنا أحسن

فطوراً أظن الخمر من ذوب جمرها وطوراً أظن الجمر من جمد الخمر  
والصابي<sup>(١)</sup> هو إبراهيم بن هلال بن هارون الحراني<sup>(٢)</sup>. قال في حقه  
أبو منصور الثعالبي: هو أوجد العراق في البلاغة، ومن به تُثني الخناصر في الكتابة،  
وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة في الصناعة. وكان قد بلغ التسعين  
في خدمة الخلفاء، وخلافة الوزراء، وتقلد الأعمال الجلائل، مع ديوان الرسائل،  
وحلب الدهر أشطره، وذاق حلوه ومره، ولا بس خيره ومارس شره، ورئيس  
ورأس، وخُدم وخُدم، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء، وشاع ذكره في  
الآفاق، ودون له من الكلام البهي النقي العلوي ما تنارت درره وتكاثرت  
غرره، وفيه يقول بعض أهل العصر [من الكامل]:

أصبحتُ مُشتاقاً خليفَ صَبَابَةٍ      برَسَائِلِ الصَّابِي أُنْبَى إِسْحَاقِ  
صَوَّبُ الْبَلَاغَةِ وَالْحَلَاوَةِ وَالْحِجْبِي      ذَوْبُ الْبِرَاعَةِ سَلَوَةُ الْعُشَاقِ  
طَوْرًا كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ وَتَارَةً      يَحْكِي لَنَا الْأَطَوَاقَ فِي الْأَعْنَاقِ  
لَا يَبْلُغُ الْبُلْغَاءُ شَأْوًا مَبْرُزًا      كَتَبَتْ بِدَائِعِهِ عَلَى الْأَحْدَاقِ  
ويقول أيضاً [من الكامل]:

يَا بُؤْسَ مَنْ يُعْنَى بِدَمْعٍ سَاجِمٍ      يَهْمِي عَلَى حُجْبِ الْفَوَادِ الْوَاجِمِ  
لَوْلَا تَعْلَاهُ بِكَأْسٍ مُدَامَةٍ      وَرَسَائِلِ الصَّابِي وَشِعْرِ كُشَاجِمِ

(١) للصابي ترجمة في يتيمة الدهر للثعالبي (٢ - ٢١٨ مصر) وفي وفيات  
الآعيان لابن خلكان (١ - ٢٠ النيل بمصر)

(٢) هكذا وقع في أصول هذا الكتاب موافقا لما في يتيمة الدهر، وفي  
ابن خلكان «هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن جبون» وضبط  
زهرون - كعادته - بفتح الزاي وسكون الهاء، وجبون بفتح الحاء المهمة  
وتشديد الباء الموحدة

ويحكى أن الخلفاء والملوك والوزراء راودوه<sup>(١)</sup> كثيراً على الاسلام ، وأداروه بكل حيلة وتمنية جميلة<sup>(٢)</sup> حتى إن السلطان بختيار عرض عليه الوزارة إن أسلم فلم يهده الله تعالى للاسلام ، كما هداه إلى محاسن الكلام ، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكاكبر أوقع<sup>(٣)</sup> خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن الكريم حفظاً يدور على طرف لسانه وسن قلمه ، وكان في أيام شبابه واقتباله أحسن حالا وأرخى بالاً منه في أيام استكماله ، وفي زمن اكتماله أوردى زندياً وأسعد جدّاً منه حين مسّه الكبر وأخذ منه الهرم ، ففي ذلك يقول من قصيدة في فنّها فريدة كتب بها إلى الصاحب يشكو بثه وحزنه ويستمطر سحابه وفزّنه ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء<sup>(٤)</sup> [ من الكامل ] :

عجباً لحظي إذ أراه مُصالحى      عَضَرَ الشباب وفي المشيب مفاضي  
أمن الغواني كانَ حتى خاني      شيخاً وكان لدى الشبيبة صاحي<sup>(٥)</sup>  
أمعّ التضعع ملئني متجنباً      ومع الترعزع كان غير مجاني  
ياليت صبوته إلى تأخرت      حتى تكون ذخيرة لعواقبي  
وكان المهلبى لا يرى الدنيا إلا به ، ويحن إلى براعته<sup>(٦)</sup> ، وتقدم قدمه ، ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه في أوقات أنسه .. فلما مات المهلبى ، وأبو إسحاق

(١) في اليتيمة « أرادوه » وهى أوفق

(٢) في اليتيمة « جميلة » وهى أدق

(٣) في اليتيمة « أرفع خدمة »

(٤) في الأصل « الاكاف » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

(٥) في اليتيمة « حتى ملئني » وفيها « وكان على صباى مصاحبى »

(٦) في الأصل « ويحن على » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

يلي ديوان الرسائل والخلافة على ديوان الوزارة اعتقل في جملة عمال المهلبى وأصحابه ، فمن قوله في ذلك الاعتقال من قصيدة [ من الكامل ] :

يأيها الرؤساء دعوة خادِمٍ	أوفت رسائله على التعديدِ
أيجوز في حكم المروءة عندكم	حبسى وطول تهددى ووعدى
أنسيتم كتباً شحنت فصولها	بفصول دُرّ عنكم منضودِ
ورسائلاً نفدت إلى أطرافكم	عبد الحيد بهن غير حميد (١)
يهتز سامعهن من طرب كما	هز النديم سماع صوت العود (٢)

ومنها :

قصرت خطاهُ خلاخل من قيده فتراه فيها كالفتاة الرودِ  
يمشى الهوينى ذلة لا عزة مشى الزيف الخائف المزودِ

ولما خلى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يطير ويقع ، وينخفض ويرتفع ، إلى أن دُفع في أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى ، والطامة الكبرى ، إذ كان في صدره حزازات كثيرة من إنشاءات له عن الخليفة ، وعن (٣) بختيار فقمها منه واحتقدها عليه . قيل : كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة على أبى إسحاق بعد ميله إليه وضنه به فصل له من كتاب إنشاء عن الخليفة في شأن بختيار ، وهو « وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق ، والمعالي

(١) في الأصل « ورسائلاً نفدت » بالدال مهملة ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة ولانسجام البيت

(٢) في اليتيمة « ضرب العود »

(٣) في اليتيمة « من إنشاءات له عن الخليفة الطائع في شأن عز الدولة بختيار » وهو المناسب لما يلي ذلك بثلاثة أسطر .

السوامق ، التي يلزم كلَّ دان وقاص ، وعام وخاص ، أن يعرف له حق ما أكرم به منها ، ويتحزح عن رتبة المائلة فيها » فان عضد الدولة أنكر هذه اللفظة أشد إنكار ، ولم يشك في التعريض به ، وأسرّها في نفسه ، إلى أن ملك بغداد وسائر العراق ، وأمر أبا إسحاق بتأليف كتاب في أخبار الدولة الديلمية يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ، وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتثل أمره ، وافتتح كتابه المترجم بالتاجي ، واشتغل به في منزله ، وأخذ يتأنق في تصنيفه وترصيفه ، وينفق من روحه على تقرّظه وتشيّفه ، فرُفِع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصابي دخل إليه ، فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبييض ، فسأله عما يعمل من ذلك ، فقال : أباطيل أتمقها ، وأكاذيب ألقها ، فانضاف تأثير هذه الكلمة في قلب عضد الدولة إلى ما كان في نفسه من أبي إسحاق ، وتحرك من ضغنه الساكن ، وثار من سخطه الكامن ، فأمر أن يلقي تحت أرجل الفيلة ، فأكب جماعة من أرياب الدولة على الأرض ، يقبلونها بين يديه ، ويشفعون إليه في أمره ، ويتلطفون في استيهابه ، إلى أن أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أسبابه ، واستصفاء أمواله ، فبقي في ذلك الاعتقال بضع سنين إلى أن تخلص في آخر أيام عضد الدولة ، وقد رزحت حاله وتهتك ستره .

وكان صاحب ابن عباد يحبه أشد الحب ، ويتعصب له ويتعهده على بعد الدار بالمنح ، والصابي يخدم حضرته بالمدح ، وكان صاحب يتعنى انخيازه إليه وقدمه عليه ، ويضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقاً أو تشرفاً وكان هو يحتمل ثقل الخلة ، وسوء أثر العطلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملة صاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة في أيامه .

وكان صاحب كثيراً ما يقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة ،

الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحاق الصابى ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعنى نفسه .

فأما الترجيح بين هذين الصادين <sup>(١)</sup> — أعنى الصاحب والصابى — فقد خاض فيه الخائضون ، وخَبَّ فيه الخَبون ، <sup>(٢)</sup> ومن أشف ما سمعته من ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد ، والصابى يكتب كما يؤمر : أى كما يراد ، وبين الحالين بَوْنٌ بعيد ، وكيف جرى الأمر فهما هما ، ولقد وقف فلك البلاغة بهما . ولنذكر نبذا من نثره ونظمه ، لتكون كالعنوان على محاسنه .

فمن ذلك فصل له من كتاب إلى عضد الدولة فى التهنئة بتحويل سنة « أسأل الله مبتهلا لديه ، مادأ يدي إليه ، أن يحيل <sup>(٣)</sup> على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات ، والزيادات الغامرات ، ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه ، موفيا على المتقدم له ، قاصرا عن المتأخر عنه ، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذبه وأرغده ، عزيزا منصورا ، محميا موفورا ، باسطا يده لا يقبضها إلا على نواصى أعداء وحساد ، ساميا طرْفُه فلا يعضه إلا على لذة غمض ورقاد ، مستريحة ركابه فلا يُعملها إلا لاستضافة عز وملك ، فائرة قدأحه فلا يُجملها إلا لحيازة مال وملك ، حق ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنية صالحة ، وتسموله همه طامحة » .

فصل من رسالته فى وصف المتصيد والصيد « وخیلنا کالأمواج المتدفقة ، والأطواد الموثقة ، متشوقة عاطية ، مستبقة جارية <sup>(٤)</sup> تشتاقي الصيد وهى لا تطعمه ، وتحن إليه كأنه قضيم تقَضِمه ، وعلى أيدينا جوارح مؤلة الخالب والمناسر ،

(١) فى اليتيمة « بين هذين الصدرين »

(٢) فى الأصل « وأطنب المخلصون » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

(٣) فى الأصل « أن يجعل » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

(٤) فى الأصل « متشنقة جارية » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

( ٥ — معامد ٣ )

مدربة النصال والخناجر ، طامحة الألباظ والمناظر ، بغيضة المرامي والمطارح ،  
 ذكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب والعبوس ، سابعة الأذئاب ، كريهة  
 الأنساب ، صلبة الأعواد ، قوية الأوصال ، تزيد إذا طعمت <sup>(١)</sup> شرها وقرماً ،  
 وتتضاعف إذا شبت كلباً ونهما ، فينا نحن سائرون ، وفي الطلب مُمعنون ، إذ  
 وردنا ماء زُرْقاً جامه ، طامية أرجاؤه ، ييوح بأسراره صفاؤه ، وتلوح في قراره  
 حصاؤه ، وأفانين الطير به مُحْدِقة ، وغوائبه عليه واقعة ، متغيرة الألوان  
 والصفات ، مختلفات الأصوات واللغات ، فمن صريح خلص وتهذب نوعه ، ومن  
 مشوب تهجن أو أقرق عرقه ، فلما أوفينا عليها ، أرسلنا الجوارح إليها ، كأنها  
 رسل المنايا ، أو سهام القضايا ، فلم نسمع إلا مُسمّياً ، ولم نر إلا مُدْكياً ، ثم عدنا  
 لشأنا دفعات ، وأطلقنا مرات .

ومن فصل منها « ثم عدلنا عن مطارح الخيام ، إلى مسارح الآرام ، نستقرى  
 ملاعبها ، ونؤم مجامعها . حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلائها ، راتعة  
 بأكلائها <sup>(٢)</sup> ، ومعنا فهود أخطف من البروق ، وألقف من الليوث ، وأمكر من  
 الثعالب ، وأدب من العقارب ، وأنزى من الجنادب ، تُخص الخصور ، قُبُّ  
 البطون ، رُقش المتون ، حمر الآماق ، خُزُر الأحداق ، هرت الأشداق ، عراض  
 الجباه ، غلب الرقاب ، كاشرة عن أنياب كالخراب . »

وله فصل في ذكر الأقدار « لله تعالى أقدار تُردُّ في أوقاتها ، وقضايا تجري إلى  
 غاياتها ، لا يرد شيء منها عن شأوه ومداة ، ولا يُصدّدون مطلبه ومنحاه ، فهي  
 كالسهام التي لا تثبت إلا في الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض <sup>(٣)</sup> والناس

(١) في الأصل « تزيد إذا ألحمت » محرفاً ، والتحليل لا تغلف اللحم وفي  
 اليتيمة « إذا طعمت »

(٢) في اليتيمة « راتعة في أكلائها » وهي أحسن

(٣) في الأصل « ولا ترجع إلا بالاعتراض » وبديهي أن كلمة « إلا » هاهنا  
 تقصد المعنى غاية الفساد ، وليست ناسئة في اليتيمة

فيها بين عطية يجب الشكر عليها ، ورزية يوثق بالعوض عنها .

وله من فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزني (١) « ليت شعري بأي قدم توافينا (٢) وراياتنا خافقة على رأسك ، ومما ليكننا عن يمينك وشمالك ، وخیلنا الموسومة بأسمائنا تحتك ، وثيابنا المنسوجة في طرزنا على جسدك ، وسلاحنا المشجود لأعدائنا في يدك » .

ومن فصل في ذكره « هو أرق دينا وأمانة ، وأخفص قدراً ومكانه ، وأتم ذلاً ومهانة ، وأظهر عجزاً وزمانة ، من أن تستقل به قدم في مطاولتنا ، أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا ، وهو في نشوره عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشودة ، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامه المردودة » .

ومن ملح شعره قوله في الغزل ، وهو في معنى البيتين المستشهد بهما [ من الكامل ] :

جَرَّتِ الدَّمْعُ دَمًا وَكَأْسِي فِي يَدِي      شَوْقًا إِلَى مَنْ لَجَّ فِي هِجْرَانِي  
فَتَخَالَفَ الْفَعْلَانِ شَارِبَ قَهْوَةٍ      يَبْكِي دَمًا وَتَشَابَهَ الْوُثَانِ  
فَكَأَنَّ مَا فِي الْجَنِّينِ مِنْ كَأْسِي جَرَى      وَكَأَنَّ مَا فِي الْكَأْسِ مِنْ أَجْفَانِي  
وقال [ من الخفيف ] :

لَسْتُ أَشْكُو هَوَاكَ يَا مَنْ هَرَاهُ      كُلُّ يَوْمٍ يَرُوعُنِي مِنْهُ خُطْبُ  
مُرُّ مَا مَرَّ بِي مِنْ آجَلِكْ حَلْوُ      وَعَذَابِي فِي مِثْلِ حَبِّكَ عَذْبُ  
وقال [ من البسيط ] :

إِنْ تَحْنُ قَسْنَاكَ بِالْغُصْنِ الرَّطِيبِ فَقَدْ      حَفَنَّا عَلَيْكَ بِهِ ظِلْمًا وَعُدْوَانًا  
الْغُصْنُ أَحْسَنُ مَا نَلْقَاهُ مَكْتَسِيًا      وَأَنْتَ أَحْسَنُ مَا نَلْقَاكَ عُرْيَانًا

(١) في الأصل « سبكتكين المعزى » وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة

(٢) في اليتيمة « بأي قدم توافقنا » ولعلها أحسن .



وقال [من الوافر] :

مَرَضْتُ مِنَ الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَا      بَدَأَ مَا بَى لِإِخْوَانِي الْحُضُورِ  
تَكَنَّفَنِي ذُووُ الْأَشْفَاقِ مِنْهُمْ      وَلَا ذُؤَا بِالْدَعَاءِ وَبِالذُّدُورِ  
وَقَالُوا لِلطَّبِيبِ : أَشِرُّ ، فَأَنَّا      نَعِدُكَ لِلْمَهْمِ مِنَ الْأُمُورِ  
قَالَ : شِفَاؤُهُ الرُّمَانُ مِمَّا      تَضَمَّنَهُ حِشَاءُ مَنْ السَّعِيرِ  
قُفِلْتُ لَهُمْ : أَصَابَ بِغَيْرِ عَمْدٍ      وَلَكِنْ ذَاكَ رُؤْمَانُ الصُّدُورِ

وقال [من المنسرح] :

مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ      وَالْبَدْرُ ضَيَّفَ وَأَمَرَهُ بِيَدِي  
قَبَّلْتُ مِنْهُ فَمَا مُجَاجَتُهُ      تَجْمَعُ بَيْنَ الْمَدَامِ وَالشُّهَدِ  
كَأَنَّ مَجْرَى سِوَاكَ بَرْدٌ      وَرَيْقَهُ دُؤْبُ ذَلِكَ الْبَرْدِ

وقال في شمامة كافور [من الطويل] :

وَشَمَامَةٌ كَالْبَدْرِ عِنْدَ اعْتِرَاضِهِ      وَكَالْكُوكَبِ الدَّرِيِّ عِنْدَ انْقِضَاضِهِ  
يُودُّ سَوَادُ الْعَيْنِ مِنْ شَغَفٍ بِهَا      لَوْ اعْتَاضَهَا مُسْتَبَدِّلًا بَبِيَاضِهِ  
وقال [من الطويل] :

وَمَحْرُورَةٌ الْأَحْشَاءُ تَحْسَبُ أَنَّهَا      مَتِيْمَةٌ تَشْكُو مِنَ الْحَبِّ تَبْرِيحًا  
تُنَاجِيكَ نَجْوَى السَّمْعِ الْأَنْفُ وَحَيْهَا      وَتَجْهَلُهُ الْأُذُنُ السَّمِيعَةُ إِذْ يُوحَى  
تَحْرِقُ فِيهَا النَّدَى عَوْدًا وَبَدْءًا      فَتَأْخُذُهُ جِسْمًا وَتَنْفُثُهُ رُوحًا

وقال في غلام له أسود اسمه (١) رُشْدُ [من الكامل] :

أَبْصَرْتُ فِي رُشْدٍ وَقَدْ أَحْبَبْتَهُ      رُشْدِي، وَلَمْ أَحْفَلْ بِمَنْ قَدْ يُنْكَرُ

(١) ذكر ابن خلكان أن اسم الغلام يمن ، ونقل ذلك عن الثعالبي في كتاب الغلمان ، والذي في اليتيمة موافق لما هنا

يا لَأُمِّي ، أَعْلَى السَّوَادِ تَلُومُنِي      مِنْ لَوْنِهِ وَبِهِ عَلَيْكَ الْمَفْخَرُ ؟  
دَعِ عَلَى السَّوَادِ وَخَذِي بِيَاضِكَ ، إِنِّي      أَذْرَى بِمَا آتَى وَمَا أُتْخِيَرُ  
مَثَوَى الْبَصِيرَةِ فِي الْفَوَادِ سَوَادُهُ      وَالْعَيْنُ بِالْمَسْوَدِ مِنْهَا تُبْصَرُ  
قَالِدِينَ أَنْتَ مُنَاطِرٌ فِيهِ بَذَا      وَكَذَاكَ فِي الدُّنْيَا يَهْدِي تَنْظُرُ  
بِسَوَادِ ذَيْنِكَ تَسْتَضِي ، وَلَوْ هُمَا أَبْيَضًا تَفْشَاكَ الظَّلَامُ الْأَكْدَرُ  
فَقَدْ أَبْيَاضُكَ وَهَوَّلِيلٌ دَامَسُ      وَغَدَا سَوَادِي وَهُوَ فَجْرٌ أَنْوَرُ  
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا [ مِنْ الْكَامِلِ ] :

قَدْ قَالَ رَشِدٌ وَهُوَ أَسْوَدُ الَّذِي      بِيَبْيَاضِهِ يَعْلُو عُلُوَّ الْخَلَائِنِ (١)  
مَا فِخْرُ خَدِّكَ بِالْبَيَاضِ وَهَلْ تَرَى      أَنْ قَدْ أَفَدْتُ بِهِ مَزِيدَ مُحَاسِنِ  
لَوْ أَنَّ مَنِي فِيهِ خَالًا زَانَهُ      وَلَوْ أَنَّ مِنْهُ فِيَّ خَالًا شَانِي

وَلَقَدْ تَفَنَّنَ الشَّعْرَاءُ فِي مَدْحِ السُّودَانِ وَأَكْثَرُوا ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ آيَاتُ فِي مَدْحِ  
السُّودَانِ  
مِنْ قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ [ مِنْ الْمُنْسَرَحِ ] :

أَكْسَبَهَا الْحَبُّ أَنَّهَا صُبِغَتْ      صِبْغَةً حَبُّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ  
وَقَوْلُ ابْنِ خَمَاجَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ أَيْضًا [ مِنْ السَّرِيعِ ] :

وَأَسْوَدٌ يَسْبِغُ فِي لَجَةٍ      لَا تَكْتُمُ الْخَصْبَاءُ غُدْرَانُهَا  
كَأَنَّهَا فِي شَكْلِهَا مَقْلَةٌ      زَرْقَاءُ وَالْأَسْوَدُ إِنْسَانُهَا  
وَقَوْلُ الْآخَرِ [ مِنْ السَّرِيعِ ] :

يَا أَسْوَدًا يَسْبِغُ فِي بَرَكَةٍ      فَقَتِ الْوَرَى حَسَنًاوْإِحْسَانًا

(١) الأبيات في ابن خلسكان ، وفيه « قد قال يعن » وكان في الأصل  
« يعلو علو الخائين » محرفا في اليتيمة \* بيباضه استغلى علو مبين \*

كنت لحسن الخلد خالاً وقد صرت لعين العين إنساناً

وقول شرف الدين بن عنين [ من الطويل ] :

وماذا عليهم أن كلقت بأسود محلته بالقلب والعين منهم  
وقد عابني قوم بتقيل خده وماذاك عيب ، أسود الركن يلثم  
وما شانه ذلك السواد لأنه لغير الثنايا والخلائق معلم

وقال ابن رباح الملقب بالحجام [ من البسيط ] :

يالعبه بذوى الأبواب لاعبة في أصل حسنك معنى غير متفق  
خلقت نبيضاء كالكاפור ناصعة فصرت سوداء من مثواك في الخندق

وقال أحمد بن بكر الكاتب [ من المجتث ] :

يا من فؤادى فيها متبها لا يزال  
إن كان الليل بدر فأنْتَ للصبح خال

وقال الوزير المغربي [ من مخلع البسيط ] :

يارب سوداء تيمتى يحسن فى مثلها الغرام  
كالليل تستسهل المعاصى فيه ويستعذب الحرام

وقريب منه قول ابن أبي الجهم [ من مخلع البسيط ] :

غصن من الآبنوس أهدى من مسك دارين لى نمارا  
ليل نعيم أظلم فيه للطيب لا أشتهى نهارا

وما أحسن قول بعضهم مضمناً [ من الوافر ] :

وسوداء الأديم إذا تبكت ترى ماء النعيم جرى عليه  
زأها ناظرى فصبا إليها وشبه الشيء منجذب إليه

وقال نجم الدين يعقوب بن صابر [ من المتقارب ] :

وَجَارِيَةٌ مِنْ بَنَاتِ الْخُبُوشِ ذَاتِ جَفُونٍ صَحَاحٍ مَرَاهِضٍ  
تَعْتَقُهَا لِلتَّصَابِي فَشَبَّتْ غَرَامًا وَلَمْ أَلِكْ بِالشَّيْبِ رَاضِي  
وَكُنْتُ أَعْيَزُّهَا بِالسَّوَادِ فَصَارَتْ تَعْيِرُنِي بِالْبَيَاضِ  
وقد أغرب ابن دفترخوان بقوله [ من السريع ] :  
إِنْ لَمَعَتْ لَيْلًا نَجُومُ السَّمَاءِ بَيَاضًا عَلَى أَدْهَمِ مُرْحَى الْإِزَارِ  
وَأَوْجَبَ الْعَكْسُ مِثَالًا لَهَا فِي الْأَرْضِ فَالسُّودُ نَجُومُ النَّهَارِ  
رجع إلى شعر الصابي .

قال يرثي ابنه سنانا [ من الخفيف ] :

أَسْعَدَانِي بِالْأَمْعَةِ الْحَمَاءِ جُلُّ مَا حَلَّ بِي عَنِ الْبَيْضَاءِ (١)  
يُؤَلِّمُ الْقَلْبَ كُلُّ فَقْدٍ وَلَا مِثْلَ افْتِقَادِ الْآبَاءِ لِلْأَنْبَاءِ  
كُنْتُ مَنِي وَكُنْتُ مِنْكَ اتِّفَاقًا وَالتَّوَامَا مِثْلَ الْعَصَا وَاللِّجَاءِ  
كُنْتُ لِلْيَتِيمِ فِي أَجَلٍ مَنِي فَيْكَ لِلشُّكْلِ فِي أَوَانٍ فَنَائِي (٢)  
وَلَيْتَنِي كَانَتْ مِنْ أَخِيكَ وَأَوَّلًا دِكَا مَا يَنْقُضُ مِنْ بُرْحَانِي  
فَلَعَمْرِي لَرْبَمَا هَيَّجُوا الشَّوْقَ قَدْ فَزَادُوا فِي لَوْعَتِي وَبُكَائِي (٣)  
ألم فيه بقول ابن الرومي ولم يحسن إحسانه [ من الطويل ] :

(١) في الأصل « حل ما حل بي » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة .

(٢) في اليتيمة « كنت في اليتيم » والمراد أنه كان يرجو أن يموت قبل ابنه فان موته يصير به ابنه يتيماً ، وذلك أجل من أن يموت ابنه فيصير هو تاركاً وما في اليتيمة أظهر

(٣) في الأصل « ولعمري لربما هيج الشوق » محرفاً عما أثبتناه عن اليتيمة

وإني وإن مُتَّعتُ بِابْنِي بعدهُ      لذا كُرِهَ ما حَنَّتِ النَّيْبُ في مَجْدِ  
وأولادنا مثل الجوارح أَيْما      فقدناه كانَ الفاجعَ البينَ القَدْرِ  
لكلِّ مكانٍ لا يسدُّ اختلاله      مكانَ أخيه من جَزوعٍ ومن جَلْدِ  
هذه العينُ بعد السمعِ تكفي مكانه      أم السمعُ بعد العينِ يَهْدِي كما يَهْدِي  
وقال الضَّابِي مفتخراً من قصيدة [ من الطويل ] :

وقد علم السلطان أنني أمينه      وكتبه الكافي السَّيِّدُ الموفقُ (١)  
أوازره فيما عَرَى وأمدته      يَرَأَى يَرِيه الشمسَ والليلَ أغسَقُ  
يُجِدُّ بِي نَهْجَ العلا وهو دارسُ      ويفتح بي بابَ الهدى وهو مُعَلَّقُ (٢)  
فيمناى يُمناه ولفظي لفظه      وعيني له عينُ بها الدهرُ يَرْمُقُ  
ولي فقرٌ نُضحي الملوكة فقيرةً      إليها لدى أحداً حينَ لَطَرُقُ  
أردَّ بها رأسَ الجحوجِ فينثني      وأجعلها سوطَ الحرونِ فيُعْنِقُ  
فإن حاولتَ لطفاً فباءَ مُرَوِّقُ      وإن حاولتَ عُنفاً فنارٌ تألِقُ  
يسلم لي قسٌّ وسحبانٌ وائلُ      ويرضى جريرٌ مذهبي والفرزدقُ  
فيغضي لنثري خاطبٌ وهو مصقعُ      ويعنو لنظمي شاعرٌ وهو مُفْلِقُ  
مَعَالٍ لو الأعشى رآهن لم يقلُ      «وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ» (٣)

(١) في اليتيمة « أنى لسانه »

(٢) في اليتيمة « يجدد بي نهج الهدى » وفيه « ويفتح بي باب النهى »

(٣) في الأصل « مقال لو الأعشى رآهن » محرفاً، وما أثبتناه موافق لما

في اليتيمة . وعجز هذا البيت من كلام الأعشى ميمون بن قيس في المحلق  
وصدره من كلام الأعشى :

\* تشب لمقرورين يصطليانها \*

وقال في المهلبى الوزير [من الكامل] :

قل للوزير أبى محمد الذى      قد أعجزت كل الورى أو صافه  
لك فى الحافل منطق يشفى الجوى      ويسوغ فى أذن الأديب سلافه  
فكان لفظك لؤلؤ متنخل      وكأنا آذاننا أصدافه  
وقال أيضا [من الوافر] :

تلوح نواجذى والكاس شربى      وأشر بها كفى مستطيب  
وفوق السرلى جهر ضحك      وتحت الجهرلى سر كئيب  
سأثبت إذ يصادمنى زمانى      بركنيه كما ثبت النجيب<sup>(١)</sup>  
وأزقب ما تجىء به الليالى      فى أثائه فرج قريب  
وقال أيضا فى عضد الدولة [من الكامل] :

لا تحسب الملك الذى أوتيته      يفضى وإن طال الزمان إلى مدى  
كالدّوح فى أفق السماء فروعه      وعروقه متولجات فى الندى  
فى كل عام يستجد شبيهة      فيعود ماء العود فيه كما بدا  
حتى كأنك دائر فى حلقة      فلكية فى منهاها المبتدا  
وكتب إلى عضد الدولة فى يوم مهرجان مع اضطراب أهدها إليه  
[من البسيط] :

أهدى إليك بنو الأموال واختلفوا      فى مهرجان جديد أنت مبليه<sup>(٢)</sup>  
لكن عبدك إبراهيم حين رأى      علو قدرك عن شيء يدانيه

(١) فى اليتيمة « سأثبت إن يصادمنى زمانى »

(٢) فى اليتيمة \* أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا \*

لم يرضَ بالأرض مَهْدَاةً إِلَيْكَ فَقَدْ أَهْدَى لَكَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِمَا فِيهِ  
ومن لطيف شعره قوله [ من الخفيف ] :

دَفْتَرِي مُؤَنَسٍ وَفَكْرِي سَمِيرِي      وَيَدِي خَادِمِي وَحُلْمِي ضَجِيرِي  
وَلِسَانِي سَنَقِي وَبَطْنِي قَرِيبِي      وَدَوَائِي غَيْثِي وَدَرْجِي رَبِيبِي<sup>(١)</sup>  
ومثله قول أبي محمد الخازن [ من المنسرح ] :

فَدَفْتَرِي رَوْضَتِي وَمَحَبَّتِي      غَدِيرُ عَلَمِي وَصَارِحِي قَلَمِي  
وَرَا حَتِي فِي قَرَارِ صَوْمَعَتِي      تَعْلَمُنِي كَيْفَ مَوْعُ النَّمِ  
وقال أبو إسحاق الصابي وهو في الحبس [ من الطويل ] :

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ بَدٌّ مِنَ الرَّدَى      فَأَسْهَلُهُ مَا جَاءَ وَالْعِيشُ أَنْكَدُ  
وَأَصْعَبُهُ مَا جَاءَهُ وَهُوَ رَاتِعٌ      تَطِيفُ بِهِ اللَّذَاتُ وَالْحِظُّ مُسْعِدُ  
فَإِنْ أَكْ سَوَاءُ الْعِيشَتَيْنِ أَعِيشُهَا      فَأَنْيَ إِلَى خَيْرِ الْمَاتَيْنِ أَقْصِدُ<sup>(٢)</sup>  
وَسَيَّانِ يَوْمًا شَقَوَةً وَسَعَادَةً      إِذَا كَانَ غَبًا وَاحِدًا لَهَا الْغَدُ  
وقال [ من المتقارب ] :

لَقَدْ أَخْلَقْتَ جِدَّتِي الْحَادِثَاتُ      وَمَنْ عَاشَ فِي رَيْبِهَا يَخْلُقُ  
وَبَدَّلَنِي صَلَمًا شَامِلًا      مِنْ الشَّعْرِ الْفَاحِمِ الْأَغْشَقِ<sup>(٣)</sup>

- (١) في الأصل « ودوائِي عَيْنِي » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في  
اليتيمة ، و « غَيْثِي » هي التي تناسب « ربيبي »  
(٢) في اليتيمة « فَاِنْ أَكْ شَرُّ الْعِيشَتَيْنِ » وما هنا أتم في المقابلة  
(٣) في الأصل « من الصِّلَعِ الْفَاحِمِ الْأَغْشَقِ » محرفاً ، وما أثبتناه موافق  
لما في اليتيمة

وقد كنتُ أُمردَ من عارضني فقد صرت أُمرد من مفرقي (١)  
وكتب إلى قاضي القضاة ابن معروف - وكان قد زاره في معتقله - رقعة  
نسختها :

قوى دخول قاضي القضاة إلى نفسي ، وجدد أنسى ، وأغرب نفسي ، ووسّع  
حبسي ، فدعوت الله له بما قد ارتفع إليه وسمعه ، فان لم أكن أهلاً لأن يستجاب  
مني فهو أيد الله تعالى أهل لأن يستجاب فيه ، وأقول مع ذلك [ من البسيط ]

دخلت حاكم الزمان إلى صنيعة لك رهني الحبس تمتحن  
أخنت عليه خطوب جار جائر لها حتى توفاه طول الهم والحزن  
فعاش عن كلمات منك كن له كالروح عائدة منه إلى البدن  
وكتب إلى بعض الرؤساء : عرفت أن سيدنا الأستاذ الجليل أطل الله بقاءه  
يشتكى التياثا [ من الكامل ] :

فلو استطعت أخذت علة جسمه فقرنتها مني بغلة حالي  
وجملت صحتي التي لم تصف لي ضقوا له مع صحة الأقبال  
فتكون عندي العلتان كلاهما والصحتان له بغير زوال  
وقال [ من المنسرح ] :

عهدي بشعري وكله غزل يضحك عنه السرور والجدل  
أيام همي أحبة بهم القلب عن النائبات يشتغل  
والآن شعري في كل داهية نيرانها في الضلوع تشتعل  
أخرج من نكبة وأدخل في أخرى فنحسى بين متصل

(١) في اليتيمة « وقد كنت أصلع » وفيها « وقد صرت أصلع »



كَأَنَّهَا سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ تُقِيمَهَا الدُّولُ  
فَالْعَيْشُ مَرَّةً كَأَنَّهُ صَبْرٌ وَالْمَوْتُ حُلُوً كَأَنَّهُ عَسَلٌ  
وقال يهجو [من الخفيف] :

أَيُّهَا النَّاجِجُ الَّذِي يَتَصَدَّى بِقَبِيحٍ يَقُولُهُ لَجَوَابِي \*  
لَا تُؤْمَلُ أَتَى أَقُولُ لَكَ اخْسَأْ لَسْتُ أُسَخِّو بِهَا كُلَّ الْكِلَابِ

وحكى أبو القاسم بن برهان قال : دخلت على أبي إسحاق الصبائي ، وكان  
قد لحقه وجع المفاصل ، وقد أبل ، والمجلس عنده حافل ، وأراد أن يريهم أنه  
قادر على الكتابة ، ففتح الدواة ليكتب ، فتناولوا بالنظر إلى كتابته ، فوضع  
القلم وقال بديها [من الكامل] :

وَجَعُ الْمَفَاصِلُ وَهُوَ أَيْسَرُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْأَذَى  
جَعَلَ الَّذِي اسْتَحْسَنَتْهُ وَالْيَأْسَ مِنْ حَظِي كَذَا (١)  
وَالْعَجْرُ مِثْلُ الْكَاسِ يَرُ سَبُّ فِي أَوَاخِرِ الْقَدَى  
وقد ألم بهذا المعنى أمين الدولة سبط التعاوينى وزاد فيه فقال [من  
المتقارب] :

فَمَنْ شَبَّهَ الْعَمْرَ كَأَسَأَ يَقَرَّ قَدَّاهُ وَيَرْسِبُ فِي أَسْفَلِهِ  
فَانِي رَأَيْتُ الْقَدَى طَافِيًّا عَلَى صَفْحَةِ الْكَاسِ مِنْ أَوَّلِهِ

والأمر سيف الدين بن المشد بقوله [من الخفيف] :  
إِنْ تَرَقَى إِلَى الْمَعَالَى أَوَّلُو الْفَضْلَ وَسَاخَتْ تَحْتَ الثَّرَى السَّفَهَاءُ  
فَحَبَابُ الْمَدَامِ يَعْلُو عَلَى الْكَأْسِ مَحَلًّا وَتَرْسِبُ الْأَقْدَاءُ

(١) فى الأصل «والناس من حظى» محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

وما أحسن قول ابن زياد فيه أيضا [ من الخفيف ] :

باضطراب الزمان ترتفع الأُنْـمـالُ فيه حتى يعم البلاء  
وكذا الماء راكداً فاذا حـركـتْ ثارت من قعره الأقداء

وقول الآخر [ من البسيط ] :

بادر إلى العيش فالأيام راقدةٌ ولا تكن لصروف الدهر تنتظرُ  
فالعمر كالكأس يبدؤ في أوائله صفواً وآخره في قعره كدُرُ

ولما مات أبو إسحاق الصابى رثاه الشريف أبو الحسن الموسوى بقوله [ من

الطويل ] :

أعلمت من حمأوا على الأعوادِ أرايت كيف خبا ضياء النادى  
جبل هوى لوخر في البحر اغتدى من وقعه متتابع الإزبادِ  
ما كنت أعلم قبل خطك في الثرى أن الثرى يعلو على الأطوادِ

ومنها :

بعداً ليومك في الزمان فإنه أقذى العيون وقت في الأعضاء  
لا تطلب يا نفس خلا بعده فمثلته أعياء على المرتادِ  
فقدت ملاءمة الشكول بفقده وبقيت بين تباين الأضدادِ  
ما مطعم الدنيا بجلو بعده أبدأ ، وما ماء الحياة ببادى  
لك في الحشا قبر وإن لم تأوهِ ومن الدُموع روائح وغوادى  
سلوان الأبراد جسمك فأنثى جسمي يسيل عليك في الأبراد (١)

(١) في الأصول «جسمي يسيل» محرفاً ، وما أثبتناه موافقاً لما في اليتيمة

وديوان الشريف الرضى

ومنها :

الفضلُ ناسبَ بيننا إذ لم يكنْ      شَرَفِي مناسبُهُ ولا ميلادي  
 إن لم تكنْ من أسرتي وعشيرتي      فلأنتَ أعقلهمْ يداً بفؤادي (١)  
 ألا تكنْ على الأصولِ قد وفيت      عظمُ الجدودِ بسوددِ الأجدادِ  
 وهى طويلة ، وراثه بغير ذلك أيضاً ، وقال وقد ليم على رثائه له : إني  
 رثيت علمه ، وكان سنه أربعة وثمانين سنة . ومات ابنه الحسن على كفره أيضاً ،  
 وابن ابنه هلال أسلم بآخرة . وتوفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة (٢)

\* \*

يا صاحبي - تَقْصِيًا نَظَرَ يَكْمَا      تَرَيَا وَجْهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تُصَوِّرُ  
 تَرَيَا نَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ شَابَهُ      زَهْرُ الرُّبَا فَكُلًّا مِمَّا هُوَ مُقْمِرُ

شاهد تشبيه  
المركب بالفرد

البيتان لأبي تمام الطائي ، من قصيدة (٣) من الكامل يمدح بها  
 المعتض ، أولها :

رَقَّتْ حَوَاشِي الدَّهْرِ فِيهِ تَمَرُّ مَرٌّ      وَغَدَا الثَّرَى فِي حَلِيهِ يَتَكَسَّرُ

(١) في اليتيمة \* فلأنت أعقلهم يدا بؤدادي \* وهو المستقيم معنى  
 (٢) كذا في أصول هذا الكتاب ، والذي في اليتيمة أنه « توفي يوم  
 الخميس لاثنتي عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وكانت سنه  
 إحدى وتسعين سنة قمرية » وفي ابن خلكان أنه توفي سنة أربع وثمانين  
 وثلثمائة ، وأن سنه كانت إحدى وسبعين سنة . وفيه تقلا عن الفهرست  
 لابن النديم أن وفاته كانت قبل سنة ثمانين ، وولادته كانت سنه نيف وعشرين  
 وثلثمائة

(٣) أقرأها في الديوان ( ١٥٦ )

- بذلت مقدمة المصيف حميدةً      ويد الشتاء جديدة لا تكفر (١)  
لولا الذى غرس الشتاء بكفه      قاسى المصيف هشاماً لا تُبَرُّ  
كم ليلة آسى البلاد بنفسه      فيها ويوم وبله متفجر (٢)  
مطر يذوب الصخر منه وبعده      صحو يكاد من الغضارة يقطر (٣)  
غيثان فالأنواء غيث ظاهر      لك وجهه والصحو غيث مضمر  
وندى إذا ادهمت به لم الثرى      خلت السحاب أتاه له وهو معذر  
أربعينا فى تسع عشرة حجة      حقاً لوجهك للربيع الأزهر (٤)  
ما كانت الأيام تسلب بهجة      لو أن حسن الروض كان يعمر  
أولا ترى الأشياء إن هى غيرت      سمجت وحسن الأرض حين تغير (٥)  
وبعد البيتان ، وبعدهما :

دنيا معاش للورى حتى إذا      حلّ الربيع فانما هى منظر  
أضحت تصوغ بطونها لظهورها      نوراً تكاد له القلوب تنور  
من كل زاهرة تفرق بالندى      فكأنها عينٌ لديك تحدر  
وهى طويلة .

(١) فى الأصل « نزلت مقدمة المصيف » وما أثبتناه عن الديوان .  
وبذلت : امتننت

(٢) فى الديوان « وبله مشعجر » والمثعنجر : السائل المنسكب

(٣) فى الأصل « يكاد من الغضارة يعطر » وما أثبتناه عن الديوان

(٤) فى الديوان \* حقالهك للربيع الأزهر \* وهى أجود عربية . واللام  
فى « لهك » هى الواقعة فى جواب القسم ، والهاء مبدلة من الهمة ،  
والأصل « لأنك » واللام فى « للربيع » هى لام الابتداء التى تتصل بخبر إن  
(٥) فى الأصل « أولاً ترى الأشياء » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

ومعنى « تقصيا نظريكما » أبلغنا أقصى نظريكما وغاية ما تباغناه ، واجتهدا  
في النظر . و « تصور » أصلها تتصور فحذف إحدى التاءين .

والشاهد فيهما : تشبيه المركب بالمفرد ، فانه شبه الشمس الذي اختلط به  
أزهار الربوات فنقصت باخضرارها من ضوء الشمس حتى صار يضرب إلى  
السواد ، بالليل المقمر ، فالمشبه مركب ، والمشبه به مفرد ، قيل : ولا يخلو هذا من  
تسامح .

\*\*\*

٨٧- كأن قلوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا      لَدَى وَكْرِهَا الْعَنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

شاهد التشبيه  
للملفوف

البيت من الطويل ، وقائله امرؤ القيس من قصيدته السابقة (١) في أول  
هذا الفن ، وقبله :

كَأَنِّي بَفَتْخَاءِ الْجَنَاحِينَ لِقْوَةً      عَلَى عَجَلٍ مِنْهَا أَطَاطُءُ رَشِيَالِي (٢)  
تَخْطَفُ خِزَّانَ الْأَنْعِيمِ بِالضَحَى      وَقَدْ حَجَرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ (٣)

(١) انظرها في الديوان (١٣٨) وارجع إلى الشاهد رقم (٧٤)  
(٢) أراد بفتخاء الجناحين لقوة عقابا لينة الجناحين سريعة الاختطاف  
وفي الديوان « صيود من العقبان طأطأت شمالا » والصيود : الحاذقة بالصيد  
وطأطأت : طامنت رأسي لا تمكن من ضرب الفرس كي يسرع . والشمال :  
السريعة القوية . وهي على هذه الرواية - صفة لفتخاء الجناحين ، و « شِيَالِي »  
في رواية المؤلف تبعا لجماعة من أهل اللغة أصلها « شمالي » فأشبعته الكسرة  
من الشين فتولدت عنها الياء ، و « شِيَالِي » على هذا مفعول لأطاطيء ، وهو  
مضاف لياء المتكلم

(٣) تخطف : أصلها تتخطف ، وخزان : جمع خرز ، وهو ذكر الأرانب  
ويروى « خزان الشربة » والأنعيم والشربة : موضعان . وأورال : موضع أيضا

وبعد البيت ، وبعده :

فلو أن ما أسقى لأدنى مَعِيشَةٍ      كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ  
ولكنما أسقى لجندٍ مؤثِّلٍ      وقد يدركُ الجندَ المؤثِّلُ أمثالي  
وما المرءُ مادامتْ حُشَاشَةُ نفسه      بمُدركٍ أطرافِ الخطوبِ ولا آلى<sup>(١)</sup>

والحشف : أردأ التمر ، والضعيف الذي لا نوى له ، أو اليابس الفاسد .

والشاهد فيه : التشبيه الملفوف ، وهو : أن يؤتى على طريق العطف أو غيره  
بالمشبهات أولاً ثم بالمشبه بها ، فهنا شبه الرطب الطرى من قلوب الطير بالعناب  
واليابس العتيق منها بالحشف البالى ، إذ ليس لاجتماعها هيئة مخصوصة يُعتدُّ بها  
ويقصد تشبيهها ، ولذا قال الشيخ عبد القاهر : إنه إنما يتضمن الفضيلة من حيث  
اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه ، لا أن للجمع فائدة في عين التشبيه .

وذكرت بهذا البيت ما ضمنه الجمال ابن نباتة مجوناً ، وهو [من الطويل] :

دنوتُ إليها وهو كالفرخ راقِدٌ      فَوَاحَجَلْتِي لَمَّا دَنَوْتُ وَإِذْ لَالِي  
وقلتُ أمعك به بالأنامل فالتقى      لدى وكرها العناب والحشف البالى

\*\*\*

شاهد التشبه  
للفروق

٨٨ — النَّشْرُ مِسْكٌ، وَالْوَجُوهُ دَنَا      نِيرٌ، وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَمٌ

البيت لمرقش الأكبر ، من قصيدة من السريع<sup>(٢)</sup> ، قالها في مرثية عم له ،  
أولها :

هل بالديار أن تجيبَ صَمَمٌ      لو أن حياً ناطقاً كلَّمٌ

(١) في نسخة « مادامت هشاشة نفسه »

(٢) اقرأها في المفضليات والأصمعيات

الدارُ وحشٌ والرسومُ كما رَقَّشَ في ظَهْرِ الأديمِ قَلَمٌ (١)  
 ديارُ أَسْمَاءَ التي سَلَبَتْ قَلْبِي فَعَيْتِي ماؤُها يَسْجُمُ (٢)  
 أَضَحَتْ خِلاَةً نَبَتْها ثَبَدٌ نَوَّرَ فيها زَهْرُهُ فَاغْتَمُ (٣)  
 بلْ هَلْ شَجَعَتْكَ الظُّغْنُ بِأَكْرَةَ كَأَنَّهُنَّ النَّخْلُ مِنْ مَلْهَمِ

و بعده البيت ، ومنها :

لَسْنَا كَأَقْوَامٍ خَلَّاهُمْ نَثُ الحَدِيثِ وَنَهْكَةُ الحَرَمِ (٤)  
 إِنْ يُخَصِّبُوا يَبْغُوا بِخَضْبِهِمْ أَوْ يُجَدِّبُوا فَهَمْ بِهِ الْأَثَمِ (٥)

وهي قصيدة طويلة ليست بصحيحة الوزن ، ولا حسنة الروي ، ولا متخيرة اللفظ ، ولا لطيفة المعنى ، قال ابن قتيبة : ولا أعلم فيها شيئاً يستحسن إلا قوله « النشر مسك - البيت » .

ويستجاد منها أيضاً قوله :

ليس على طولِ الحياقِ نَدَمٌ ومن وراءِ المرءِ ما يَعْلَمُ

(١) في المفضليات « الدار قفر »

(٢) في الأصل « ديار سامي » ولا يستقيم بها الوزن ، وما أثبتناه موافق لما في المفضليات ، والمرقش هذا كان يتغزل في أسماء ابنة عمه عوف بن مالك .  
 (٣) ثبد - بالناء المثناة - أي أصابه الندى ، واعتَم : كثر ، وفي المفضليات « نور فيها زهوه » وهو لونه من أبيض وأصفر وأحمر

(٤) في المفضليات « مطاعهم كسب الخنا » . ونث الحديث : نقله وإذاعته والزيادة فيه ، ووقع في الأصل « ونكهة المحرم » وما أثبتناه موافق لما في المفضليات ، ونهكة المحرم : انتهاك الحرمات ، وأراد لانهجو الناس ليعطونا وفي الآخاني \* نث أحاديث وهتك حرم \*

(٥) في المفضليات « إن يخصبوا يعيوا يخصبهم »

النشر: الريح الطيبة ، أو أعم ، أو ريح فم المرأة وأعطافها بعد النوم .  
والعَمَ : شجر لين الأغصان يشبه بنان الجوارى . وقيل : هى أطراف الخروب <sup>(١)</sup>  
الشامى عن أبى عبيدة . وقيل : هو شجر له أغصان حمر ، وقيل : هو ثمر العوسج  
يكون أحمر ثم يسود إذا عقد ونضج .  
والشاهد فيه : التشبيه المفروق ، وهو : أن يؤتى بمشبه ومشبه به ، ثم آخر  
وآخر ، وهو واضح فى البيت .

ونظيره قول المتنبي [ من الوافر ] :  
بَدَتْ قَرَأً وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ      وَفَاحَتْ عَنِيراً وَرَنْتَ غَزَا  
وتبعه أبو القاسم الزاهى فقال [ من الطويل ] :  
سَقَرْنَ بِدُورًا وَانْتَقَبْنَ أَهْلَةً      وَمِسْنَ غَصُونًا وَالتَفَنْنَ جَاذِرًا  
وَأَطْلَعْنَ فِي الْأَجْيَادِ بِالْدرِّ أَنْجَمًا      جَعَلْنَ لِحَبَاتِ الْقُلُوبِ ضَرَائِرًا  
ومن نسج على هذا المنوال إسماعيل الشاشى فانه قال من قصيدة [ من  
الطويل ] :

رَأَيْتَ عَلَى أَكْوَارِنَا كُلِّ مَا جِدَ      يَرَى كُلُّ مَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَعْرُومًا  
نَدُومٌ أَسْيَافًا وَتَعْلُو قَوَاضِيًا      وَتَنْقُضُ عَقْبَانًا وَتَطْلُعُ أَنْجَمًا  
وقال أبو الحسن الجوهري فى وصف الخمر إلا أنه ثَلَثَ التشبيه [ من  
الطويل ] :

يَقُولُونَ بِغَدَادُ الَّتِي اسْتَقَتْ نَزْهَةً      تَبَاكَرُهَا وَالْعَبْقَرَى الْمُقَيَّرَا  
إِذَا فُضَّ عَنْهُ الْخَمُّ فَاحَ بِنَفْسِجًا      وَأَشْرَقَ مَصْبَاحًا وَنُورَ عُصْفُرَا  
ولبعض الشعراء فى غلام مغنٍ [ من الوافر ] :

(١) نص بعض أهل اللغة على أن صواب هذا اللفظ « الخرنوب »



فَدَيْتَكَ يَا أُمَّمُ النَّاسَ ظَرْفًا وَأَصْلَحَهُمْ لِمَتَّخِذٍ حَبِيبًا  
فَوَجَّهَتْ نُزْهَةَ الْأَبْصَارِ حَسَنًا وَشَدَّوْكَ مُتَمَعَةً الْأَسْمَاعِ طَبِيبًا  
وَسَائِلُهُ تَسَائِلُ عَنْكَ قَلْبَنَا لَهَا فِي وَصْفِكَ الْعَجَبِ الْمَعْنِيَا  
رَنَا ظَبِيًّا وَغَنَى عِنْدَكِيًّا وَلَا حَ شَقَائِقًا وَمَشَى قَضِيَا  
وَلَا بِنِ الْأَمِيرِ الْجَزْرِي [من البسيط] :

مَنُوعُ الْحَسَنِ يَبْدَى مِنْ مُحَاسِنِهِ لَا عَيْنُ النَّاسِ أَوْصَافًا وَأَشْكَالًا  
فَلَاحَ بَدْرًا وَوَافَى دُمْنِيَّةً وَذَكَا مَسْكَاً وَعَلَّ طَلًّا وَازْوَرَّ رَبَّالَا  
وَافْتَرَدُرَّا وَغَنَى بَلْبَلًا وَسَطَا عَضْبًا وَمَاسَ نَقًّا وَاهْتَزَّ عَسَلًا  
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلُهُ أَيْضًا [من البسيط] :

إِنَّ الَّتِي مَلَكَتْنِي فِي الْهَوَى مَلَكَتْ بِجَامِعِ الْحَسَنِ حَتَّى لَمْ تَدَعْ حَسَنًا  
رَنْتَ غَزَالًا وَفَاحَتْ رَوْضَةً وَبَدَتْ بَدْرًا وَمَاجَتْ غَدِيرًا وَانْتَشَتْ غُصْنًا  
وَلَا بِنِ سَكْرَةِ الْهَاشِمِيِّ أَيْضًا [من المنسرح] :

فِي وَجْهِهِ إِنْسَانِيَّةٌ كَلِفَتْ بِهَا أَرْبَعَةٌ مَا اجْتَمَعْنَ فِي أَحَدٍ  
الْخُدَّةُ وَرَدُّهُ، وَالصَّدَغُ غَالِيَةٌ وَالرَّيْقُ خَمْرٌ، وَالنَّغْرُ مِنْ بَرْدٍ

والمرقش<sup>(١)</sup> اسمه عمرو، وقيل : عوف بن سعد بن مالك، ينتهي نسبه  
لبكر بن وائل، وهو أحد من قال شعراً فلقب به، وهو أحد المتيمين، كان يهوى  
ابنة عم له - وهي أسماء بنت عوف بن مالك - وكان المرقش الأصغر ابن أخي<sup>(٢)</sup>

ترجمة للمرقش  
الأكبر

(١) تجدد للمرقش الأكبر ترجمة في الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٠٣) وفي الأغاني (٥ - ١٨٩) وحكى ابن قتيبة قولاً آخر أن اسمه ربيعة بن سعد ابن مالك، وتجدد خبره مع أسماء في تزيين الأسواق (١ - ١٠٠)  
(٢) وحكى ابن قتيبة قولاً آخر أن المرقش الأصغر أخو المرقش الأكبر

المرقش الأكبر ، واسمها ربيعة وقيل عمرو ، وهو عم طرفة بن العبد ، وهو أيضا أحد المتيمين ، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك ، ويشئبها ، وكان للمرقشيين جميعا موقع في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب وبأس وشجاعة ونجدة وتقيم في المشاهد ونكابة في العدو وحسن أثر .

وكان من خير المرقش الأكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بنت عوف ، وهو غلام ، فخطبها إلى أبيها ، فقال : لا أزوجك إياها حتى تعرف بالبأس ، وكان يعيده فيها المواعيد الكاذبة ، ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك ، وكان عنده زماناً ومدحه فأجازه ، وأصاب عوقاً زماناً شديداً ، فأتاه رجل من مراد ، فأرغبه في المال ، فزوجه أسماء على مائة من الإبل ، ثم تنجى عن بني سعد ابن مالك ، ورجع مرقش ، فقال إخوته : لا تخبروه إلا أنها ماتت ، فذهبوا كبشاً ، وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفوها في ملحفة ثم قبروها ، فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت ، وأتوا به موضع القبر ، فنظر إليه ، وصار بعد ذلك يعتاده ويتردد إليه ويورده ، فبينما هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وإبنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما في كعب ، فقال أحدهما : هذا كعبي ، أعطانيه أبي من الكعبش الذي دفنوه ، وقالوا : إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء ، فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام — وكان قد ضنى ضنى شديداً — فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزوج الماردى أسماء ، فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من عقيل كان عشير المرقش ، فأمرها بأن تدعو له زوجها ، فدعته ، وكان له رواحل ، فأمره باحضارها ليطلب الماردى ، فأحضره إياها ، فركبها ، ومضى في طلبه ، فمضى في الطريق حتى ما يحمل إلا معروضا . ثم إنهما نزلا كهفاً بأسفل نجران — وهى أرض مراد — ومع العقيلي امرأته وليدة مرقش ، فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضراً وجوعاً ، فجعلت الوليدة تبكى من ذلك ، فقال لها زوجها : أطيعيني وإلا فأتى

تأزكك وذاهب . قال : وكان مرقش يكتب ، كان أبوه دفعه وأخاه خرمة -  
 وكانا أحب ولده إليه - إلى نصراني من أهل الحيرة فعلمهما الخط ، فلما سمع مرقش  
 قول العقيلي للوليدة كتب مرقش على مؤخر الرحل هذه الأبيات [ من الكامل ] :

يا صاحبي تلبثاً لا تعجلاً      إن الرواح رهين أن لا تفعل  
 فلعل لبثكما يفرط سيئاً      أو يحدث الاسراعُ سيئاً منقلاً (١)  
 يا ركباً إما وصلت قبلن      أنس بن سعدان لقيت وحرماً (٢)  
 لله دركاً ودر أيبك      إن أفلت العبدان حتى يقتلا (٣)  
 من مبلغ الأقوام أن مرقشاً      أضحى على الأصحاب عيباً منقلاً (٤)  
 وكأنما ترد السباع بشلوه      إذ غاب جمع بني ضبيعة منها

قال : فانطلق العقيلي وامرأته حتى رجعا إلى أهلهما ، فقالا : مات المرقش ،  
 ونظر حرمة إلى الرحل وجعل يقلبه وقرأ الأبيات ، فدعاها وخوفها ، وأمرها  
 أن يصدقه ، فأخبراه الخبر ، فقتلهما . وكان العقيلي قد وصف له الموضع ، فركب  
 في طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره وعرف أن مرقشاً كان  
 في السكف ، ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزرو على الغار الذي هو فيه ، وأقبل

(١) في الأغاني « أو يسبق الاسراع سيئاً مقبلاً » ويفرط : يقدم ، يريد  
 لعل انتظاركما يقدم عنكما مكروها

(٢) في الأغاني « ياراكبا إما عرضت » ومثله في الشعراء

(٣) في الأصل « أن يفلت العقلي حتى يقتلا » وليس بشيء ، وما أثبتناه  
 موافق لما في الأغاني ، وفي الشعراء « إن أفلت الغفلي »

(٤) زاد صاحب المفضليات بين هذا البيت والذي بعده بيتاً ، وهو قوله :

ذهب السباع بأنفه فتركه أعشى عليه بالجبال وجيلاً

ويعني بالأعشى الضبعان وهو ذكر الضباع ، والجيئل : انثى الضباع

والغنيها إليها ، فلما بَصُرَ به قال له : من أنت ؟ وما شأنك ؟ فقال له مرقش : أنا رجل من مراد . وقال له : فراعى من أنت ؟ قال : راعى فلان ، فاذا هوراعى زوج أسماء ، فقال له مرقش : أتستطيع أن تسكلم أسماء امرأة صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنومنها ، ولكن تأتيني جاريته كل ليلة فأحاب لها عنزا فتأتيها بلبنها ، فقال له : خذ خاتمي هذا ، فاذا حلبت فألقه في اللبن فانها ستعرفه وإنك مصيبٌ به خيراً لم يصبه راع قط إن أنت فعلت ذلك ، فأخذ الراعى الخاتم وفعل ذلك ، ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرح الخاتم فيه ، فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها . فلما سكنت الرغبة أخذته فشر به ؟ وكذلك كانت تصنع ، ففرع الخاتم ثنيتهما ، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته ، فقالت للجارية : ما هذا الخاتم ؟ قالت : مالى به علم ، فأرسلتها إلى مولاها وهو فى شرف بنجران<sup>(١)</sup> فأقبل فرعاً ، فقال لها : لم دعوتى ؟ فقالت له : ادع عبدك راعى غنمك ، فدعاه ، فقالت : سله أين وجد هذا الخاتم . فقال : وجدته مع رجل فى كهف خبان<sup>(٢)</sup> ، وقال لى : اطرحه فى اللبن الذى تشر به أسماء فانك تصيب به خيراً ، وما أخبرنى مَنْ هو ؛ ولقد تركته بأخر رمق ، فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ قالت : خاتم مرقش ، فاعجل الساعة فى طلبه ، فركب فرسه وحملها على فرس آخر ، وسارا حتى طرقاه من ليلتهما ، فاحتملاه إلى أهليهما ، فمات عند أسماء ، فدفن فى أرض مراد .

وحدث التوزى<sup>(٣)</sup> قال : كان مساور الوراق وحماة عجرد وحفص بن أبى بردة مجتمعين على شراب ، وكان حفص مرمياً بالزندقة ، وكان أعمش أفضس

(١) فى المفضليات « وهو فى شرب بنجران » والشرب : جمع شارب

(٢) فى الأصل « خبار » وفى الأغاني « جبان » وصوابهما ما أثبتناه عن

معجم البلدان وشرح المفضليات

(٣) فى المطبوعتين « التوزى »

أَغْضَفَ مَتَبِجَ الْوَجْهِ ، فَجَعَلَ حَفْصَ يَعِيبِ شَعْرِ الْمَرْقَشِ وَيُحَدِّثُهُ ، فَأَتَهَّلَ عَلَيْهِ  
مِسْلُورٌ<sup>(١)</sup> ، يُقَالُ [ مِنْ الطَّوِيلِ ] :

لَقَدْ كَانَ فِي عَيْنَيْكَ بِحَفْصٍ شَاغِلٌ وَأَنْفٍ كَثِيلٍ الْيَهُودُ عَمَّا تَتَّبِعُ  
تَتَّبَعْتَ لِحْنًا فِي كَلَامِ مَرْقَشٍ وَوَجْهَكَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْهِنِ أُمُجْعُ  
فَإِذَا ذَاكَ إِقْوَاءَ وَأَنْفَكَ مُكْفَأَ وَعَيْنَاكَ إِطْلَاءَ فَأَنْتَ الْمَرْقُعُ  
فَقَامَ حَفْصٌ مِنَ الْمَجْلِسِ خَجَلًا وَهَجْرَهُ مَدَّةً .

\*\*\*

٨٩ - صُدِغَ الْحَبِيبُ وَحَالِي كَلَاهُمَا كَالْيَلِيَّ إِلَى

شاهد تشبيه  
التسوية

هُوَ مِنَ الْمَجْتَبِ ، وَلَا أَعْرِفُ قَائِلَهُ .

وَالشَّاهِدُ فِيهِ : تَشْبِيهُ التَّسْوِيَةِ ، وَهُوَ تَعَدُّدُ طَرَفِ الْمَشْبَهَةِ ، وَهُوَ هُنَا الصَّدِغُ

وَالْحَالِ ، دُونَ الْمَشْبَهَةِ بِهِ ، وَهُوَ اللَّيَالِي .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَطْرَانِيِّ [ مِنْ الْوَافِرِ ] :

مُهِفَفَةٌ لَهَا نَصْفٌ قَصِيفٌ كَخُوطِ الْبَانِ فِي نَصْفِ رَدَاحٍ<sup>(٢)</sup>  
حَكَتْ لَوْنًا وَلِينًا وَاعْتَدَالًا وَلِحْظًا قَاتِلًا سُمُرَ الرَّمَّاحِ

\*\*\*

٩٠ - كَأَنَّمَا يَبْسُمُ عَنْ لَوْلُؤٍ مُنْضَدٍّ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحٍ

الْبَيْتُ لِلْبَحْتَرِيِّ ، مِنْ قَصِيدَةٍ مِنَ السَّرِيعِ<sup>(٣)</sup> ، يَمْدَحُ بِهَا أَبَا نُوحٍ عَيْسَى

ابْنَ إِبْرَاهِيمَ ، أَوَّلَهَا :

بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَغِيدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوِشَاحِ  
كَأَنَّمَا يَضْحَكُ عَنْ لَوْلُؤٍ مَنْظَمٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحِ

(١) الْآيَاتُ فِي الْأَغَانِي (١٣ - ٨٧) مَنْسُوبَةٌ إِلَى حَمَادِ عَجْرَدٍ

(٢) كَذَلِكَ فِي عَامَةِ أَصُولِ الْكِتَابِ وَلَعَلَّهُ « لَهَا نَصْفُ قَضِيبٍ »

(٣) أَقْرَأُهَا فِي الدِّيْوَانِ (١ - ١١٢)

هكذا وجدت البيت في ديوانه (١) :

تَحْسِبُهُ نَشْرَانِ أَتَى رَنَا      لَلْفَتْرِ مِنْ أَجْفَانِهِ وَهُوَ صَاحُ (٢)  
بِتُّ أَفْدِيَهُ وَلَا أَرْعَوِي      لَنَهَى نَاهٍ عَنْهُ أَوْلَحِي لَاحُ  
أَمْزَجُ كَأْسِي بِجَنَى رِيْقِهِ      وَإِنَّمَا أَمْزَجَ رَاحًا بِرَاحِ  
يَسَاقُطُ الْوَرْدَ عَلَيْنَا وَقَدْ      تَبَلَّجَ الصَّبْحُ نَسِيمَ الرِّيحِ  
أَغْضَيْتِ عَنْ بَعْضِ الَّذِي يُتَّقَى      مِنْ حَرَجٍ فِي جِبِهِ أَوْ جَنَاحُ  
سَحَرُ الْعَيُونِ النَّجْلُ مُسْتَهْلِكُ      لُبِّي وَتَوْرِيدُ الْخُدُودِ الْمَلَّاحُ

والمنضد : المنظم ، والبرد : حب الغمام ، والأفاح : جمع أقحوان ، وهو ورد له نور .

والشاهد فيه : تعدد طرف المشبه به - وهو هنا اللؤلؤ والبرد والأفاح - دون المشبه ، وهو الثغر

وقد جاء تشبيه الثغر بخمسة في قول الحريري [ من البسيط ] :

يَفْتَرُّ عَنْ لَوْلُؤٍ رَطْبٍ وَعَنْ بَرَدٍ      وَعَنْ أَفَاحٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبَبٍ  
ومثل البيت المستشهد به قول امرئ القيس [ من المتقارب ] :

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوَّبَ الْغَمَامَ      وَرِيحَ الْخَزَامِي وَنَشْرَ الْعَطَرِ  
\* يَمَلِّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا      إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحَرَّ \*

ومن محاسن تعدد التشبيه قول صاحب ابن عباد ، في وصف أبيات أهديت إليه [ من المتقارب ] :

أَتَتْنِي بِالْأَمْسِ أَيْبَاتُهُ      تُعْلِلُ رَوْحِي بِرَوْحِ الْجَنَانِ

(١) وكذلك هو في نسخ الديوان التي بين يدي

(٢) الذي في الديوان « إمارنا » وهي أفضل مما هنا

كَبُرْدُ الشَّبَابِ وَبَرْدُ الشَّرَابِ      وَظِلُّ الْأَمَانِ وَنَيْلُ الْأُمَانِ  
وَعَهْدُ الصَّبَا وَنَسِيمُ الصَّبَا      وَصَفْوُ الدُّنَانِ وَرَجْعُ الْقِيَانِ  
وَقَوْلُ النَّعَالِي فِي الْأَمِيرِ أَبِي الْفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ [ مِنْ الْكَامِلِ ] :

لَكَ فِي الْحَاسِنِ مَعْجَزَاتٌ جَمَّةٌ      أَبَدًا لَغَيْرِكَ فِي الْوَرَى لَمْ تَجْمَعِ  
بِحِرَانٍ بَحْرٌ فِي الْبَلَاغَةِ شَابَةٌ      شِعْرُ الْوَلِيدِ وَحَسَنُ لُفْظِ الْأَصْمَعِيِّ  
كَالنُّورِ أَوْ كَالسَّحْرِ أَوْ كَالدَّرِّ أَوْ      كَالْوَشْيِ فِي بَرْدٍ عَلَيْهِ مَوْشَعٌ

\*\*\*

٩١ - صَدَفْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِفْ مَوَاهِبَهُ      عَنِّي ، وَعَاوَدَهُ ظَنِّي فَلَمْ يَحْبِرْ  
كَالْغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَافَاكَ رَيْقُهُ      وَإِنْ تَرَحَّلَتْ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ

شاهد التشبيه  
المجمل

البيعتان لأبي تمام ، من قصيدة من البسيط (١) يمدح بها الحسن بن رجاء  
ابن الضحاك ، أولها :

أَبَدْتُ أَسَى أَنْ رَأَيْتُنِي مُخْلَسَ الْقَصْبِ      وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى تَجَبُّرِ  
سِتٍّ وَعَشْرُونَ تَدْعُونِي فَاتَّبِعْهَا      إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَظَلْمِ وَلَمْ تَحِبِّ (٢)  
يَوْمِي مِنَ الدَّهْرِ مِثْلُ الدَّهْرِ تَجْرِبَةٌ      حَزْمًا وَعِزْمًا وَسَاعَى مِنْهُ كَالْحَقِيبِ (٣)  
وَأَصْغَرِي أَنْ شَيْبًا لَاحَ لِي حَدَثًا      وَأَكْبَرِي أَنْتَنِي فِي الْمَهْدِ لَمْ أَشِبِ  
وَلَا يُورِّقُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ      فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَأْيِ وَالْأَدَبِ

(١) اقرأها في الديوان (١٥) وفيه أن الممدوح بها الحسن بن سهل  
(٢) في الأصل « ولم تحب » بالخاء معجمة ، وهو تصحيف ما أثبتناه ،  
و « لم تحب » بالخاء مهملة معناه لم تأثم ولم تذنب ، من الحوب وهو الاثم والذنب  
(٣) في نسخ الديوان التي بين يدي

\* يومى من الدهر مثل الدهر مشتهر \*

والساع : جمع ساعة

يقول في مديحها .

ستصبح العيسُ بي والليل غندَ فتى<sup>(١)</sup> كثير ذكرا الرضى في ساعة الغضب<sup>(٢)</sup>  
وبعد البيتان

ومعنى « صدفت » أعرضت ، ورَبَّق كل شئ : أوله وأصله ، والرواية  
في ديوان أبى تمام « مروءته » بدل « مواهبه »<sup>(٣)</sup> ، و « كان » بدل « لج » .  
وذ كرت بقوله « فان ذاك ابتسامُ الرأى والأدب » قول أبى الحسن  
على بن طاهر بن منصور [من الخفيف] :

أعرَضْتُ حين أبصرت شعراتٍ في عِذارى كأنهنَّ الثَّغَامُ  
قلتُ : هذا تبسمُ الدهرِ ، قالتُ : قدسعى في صدودكِ الابتسامُ

والشاهد في البيتين : التشبيه الجميل المذكور فيه وصف المشبه والمشبه به ،  
فانه وصف الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض ، وكذا وصف  
الغيث بأنه يصيبك جثته أو ترحلت عنه ، وهذان الوصفان مشعران بوجه الشبه ،  
أعنى الافاضة في حالتي الطلب وغدمه ، وحالتي الاقبال عليه والاعراض عنه .

\*\*\*

شاهد التشبيه  
المفصل

٩٢ — وتغرُّه في صفاء وأدمع كالآلى

البيت من المجتث ، وهو كالبيت السابق .

والشاهد فيه : التشبيه المفصل ، وهو ما ذكر فيه وجه الشبه ، وهو  
هنا الصفاء .

(١) في نسخة من الديوان

\* ستصبح العيس في ذا الليل عند فتى \*

(٢) في نسخة من الديوان « ولم تصدف مواهبه » وفي أخرى « ولم

تصدف مودته » وفي كليهما « لج في الطلب »



شاهد تفصيل  
التشبيه

٩٣ - حَمَلْتُ رُدَيْنِيَّ كَأَنَّ سَنَاةً سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانٍ

البيت لامرئ القيس ، من قصيدة (١) من الطويل ، أولها :

لَمَنْ طَلَلْتُ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِ زَبُورٍ فِي عَسِيبٍ يَمَانِي (٢)  
 دِيَارَ لَهْدٍ وَالرَّيَابِ وَفَرَّتَنِي لِيَاكِلِنَا بِالنَّفْعِ مِنْ بَدَلَانِ  
 لِيَا لِيَا يَدْعُونِي الصَّبَا فَأَجِيبُهُ وَأَعِينُ مَنْ أَهْوَى إِلَى رَوَانِي (٣)  
 فَإِنْ أَمْسَ مَكْرُوبًا فَيَارِبْ بِهِمَةَ كَشَفْتُ إِذَا مَا اسْوَدَّ وَجْهُ جِيَانِ (٤)  
 وَإِنْ أَمْسَ مَكْرُوبًا فَيَارِبْ قَيْنَةَ مُنْعَمَةٍ أَعْمَلْتُهَا بِكَرَانِ (٥)  
 لَهَا مِزْهَرٌ يَعْلُو الْخَمِيسَ بِصَوْتِهِ أَجَشَّ إِذَا مَا حَرَّكَتَهُ يَدَانِ (٦)  
 وهي طويلة .

والزديني : الرمح ، نسبة إلى امرأة كان تعمل الرماح اسمها ردينة  
 والشاهد فيه : تفصيل التشبيه ، وهو على وجوه ، أعرفها أن يأخذ بعضاً من  
 الأوصاف ، ويدع بعضاً كما فعل امرؤ القيس هنا حيث عزل الدخان عن  
 السنا وجرده .

(١) اقرأها في الديوان (١٨٦)

(٢) في الديوان

\* كخط الزبور في العسيب اليماني \*

والزبور : الكتاب المزبور أي المكتوب ، والمزبر ، بوزنة المنبر : القلم ،  
 والعسيب : سعف النخل

(٣) في الديوان « يدعوني الهوى » ورواني : نواظر ، جمع رانية

(٤) البهمة : الأمر المنبهم ، أو الشجاع الذي ينبهم أمره على قرنه

(٥) الكران : عود الطرب

(٦) المزهر : العود ، ويعلو : يغلب ، والخميس : الجيش العجب ، وفي

الديوان « حرّكه اليَدَانِ »

وذ كرت بأبيات امرئ القيس هذه تضمنين أبي الحسين الاشبيلي لبعضها  
وكان قد تناول من يد مُعَذِّرِ الأشعار الستة ، فأول ما وقعت عينه على قصيدة  
امرئ القيس هذه ، قال [ من الطويل ] :

وذى ضَلَفٍ خَطَّ العذارُ بِخَدِّه      كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبٍ يَمَانِي  
فَقَلْتُ لَهُ مُسْتَفْهِمًا كُنْهَ حَالِهِ      لِمَنْ طُلُلٌ أَبْصَرْتَهُ فَشَجَانِي  
فَقَالَ وَلَمْ يَمْلِكْ عِزَاءً لِنَفْسِهِ      تَمْتَعُ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ فَانِي  
فَمَا كَانَ إِلَّا بَرْهَةً إِذْ رَأَيْتُهُ      كَنَيْسٍ ظَبَاءِ الحُلْبِ العَدَوَانِ (١)

\*\*\*

٩٤ - لم تَأْتِ هذا الوجهَ شمسُ نهارِنا      إلا بوجهٍ ليس فيه حياة  
البيت للمتنبي، من قصيدة (٢) من الكامل يمدح بها هازون بن عبد العزيز  
الأوارجي ، وأولها :

أَمِنْ أَرْدِيَارِكٍ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ      إِذْ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ  
قَلِقَ المَلِيحَةُ وَهِيَ مَسْكُ هَتَكِهَا      وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاةُ  
أُسْفَى عَلَى أُسْفَى الَّذِي دَلَّهَنِي      عَنْ عِلْمِهِ فِيهِ عَلَى خَفَاءُ  
وَشَكَيْتِي فَقَدْ السَّقَامُ لِأَنَّهُ      قَدْ كَانَ لِمَا كَانَ لِي أَعْضَاءُ  
مَثَلْتُ عَيْنَكَ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً      فَتَشَابَهَا كَلْتَاهَا نَجْلَاءُ  
نَفَذْتُ عَلَى السَّابِرِيِّ وَرَبَّمَا      تَنَدَّقُ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمَرَاءُ (٣)  
أَنَا صَخْرَةُ الوَادِي إِذَا مَا زُوِّحَتْ      فَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي الْجَوْزَاءُ

(١) الحلب - بزنة سكر - نبات تأكله الوحوش فتضمر عليه بطوتها، وفي  
الأصل « الحلب والعدوان » ، والعدوان : الجري .

(٢) أقرأها في الذبوان (١ - ١٢)

(٣) السابري : الدرع الحصينة ، والصعدة : القنأة المعتدلة

وإذا خفيتُ على الغبيِّ فعاذرُ أن لا تراني مُقلَّةٌ عنياء  
ومنها :

فإذا سُبِّحتَ فلا لأنَّكَ محوجٌ وإذا كُتِمتَ وشتَّ بك الآلاء  
وإذا مُدِّحتَ فلا لتكسِبَ رفعةً للشاكرينَ على الإله ثناء  
وإذا مُطرتَ فلا لأنَّكَ مُجْدِبٌ يُسقي الخصبَ وتطر الدَّائِمة

والشاهد في البيت : التصرف في التشبيه القريب المبتدل بما يجعله غريباً  
ويخرجه عن الابتدال ، فان تشبيه الوجه بالشمس قريب مبتدل ، لكن حدوث  
الحياء عنه قد أخرجه عن الابتدال إلى الغرابة لاشتغاله على زيادة دقة وخفاء ،  
ثم إن كان قوله « لم تلق » من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه فيه مكنى غير مصرح ،  
وإن كان بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل ينبي عن التشبيه : أي لم تقابله ولم تعارضه  
في الحسن والبهاء إلا بوجه ليس فيه حياء .

ومثله قول الآخر <sup>(١)</sup> [ من البسيط ] :

إن السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرْتَ إِلَى نَدَاكَ فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا

\*\*\*

٩٥ — عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِبًا لَوْلَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَقْوُلُ

شاهد التشبيه  
المشروط

البيت لرشيد الدين الوطواط ، من قصيدة من الكامل .  
والثواقب : جمع ثاقب ، وهو النجم المرتفع على النجوم ، والأقول : الغيبة .  
والشاهد فيه : كما في البيت الذي فان قبله ، تشبيه العزم بالنجم مبتدل ،  
لكن الشرط المذكور أخرجه إلى الغرابة ، ويسمى هذا التشبيه المشروط ، وهو

(١) البيت لأبي نواس . وذكره العكبري في شرح ديوان المتنبي عند  
الكلام على البيت المستشهد به .

أن يقيد المشبه أو المشبه به أو كلاهما بشرط وجودى أو غدى يدل عليه بصريح اللفظ أو سياق الكلام.

وسياتى ذكر الطواط فى شواهد التفريق، إن شاء الله تعالى .

\*\*\*

٩٦- وَالرَّيْحُ تَعَبَتْ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ شاهد التشبيه المؤكد

البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله .

وعبث الريح بالغصون عبارة عن إمالتها إياها ، والأصيل : هو الوقت من

بعد العصر إلى الغروب ، ويوصف بالصفرة ، قال الشاعر [ من الطويل ] :

وَرُبَّ نَهَارٍ لِلْفِرَاقِ أَصِيلُهُ      وَوَجْهِي كَلَاوْنِيهِمَا مُتَنَاسِبُ

وما أحسن قول الخطيب أبى القاسم بن معاوية فيه [ من الوافر ] :

كَأَنَّ الْمَوْجَ فِي عُيْرِيهِ تَرْسٌ      تَذْهَبُ مَتْنُهُ كَفُّ الْأَصِيلِ

وقوله أيضاً [ من الطويل ] :

فَجَدَّوْلُهُ فِي سَرَحَةِ الْمَاءِ مُنْصَلٌّ      وَلَكِنَّهُ فِي الْجَذَعِ غُظْفُ سِوَارٍ

وَأَمْوَاجُهُ أُرْدَافُ غَيْدٍ نَوَاعِمٍ      تَلْفَقْنَ بِالْأَصَالِ رَيْطُ نُضَارٍ

ومثله لابن الأبار [ من الطويل ] :

وَنَهْرٍ كَمَا ذَابَتْ سِبَائِكُ فِضَّةٍ      حَكِي بِمَحَانِيهِ انْعِطَافَ الْأَرَاقِمِ

إِذَا الشَّقِيقُ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ احْمِرَارُهُ      تَبَدَّى خَضِييًّا مِثْلَ دَامِي الصَّوَارِمِ

ولابن قلاقس فى تشبيه الشمس وقت الأصيل [ من مجزوء الكامل ] :

والشمس فى وقت الأصيل بهارة لفت بورد

وله أيضاً فى معنى ما سبق [ من المتقارب ] :

كَأَنَّ الشَّعَاعَ عَلَى مَتْنِهِ      قَرْنَدٌ بِصَفْحَةِ سَيْفٍ صَدَى

وَأَشْبَهَ إِذْ دَرَجَتْهُ الصَّبَا بُرَادَةَ تَبَرُّ عَلَى مَبْرَدٍ  
ومن بديع ما وقع لشاعر في وصف نهر جعده النسيم قول ابن حمديس وقد  
جلس في منزله بأشبيلية ومعه جماعة من الأدباء وقد هبت ريح لطيفة صنعت  
من الماء حبكا جميلة فأنشد [من الرمل] :

\* حَاكَتْ الرِّيحُ مِنَ الْمَاءِ زَرْدُ \*

واستجاز الحاضرين ، فاتوا بما لم يَرْضَ ، إلى أن قال الشاعر المشهور  
بالحجام مجيزاً له :

\* هُوَ دِرْعٌ لِقِتَالِ لَوْ جَمَدُ \*

ومن الأندلسيين من ينسب هذا البيت إلى أبي القاسم بن عباد .  
ولابن حمديس المذكور مطلع قصيدة من وزن هذا البيت وقریب من معناه  
وهو [من الرمل] :

نَشَرَ الْجَوْ عَلَى التُّرْبِ بَرْدُ هَوْدَرٌ لِنُحُورٍ لَوْ جَمَدُ  
لَوْ لَوْ أصدافُهُ السُّحْبُ التي أَنْجَزَ الْبَارِقُ فِيهَا مَا وَعَدُ

ومن بديع ما وقع له فيها من التشبيه أيضاً قوله [من الرمل] :  
وَكَأَنَّ الصَّبْحَ كَفُّ حَلَلَتْ مِنْ ظِلَامِ اللَّيْلِ بِالنُّورِ عَقْدُ  
وَكَأَنَّ الشَّمْسُ تَجْرَى ذَهَبًا طَائِرًا مِنْ جِيدِهِ فِي كُلِّ يَدِ

ومن بديع ما يذكر في معنى البيت المستشهد به قول عبد العزيز بن المنفلت  
القرطبي ، أو ابن الحداد [من الكامل] :

إِنِّي أَرَى شَمْسَ الْأَصِيلِ عَلِيلَةً تَرْتَادُ مِنْ بَيْنِ الْمَغَارِبِ مَغْرِبًا  
مَالَتْ لِتَحْجُبَ شَخْصَهَا فَكَأَنَّهَا مَدَّتْ عَلَى الدُّنْيَا بِسَاطًا مُدْهَبًا

وما أحسن قول ابن لؤلؤة الذهبي [من الطويل] :

وما ذَهَبَتْ شمسُ الأصيلِ عَشِيَّةً إلى الغربِ حتى ذَهَبَتْ فِضَّةُ النهرِ  
وما أبدع قول الآخر أيضا [ من الطويل ] :

ونهرٍ إذا ما الشمسُ حانَ غروبُها عليه ولاحت في ملابسها الصُّفْرُ  
رأينا الذي أبقت به من شعاعها كأننا أرقنا فيه كأساً من الخمرِ  
وقول إبراهيم بن خفاجة أيضا [ من المتقارب ] :

وقد غَشِيَ النبتُ بطحاءهُ كبدوا العذارِ بخدِ أسيلِ  
وقد ولَّتِ الشمسُ مُحْتَثَّةً إلى الغربِ ترنو بطرفِ كحيلِ  
كأنَّ سناها على نهره بقايا نجيعٍ بسيفِ صقيلِ  
وبديعٌ أيضا قول ابن سارة هنا [ من الكامل ] :

النهرُ قد رَقَّتْ غلالةُ صفوه وعليه من صبيغِ الأصيلِ طرازُ  
تترقُّقُ الأمواجُ فيه كأنها عُنْ كُنْ الخصور تهزها الأعجازُ  
وما أعذب قول الحسن بن سراج فيه [ من الكامل ] :

عمرى أبا حسنٍ لقد جئتَ التي عطفَتْ عليكِ ملامةَ الإخوانِ  
لما رأيتُ اليومَ ولَّى عمرهُ والليلُ مُقْتَبِلُ الشبية داني  
والشمسُ تنفضُ زعفراناً بالربا وثَغَتْ مِسْكَنتها على الغيطانِ  
أطلعتها شمساً وأنتَ صباحها وحففتها بكواكبُ النُدمانِ  
وأتيتُ بدعاً في الأنامِ مخللاً فيما قرنتَ ولاتَ حينِ قرآنِ  
وما أبدع قول عيسى بن لبون أيضا [ من البسيط ] :

لو كنتَ تشهدُ يا هذا عَشِيَّتَنَا والمزنُ يسكبُ أحيانا وينحدرُ  
والأرضُ مصفرةٌ بالمزنِ كاسية أبصرتَ تبرا عليه الدُرُّ ينتثرُ  
وبديعٌ أيضا قول أبي الغلاء المعري [ من الخفيف ] :

ثمَّ شابَّ الدُّجَى وَخَافَ مِنَ الْمَجَرِّ فغَطَى الْمَشِيبَ بِالزَّعْفَرَانِ  
 وَقَوْلُ أَسْعَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ بَلَيْطَةَ [ مِنْ الْكَامِلِ ] :  
 لَوْ كُنْتُ شَاهِدًا عَشِيَّةً أَنْسَاهَا وَالْمَزْنَ يُمَكِّنَا بَعِيْنِي مُدْنِبِ  
 وَالشَّمْسُ قَدِمَتْ أَدِيمَ شَعَاعِهَا فِي الْأَرْضِ تَجْنَحُ غَيْرَ أَنْ لَمْ تَذْهَبِ  
 خَلَّتِ الرُّذَاذُ بَرَادَةً مِنْ فَضَةٍ قَدْ غَرَبَتْ مِنْ فَوْقِ نَظْمِ مَذْهَبِ  
 وَلَا بِنَ حَمْدِيسَ فِي وَصْفِ نَهْرٍ أَلْقَتِ الشَّمْسُ عَلَيْهِ حَمْرَتَهَا عِنْدَ الشَّرُوقِ مِنْ  
 أَيْيَاتِ [ مِنْ الْبَسِيطِ ] :

وَمَشْرِقٍ كِيَمِيَاءِ الشَّمْسِ فِي يَدِهِ فَفَضَةُ الْمَاءِ مِنْ إِلْقَائِهَا ذَهَبُ  
 وَمِثْلُهُ أَيْضًا قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ [ مِنْ الطَّوِيلِ ] :  
 يُظَنُّ بِهِ ذُوبُ اللَّجَيْنِ فَإِنْ بَدَتْ لَهُ الشَّمْسُ أُجِرَتْ فَوْقَهُ ذُوبُ عَسَجِدِ  
 وَبَدِيعُ قَوْلِ الشَّرِيفِ أَبِي الْقَاسِمِ شَارِحِ مَقْصُورَةِ حَازِمٍ [ مِنْ الْكَامِلِ ] :  
 وَغَرِيبَةُ الْإِنْشَاءِ سَرْنَا فَوْقَهَا وَالْبَحْرُ يَسْكُنُ تَارَةً وَيَمُوجُ  
 عِجْجًا نَوْمٌ بِهَا مَعَاهِدَ طَائِلًا كَرَمَتْ فَعَاجِجُ الْحَسَنِ حِينَ تَمُوجُ  
 وَابْتَدَتْ مِنْ شَمْسِ الْأَصِيلِ أَمَامَنَا نُورٌ لَهُ مَرَايَ هُنَاكَ بِهَيْجِ  
 فَكَأَنَّ مَاءَ الْبَحْرِ ذَائِبُ فَضَةٍ قَدْ سَالَ فِيهِ مِنَ النَّضَارِ خَلِيجُ  
 وَبَدِيعُ قَوْلِ ابْنِ الْعَطَّارِ ، وَهُوَ فِي مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ حَمْدِيسَ السَّابِقِ ، وَهُوَ  
 [ مِنْ الطَّوِيلِ ] :

مَرَرْنَا بِشَاطِئِ النَّهْرِ بَيْنَ حَدَائِقِ بِهَا حَلَقُ الْأَزْهَارِ تَسْتَوْقِفُ الْحَلَقُ  
 وَقَدْ نَسَجَتْ كَفُّ النِّسِيمِ مَقَاضِيَةً عَلَيْهِ وَمَا غَيْرُ الْحَبَابِ لَهَا حَلَقُ  
 وَقَوْلُهُ أَيْضًا [ مِنْ الْخَفِيفِ ] :  
 هَبَّتِ الرِّيحُ بِالْعَشِيِّ فَجَاكَتْ زَرَدًا لِلْغَدِيرِ نَاهِيكَ جَنَّةُ

فأنجلي البدر بعد هذه فصاغت كفه للقتال فيه أسنة

والشاهد في البيت : حذف أداة التشبيه ، ويسمى التشبيه المؤكّد ، وهو هنا تشبيه صفرة الأصيل بالذهب وبياض الماء وصفائه باللجين ، وهو الفضة .

تشبيهات متنوعة  
من غير أداة

ومن محاسن التشبيه من غير أدواته قول الواواء الدمشقي [ من البسيط ] :

قالوا وقد فتكت فينا لواحظها مهلاً أما لقتيل الحب من قود

وأسبكت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقت ورذاً وعصت على المنّاب بالبرد

ومثله قول الحريري [ من البسيط ] :

سألها حين زارت نضو برقعها السقاني وإيداع معي أطيب الخبر

فزحزحت شققاً غشى سناقرٍ وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر

وقوله أيضاً [ من البسيط ] :

وأقبلت يوم جد البين في حلّ سودٍ تعضّ بنان النادم الحصر

فلاح ليل على صبح أقلّمها غصنٍ وضّرت البلور بالدرر

وقول الغزي الشاعر [ من البسيط ] :

وما نسيت وما أنسى تبسمهما وملبس الجو غفل غير ذي علم

حتى إذا طاح عنها المرط من دهشٍ وانحل بالضم عقد السلك في الظلم

تبسمت فأضاء الجو فالتقطت حبات منتثر في ضوء منتظم

وقول أبي طالب المأموني [ من الكامل ] :

عزماهم قضبٌ ، وفيضٌ أكهف سحبٌ ، وييضٌ وجوههم أقمار

وقول صرّ درّ [ من البسيط ] :

الباذل العرف والأنواء باخلة والمالعي الجار والأعمار تخترم

حيث الدجى النقع والفجر الصوازم والناشد الفوارس والخطية الأجم



وقول محمد بن حمدون القنوع من قصيدة في شبل الدولة بن صالح لما هزم  
ملك الروم [من الكامل] :

لبسوا دروعاً من ظباك تقيهم كانت عليهم للجتوف شباً  
نالت بك العرب الغنى من مالهم وتقاسمت أتراك الأتراكا  
لوم يقرّ جعلت صفحة خده نعلا وقوسى حاجبيه شراً  
أردت البيت الأخير، ومنه قول أبي حفص عمر المطوعى [من الوافر] :

ومعسول الشائل قام يسعى وفي يده رحيق كالخريق  
فأسقاني عقيقاً حشوّ درّ ونقلني بدرّ في عقيق  
وما أبدع قول أبي الحسن العقيلي [من البسيط] :

وللأفاحي قصورٌ كلها ذهبٌ من حولها شُرُفاتٌ كلها دُرّ  
ولنذكر هنا طرفاً من التشبيهات على اختلاف أنواعها، وغريب أسلوبها

واختراعها، فمن ذلك قول منصور بن كيعلغ، وهو [من الكامل] :

طرف من  
التشبيهات  
المختلفة الأنواع

عاد الزمان بمن هويت فأعتبا ياصاحبي فأسقياني واشربا  
كم ليلةٍ سامرتُ فيها بدرها من فوق دجلة قبل أن يتغيبا  
قام الغلام يُديرها في كفه فحسبت بدر التم يحمل كوكبا  
والبدر يجنح للغروب كأنه قد سلّ فوق الماء سيفاً مذهبا

وأحسن ما سمع في هذا المعنى قول التنوخي [من الكامل] :

أحسن بدجلة والدجى متصوبٌ والبدر في أفق السماء يغرب  
فكأنها فيه بساطٌ أزرقٌ وكأنه فيها طرازٌ مذهبٌ  
ولأبي فراس في وصف الجللانار [من مجزوء الرجز] :

وجلنارٍ مُشرقٍ على أعالي شجره

كَأَنَّ فِي رُؤُوسِهِ أَخْمَرَهُ وَأَصْفَرَهُ  
قُرَاضَةً مِنْ ذَهَبٍ فِي خِرْقٍ مُعْصَرَةٍ

ولأبي الفرج البقاء في وصف كانون نار من أبيات ، وتُعزى إلى السري  
الرفاء [من المتقارب] :

وَذِي أَرْبَعٍ لَا يُطِيقُ التَّهْوِضَ وَلَا يَأْلُفُ السَّيْرَ فِيمَنْ سَرَى  
تَحْمُلُهُ سَبَجًا أَسْوَدًا فَيَجْعَلُهُ ذَهَبًا أَخْرَا  
وله في معناه أيضا [من مجزوه الوافر] :

وَأَحْدَقْنَا بِأَزْهَرِ خَا فِقَاتِ حَوْلِهِ الْعَذَبُ  
فَمَا يَنْفَكُ عَنْ سَبَجٍ يَعُودُ كَأَنَّهُ ذَهَبُ  
وله فيه أيضا [من المنسرح] :

وَالْتَهَبَتْ نَارُنَا فَنَظَرُهَا يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ عَجِبَ  
إِذَا رَمَتْ بِالْشَّرَارِ وَاضْطَرَمَتْ عَلَى ذَرَاهَا مَطَارُفُ اللَّهَبِ  
رَأَيْتَ يَاقُوْتَةً مُشْبِكَةً تَطِيرُ مِنْهَا قُرَاضَةُ الذَّهَبِ  
ولأبي محمد الخالدي في معناه [من المنسرح] :

وَمُقَعِدٍ لَا حِرَاكَ يُنْهَضُهُ وَهُوَ عَلَى أَرْبَعٍ قَدْ اتَّصَبَا  
مُصْفَرٌّ مُحْرَقٌ تَنْفُسُهُ تَخَالُهُ الْعَيْنُ عَاشِقًا وَصَبَا  
إِذَا نَظَّمْنَا فِي جِيدِهِ سَبَجًا صَيَّرَهُ بَعْدَ سَاعَةٍ ذَهَبَا  
ولأبي بكر (١) الخالدي في وصف الصباح من هذه القصيدة أيضا

طَوَى الظَّلَامُ الْبُنُودَ مُنْصَرَفًا حِينَ رَأَى الْفَجْرَ يَنْشُرُ الْعَذَابَا  
وَاللَّيْلُ مِنْ فَتْكَةِ الصَّبَاحِ بِهِ كَرَاهِيِبٍ شَقَّ جِيبَهُ طَرَبَا  
وللسري الرفاء في مثله [من المنسرح] :

(١) كذا ، وقد ذكره أولا بكنية « أبي محمد »

كَرَاهِبٍ جُنَّ لِلْهَوَى طَرَبًا فَشَقَّ جِلْبَابَهُ مِنْ الطَّرَبِ  
وله في معناه أيضاً [من السريع]:

وَالْقَجْرُ كَالرَّاهِبِ قَدْ مُزِّقَتْ مِنْ طَرَبٍ عَنْهُ الْجَلَابِيبُ  
وما أحسن قول ابن حيان الكاتب أيضاً [من المنسرح]:

كَأَنَّمَا الْفَحْمُ وَالزَّنَادُ وَمَا تَفْعَلُهُ النَّارُ فِيهِمَا لَهْبَنَا  
شَيْخٌ مِنَ الزَّنَجِ شَابَ مَفْرِقُهُ عَلَيْهِ دِرْعٌ مَنسُوجَةٌ ذَهَبًا  
وقول مجير الدين بن تميم [من الكامل]:

وَكَأَنَّمَا النَّارُ الَّتِي قَدْ أُوقِدَتْ مَا بَيْنَنَا وَلَهْبِهَا الْمُتَضَرِّمُ  
سَوْدَاءُ أُخْرِقَ قَلْبُهَا فَلِسَانُهَا بِسَفَاهَةٍ لِلْحَاضِرِينَ يُكَلِّمُ  
وقوله أيضاً [من المنسرح]:

كَأَنَّمَا نَارُنَا وَقَدْ خَمِدَتْ وَجَرَّهَا بِالرَّمَادِ مَسْتَوْرُ  
دَمٌ جَرَى مِنْ فَوَاحِشٍ ذُبِحَتْ مِنْ فَوْقِهَا رِيَشُنْ مَنْشُورُ  
وقوله أيضاً [من المنسرح]:

كَأَنَّمَا النَّارُ فِي تَلْهَبِهَا وَالْفَحْمُ مِنْ فَوْقِهَا يَغْطِيهَا  
زَنْجِيَّةٌ شَبَّكَتْ أَنَامِلَهَا مِنْ فَوْقِ نَارِنِجَةٍ لَتَخْفِيهَا

وقول الآخر [من مخلع البسيط]:

كَأَنَّنِي كَانُوا تَنَّا سَمَاءَ وَالْجَرِّ فِي وَسْطِهَا نَجُومُ  
وَنَحْنُ جُنَّ بِخَافَتِيهِمِ وَالشَّرَرُ الطَّائِرُ الرَّجُومُ

وبديع أيضاً قول ابن مكنته [من المنسرح]:

إِزْرِيقْنَا عَاكِفَ عَلَى قَدَحٍ كَأَنَّهُ الْأُمُّ تَرْضِعُ الْوَلَدَ  
أَوْ عَابِدٍ مِنْ بَنَى الْمَجُوسِ إِذَا تَوَهَّمُ الْكَأْسَ شَعْلَةً سَجَدًا

وفي معنى البيت الثاني قول القاضى أبى الفتح بن قادوس [ من البسيط ] :  
 وليلةٌ كاجتماع الجن قصَّرها      وصلُّ الحبيب ولم تقصِّر عن الأمل  
 وكلما رام نطقاً في معاتبتى      سَدَدَتْ فاه بنظم اللثم والقبيل  
 وبات بذر تمام الحسن مُعتنقى      والشمس في فلك الكاسات لم تفل  
 فبتُ منها أرى النار التي سَجَدَتْ      لها المجوسُ من الأبريق تسجدُ لى

ومن بديع التشبيه وغريبه قول ابن حمديس من أبيات [ من الكامل ] :  
 خمراء تشربُ بالأنوفِ سلافها      لطفاً مع الأسماع والأحداق  
 بزُجاجةِ صُورُ الفوارس نقشها      قترى لها خرباً بكفِّ السَّاقِ  
 وكأنما سفكت صوارمها دماً      لبستُ به عرقاً إلى الأعناق  
 وكأنَّ للكاساتِ خمر غلائلٍ      أزرارها دُرٌّ على الأطواق  
 وما أحسن قول ابن عطية أيضاً [ من السريع ] :

بتنا نديرُ الرِّاح في شاهق      ليلاً على نَفْمةِ عودين  
 والنَّار في الأرض التي دوننا      مثلُ نجومِ الجوّ في العيين  
 فيا له مِنْ مَنْظَرٍ مَوْقٍ      كأننا بينَ سماءَيْنِ

وما أحسن قول الخالدي من قصيدة أولها [ من الكامل ] :

لو أَشَرَقَتْ لك شمسُ ذاك الهودج      لَأَرَتَكَ سالفتي غزال أدعيج  
 أرعى النجومَ كأنَّها في أفقها      زهرُ الأفاخي في رياضِ بَنفسج  
 والمُشترى وسطَ السَّماءِ تخالهُ      وسَنَاهُ مثلُ الزُّبُقِ المَترَجِج  
 مِسْمارَ تَبَرٍ أَصْفَرَ ركبتهُ      في فَصٍّ خاتمِ فِضَّةٍ فيروُزِج  
 وتمايلُ الجوزاءِ يحكي في الدُّجى      ميلانَ شاربِ قَهْوَةٍ لم تُمزَجِ  
 وتنقبتُ بخفيفِ عَيمٍ أبيض      هيَ فيه بينَ تخفُّرٍ وتبرُّجِج

كَتَنَفَسِ الحُسْنَاءِ فِي المَرَاةِ إِذْ كَمَلَتْ مُحَاسِنَهَا وَلَمْ تَتَزَوَّجْ  
وَهَذَا تَشْبِيهِ بَدِيعٍ لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي حَفْصٍ بْنِ بُرْدٍ [ مِنْ  
الْكَامِلِ ] :

وَالْبِدْرُ كَالْمَرَاةِ غَيْرَ صَقْلَهَا عَيْثُ الْغَوَانِي فِيهِ بِالْأَنْفَاسِ  
وَقَوْلُ ابْنِ طِبَاطِبَا الْعَلَوِي [ مِنْ الْوَافِرِ ] :

مَتَى أَبْصَرْتُ شَمْسًا تَحْتَ غَيْمٍ تَرَى المَرَاةَ فِي كَفِّ الحُسُودِ  
يَقَابِلُهَا فَيَلْبِسُهَا غِشَاءً بِأَنْفَاسٍ تَزَايِدُ فِي الصُّعُودِ  
وَالْخَالِدِي فِي وَصْفِ النُّجُومِ [ مِنْ الْمُنْشَرَحِ ] :

كَأَنَّمَا أَتَجَمُّ السَّمَاءُ لِمَنْ يَرْمُقُهَا وَالظَّلَامُ مُنْتَطَبِقُ  
مَالٍ بِخَيْلٍ يَظَلُّ يَجْمَعُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَلَيْسَ يَفْتَرِقُ  
وَلَاخِيهِ أَبِي عِمَّانَ الْخَالِدِي فِي وَصْفِ النُّجُومِ أَيْضًا [ مِنْ مَجْزُوءِ الرِّجْزِ ]  
وَلَيْلَةُ لَيْلَاءٍ فِي اللَّوْنِ كَلَوْنِ المَفْرِقِ  
كَأَنَّمَا نَجُومُهَا فِي مَغْرَبٍ وَمَشْرِقِ  
دِرَاهِمٌ مَنْشُورَةٌ عَلَى بَسَاطٍ أَرْزَقِ

وَمِنْ التَّشْبِيهِ النِّفَيسِ قَوْلُ ابْنِ حَمْدِيسٍ فِي وَصْفِ خَضَابِ الشَّيْبِ [ مِنْ  
الْخَفِيفِ ] :

وَكَأَنَّ الخِضَابَ دُحْمَةُ لَيْلٍ تَحْتَهُ لِلشَّيْبِ غُرَّةٌ صُبْحُ  
وَقَوْلُهُ أَيْضًا فِي تَشْبِيهِ الْعِدَارِ مِنْ أَيْيَاتِ [ مِنْ الْمُنْشَرَحِ ] :  
أَوْ دَبٌّ بِالْحَسَنِ فَوْقَ عَارِضِهِ تَمَلَّ أَصَابَ المَدَادُ أَرْجُلَهَا  
وَقَوْلُهُ أَيْضًا فِي وَصْفِ الشَّمْعَةِ [ مِنْ السَّرِيعِ ] :

كَأَنَّمَا رَاقِصَةٌ بَيْنَنَا لَمْ تَتَنَقَّلْ بِالرَّقْصِ مِنْهَا قَدَمٌ

قائمة في ملبسٍ أصفرٍ قد حرَّكت منه لنا فردكم  
وبديع قوله أيضاً في وصف الشيب [من مخلص البسيط] :  
ولى شيبابى وراع شيبى منى سرب المها وفضة  
كأنما المشط في يميني يجز منه خيوط فضة  
وللواواء الدمشقى [من الكامل] :

ولرب ليل ضل عنه صباحه وكأنه بك خطرة المتذكر  
والبدراول ما بدا متلثما يبدى الضياء لنا بجدر مسفر  
فكأنما هو خودة من فضة قد ركبت في هامة من عنبر  
ولأبى طالب الرفاء في وصف أترجة مقنعة [من الرجز] :

مضفرة الظاهر بيضاء الحشى أبدع في صنعها رب السما  
كأنها كف محب ديف مبعد يحسب أيام الجلفا  
ولابن لنكك البصرى [من الوافر] :

ودروض عيقرى الوشى غصير يشاكل حين زخرف بالشقيق  
سما زبرجد خضراء فيها نجوم طالعات من عقيق  
وللنفرى الكاتب فى الباقلاء الأخضر [من الوافر] :

فصوص زبرجد فى غلف دُر باقاع حكت تعلیم ظفر  
وقد صاغ الإله لها ثياباً لها لوان من بيض وخضر  
ولعبدان الخوذى فى قينة [من الطويل] :

لنا قينة تحمى من الشرب شربنا فقد أمینوا سكرًا وخوف خمار  
تكسر عن أنيابها فى غنائها فتحكى حمارًا شم بول حمار  
وما أطف قول عبد الله بن النطاح فى أحدب [من الكامل] :

وَقَصِيرٌ قَدْ جُمِعَتْ أَعْضَاؤُهُ      لِيَكُونَ فِي بَابِ الْخِلَاعَةِ أَطْبَعًا  
 قَصُرَتْ أَخْطَعُهُ وَغَاصَ قَدَّالُهُ      فَكَأَنَّهُ مُتَوَقِّعٌ أَنْ يُضْفَعًا  
 وَكَأَنَّهُ قَدْ ذَاقَ أَوَّلَ ضَفْعَةٍ      وَأَحْسَ ثَانِيَةً لَهَا فَتَجَمَّعًا  
 وَبَدِيعُ قَوْلِ السَّرَاجِ الْحَازِ يَهْجُو امْرَأَةً سَوْدَاءَ زَامِرَةَ [مِنَ الْكَامِلِ]:  
 وَلَرْبَّ زَامِرَةَ تَهِيْجُ بَزْمَرِهَا      رِيْحَ الْبَطُونِ فَلَيْتَهَا لَمْ تَزْهَرْ  
 شَبَّهَتْ أَثْمَلَهَا عَلَى صِرْنَابِهَا      وَقُبَيْحَ مَبْسَمِهَا الشَّنْبَعِ الْأَبْجَرْ  
 بِخَنَافْسٍ قَصَدَتْ كَنْيَفًا وَاعْتَدَتْ      تَسْعَى إِلَيْهِ عَلَى خِيَارِ الشَّنْبَرِ  
 وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ يَهْجُو زَامِرًا أَسْوَدَ أَيْضًا [مِنَ الرِّجْزِ]:

فَكَأَنَّهُمَا فِي حَالَةِ الْعِيَانِ      خَنَافْسٍ دَبَّتْ عَلَى ثُعْبَانِ  
 وَقَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَصْرِيِّ الْكَاتِبِ [مِنَ السَّرِيعِ]:

رَأَيْتُ يَخْبِي إِذَا أَقَادَ الْغَنَى      هَاجَ بِهِ ذَكَرُ وَوَسْوَاسِ  
 كَأَنَّهُ كَلَبٌ عَلَى جَيْفَةٍ      يَخَافُ أَنْ يَطْرُدَهُ النَّاسُ  
 وَقَوْلِ الْبَسَامِيِّ فِي رَجُلٍ لَبَسَ خِلْعَةً تَطُولُ عَلَيْهِ وَيَقْصُرُ عَنْهَا [مِنَ السَّرِيعِ]

كَأَنَّهُ لَمَّا بَدَأَ طَالِمًا      فِي خِلْعَةٍ يَقْصُرُ عَنْ لِبْسِهَا  
 نَجَارِيَّةٌ رَعْنَاءٌ قَدْ قَدَّرَتْ      ثِيَابَ مَوْلَاهَا عَلَى نَفْسِهَا  
 وَلَطِيفُ قَوْلِ ابْنِ قَلَاقِصٍ فِي غَوَادِ اسْمِهِ حَسَنَ [مِنَ الْكَامِلِ]:

حَسَنٌ مَلَاوِي عَوْدِهِ      مَهْمَا تَنَاوَلَهُ مَسَاوِي  
 وَكَأَنَّهُ إِنْ جَسَّهُ      مِنْ بَعْدِ تَحْرِيرِ الْمَلَاوِي  
 كَلَبٌ يُجَادِبُ كَعَّهُ      أَنْشُوطَةٌ وَالْكَلْبُ عَاوِي

وَلَأَبِي طَالِبِ الْمَأْمُونِي فِي زِمَانَةِ تَفْتٍ [مِنَ السَّرِيعِ]:  
 زِمَانَةٌ مَا زِلْتُ مُسْتَخْرَجًا      فِي الْجَامِ مِنْ حَقِّهَا جَوْهَرًا

فالجام أرض وبناني حياً      يُمطر منها ذهباً أحمر  
وللصاذغ بالخلق الوامع وأجاد [ من السريع ] :

وليلة شاب بها المفرق      بل جمّة الناظر والمنطق  
كأنما فحم الغضا بيننا      والنار فيه ذهب محرق  
أو سبج في ذهب أحمر      بينهما لينوفر أزرق

وللامام أبي طاهر التميمي رحمه الله تعالى [ من الرجز ] :

يارب كؤماء خضبت فخرها      بعمدية مثل القضاء السابق  
كأنها والدم حبس حولها      سوسنة زرقاء في شقائق  
وله في وصف الزمان [ من الطويل ] :

خذوا ضعة الرمان عني فان لي      لساناً عن الأوصاف غير قصير  
حقائق كأمثال الكرات تضربت      فضوض بلخش في غشاء حرير  
وله في النرجس [ من الكامل ] :

يأنرجسا لم تغتد قائمته      سهم الزمرد حين تنتشب  
فرصاته عظم وقدرته      قطع اللجين وقوقه ذهب

ولأبي منصور البغوي رحمه الله تعالى [ من الطويل ] :

توائمت لنا من خدرها بسوالف      كما لاح بدر من خلال شحاب  
ولهم الصبا صدغاً لها فوق خدرها      كما روحت نار برش غراب

ولنظير بن يسار الهروي في تفاعلة مضمومة [ من الكامل ] :

تفاعلة قد عضتها قر      عمداً ومداك موضع العضة  
وكأن عضته ممسكة      صدغ أحاط بوجنة غضة  
وكأنما نونان قد كشبا      بالمسك في كرة من الفضة



وله أيضاً [ من الكامل ] :

وبدا لنا بدر الدجى والليل قد  
غطى الكسوف عليه إلا لمعة  
وله فى النرجس [ من الرجز ] :

ونرجس غادرنى ما بين محب وعجب  
كطبق من فضة عليه كأس من ذهب

وما أبدع قول أسعد بن إبراهيم بن بليطة [ من المنسرح ] :

أحببت بنور الأفاح نوارا  
كأن ما صفر من مؤسطة  
كأن مبيضه صقالبة  
كأنه ثغر من هويت وقد  
عسجده فى لجينه حارا  
عليل قوم أتوه زوارا  
كانوا مجوساً فاستقبلوا نارا  
وضعت فيه بفي ديناراً

ومن بديع ما قيل فيه قول ابن عباد الاسكندرى أيضاً [ من البسيط ] :  
كأن شمعه من فضة حُرست  
وقول ظافر الحداد الاسكندرى أيضاً [ من البسيط ] :

والأقحوانة تحكى ثغر غانية  
كشمسة من لجين فى زبرجدة  
وللشقائق جمر فى جوانبها  
تبسمت فيه من عجب ومن عجب  
قد شرفت تحت مسمار من الذهب  
بقية الفغم لم تستره باللهب

ومن لطيف التشبيه قول محمد بن عبد الله بن طاهر فى الورد [ من البسيط ] :  
أما ترى شجرات الورد مظهرة  
كأنهن يواقيت يطيف بها  
منها بدائع قدر كبن فى قصب  
صفر ومن حولها خضر من الشطب  
زمرّد وسطه شذر من الذهب

ولأبي الحكم مالك بن المرحل يصف قصرَ الليل ، وأجاد [ من الكامل ] :  
 وعشية سبق الصباحُ عشاءها      قصرًا فما أمسيت حتى أسفرا  
 مسكية لبست حلًى ذهبيةً      وجلا تبسّمها نقاباً أحمرًا  
 وكأن شهبَ الرجم بعض حليها      عثرت به من سرعة فتكسرا  
 وما أحسن قول صفوان بن إدريس من أبيات [ من الكامل ] :  
 والورد في شطّ الخليج كأنه      رمد ألّم بمقلّة زرقاء  
 وما ألطف قول بعضهم [ من السريع ] :

وشادن أبصرته راكباً      في كفه جوكانه يلعب  
 كالبدرفوق البرق في كفه      هلاله والكرة الكوكب

ومثله قول الصفي الحلي ، ولم أدر أيهما أخذ من الآخر [ من الكامل ] :  
 ملك بروض فوق طرف ضارباً      بيجوكان حناه ضراباً  
 فكأن بدرًا في سماء راكباً      برقًا يزحزح بالهلال شهاباً  
 ومن بديع التشبيه قول الأستاذ علي بن الحسن بن علي بن سعد الخير في دولاب  
 [ من الكامل ] :

لله دولابٌ يفيضُ بسلسل      في روضة قد أينعتُ أفنانا  
 قد طارحتهُ بها الحمام شجّوها      فيجيبها ويرجعُ الألحانا  
 فكأنه دَفٌّ يدور بمعهده      يبكي ويسأل فيه عمَّنْ بانا  
 ضاقت مجارى طرّفه عن دمه      فتفتحت أضلاعه أجفانا

وباب التشبيه واسع جدًّا ، تضيق الطاقة عن حصره ، وهذا القدر  
 كاف فيه .



# مكتبة الدكتور وزير الصحة

شواهد الاستعارة

## ٩٧ - لدى أشد شاكي السلاح مُقذِفٍ

قائله زهير بن أبي سُلمى ، من قصيدته السابقة في شواهد الإيجاز ، وسيأتى  
كاملا فيما بعد<sup>(١)</sup> وقبله

لعمري لنعم الحى جرَّ عليهم  
وكان طوى كشحا على مُستكنة<sup>(٢)</sup>  
وقال ساقضى ماربى ثم اتقى  
عدوى بألف من ورأى ملجم<sup>(٣)</sup>  
فشد ولم ينظر بيوتا كثيرة  
لدى حيث ألت رحلها أم فشم<sup>(٤)</sup>

وبعده البيت ، والقصيدة طويلة يقول منها أيضاً:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش  
ثمانين عاماً لا أباكك يسأم<sup>(٥)</sup>  
رأيت المنايا خبط عشواء من تُصيب  
تبعته ومن تُخطيء يعمر فيهرم  
ومهما تكن عند امرئ من خليفة  
وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

وشاكي السلاح وشاكه وشائكه : حديده ، والمقذِف : الذى يقذف به  
كثيراً إلى الوقائع ، أو الذى رمى باللحم رمياً .  
والشاهد فيه : الاستعارة التحقيقية ، فالأسد هنا مستعار للرجل الشجاع  
وهو أمر متحقق حساً .

(١) الشاهد صدر بيت ، وعجزه قوله

\* له لبد أظفاره لم تقلم \*

(٢) فى الأصول « على مستكنة » وفيها « ولم تتقدم » وأثبتنا ما فى  
ديوان زهير ، وحكى فى شرح الديوان رواية أخرى « ولم يتجمجم »

(٣) فى الديوان « ساقضى حاجتى »

(٤) فى الديوان « فشد ولم يفزع » وحكى فى الشرح أنه يروى ولم ينظر كما هنا

(٥) فى نسخ المعلقات والديوان « ثمانين حولاً »

شاهد ادعاء  
أن المشبه من  
جنس المشبه به

٩٨ — قَامَتْ تُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ      نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي  
قَامَتْ تُظِلُّنِي وَمِنْ عَجَبٍ      شَمْسٌ تُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ

البيتان لابن العميد، وهما من الكامل، قالمها في غلام حسن قام على رأسه  
يظله من الشمس<sup>(١)</sup>، وقال ابن النجار في تاريخه: قرأت على إسماعيل بن سعد الله  
أنبأنا بكر بن علي التاجر، قال: أنشدنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي اوعظ  
في ولده أبي العباس، لأنه كان يقوم إذا جاءت عليه الشمس ويظله فقال:

قَامَتْ تَظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ      نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي  
قَامَتْ تَظِلُّنِي وَمِنْ عَجَبٍ      شَمْسٌ تُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ  
لَمَّا رَأَيْتُ الشَّمْسَ بَارِزَةً      سَتَرْتُ عَيْنَ الشَّمْسِ بِالْخَمْسِ  
ثُمَّ اسْتَعْنْتُ عَلَى الْقِيَامِ      مَنِ الْفُؤَادِ بِأَيِّ الْكَرْسِ

وقال ياقوت في معجم الأدباء: كان أبو إسحاق الصابي واقفا بين يدي  
عضد الدولة وعلى رأسه غلام تركي جميل، فكان إذا رأى الشمس عليه حجبا  
عنه، فقال للصابي: هل قلت شيئا يا إبراهيم؟ فقال:

وَقَفْتُ لَتَحْجُبَنِي عَنِ الشَّمْسِ      نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي  
ظَلَّتْ تَظِلُّنِي وَمِنْ عَجَبٍ      شَمْسٌ تُغَيِّبُنِي عَنِ الشَّمْسِ  
فَسُرَّ بِذَلِكَ .

والشاهد فيهما: أن إطلاق المشبه به على المشبه إنما يكون بعد ادعاء دخوله  
في جنس المشبه به، وإذا كان كذلك فيكون استعمال الاستعارة في المشبه

(١) رواهما أبو منصور النعماني في اليتيمة (٣-١٦٠) لابن العميد، وروى  
الثاني هكذا:

فأقول: واعجبا، ومن عجب      شمس تظللني من الشمس  
(٨ — معامد ٢)

استعمالاً فيما وضعت له ، فهنا لولا أنه ادعى له معنى الشمس الحقيقي وجعله شمساً لما كان لهذا التعجب معنى ، إذ لا تعجب في أن إنساناً حسناً يظلل إنساناً آخر .  
 وقريب من معنى البيتين ما حكى أن سيماء التركي غلام المعتصم كان أحسن تركي على وجه الأرض في وقته ، وكان المعتصم لا يفارقه ولا يصبر عنه محبة له ووجداه به ، فاتفق أن المعتصم دعا أخاه المأمون ذات يوم إلى داره ، فأجلسه في بيت على سقفه جامات ، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيماء فصاح المأمون لأحمد بن محمد اليزيدي فقال : انظروا إليك إلى ضوء الشمس على وجه سيماء ، رأيته أحسن من هذا قط ؟ وقد قلت [ من السريع ] :  
 قد طَلَمْتُ شَمْسٌ عَلَى شَمْسٍ      وَزَالَتِ الْوَحْشَةُ بِالْأَنْسِ  
 فأجز ، فقال اليزيدي بعده :

قد كُنْتُ أَشْنَأُ الشَّمْسَ مِنْ قَبْلِ ذَا      فَصِرْتُ أُرْتَاخُ إِلَى الشَّمْسِ (١)  
 قال : وفطن المعتصم فعرض شفيعه لأحمد ، قال أحمد للمأمون : والله يا أمير المؤمنين لئن لم يعلم الأمير حقيقة الأمر منك لأَقَعَنَّ منه فيما أكره ، فدعاه المأمون فأخبره الخبر ، فضحك المعتصم ، فقال له المأمون : كثر الله يا أخي في غلمانك مثله .

ويقرب من هذا ما حكى أن المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية جلس يوماً وبين يديه جارية تسقيه ، فخطف البرق ، فارتاعت منه ، فقال ابن عباد في ذلك [ من السريع ] :

رَوَّعَهَا الْبَرْقُ وَفِي كَفِّهَا      بَرْقٌ مِنَ الْقَهْوَةِ لَمَاعٌ  
 عَجِبْتَ مِنْهَا وَهِيَ شَمْسُ الضُّحَى      مِنْ مِثْلِ مَا تَحْمِلُ تَرْتَاغٌ

(١) أشنا : أصله أشنأ - مهموز الآخر - فسهلت الهمزة ، فصارت حرف مد من جنس حركة ما قبلها

ثم أنشد الأول لعبد الجليل بن وهبون المرسى واستجازه فقال :  
ولن ترى أعجب من أنسى من مثل ما يُمسك يرتاع

ترجمة ابن  
العميد

وابن العميد <sup>(١)</sup> هو: أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ، ولسان  
الجميل ، وعماد ملك آل بويه ، وصدر وزرائهم ، قال في حقه أبو منصور الثعالبي  
كان أوحده العصر في الكتابة ، وكان يدعى الجاحظ الآخر ، والأستاذ والرئيس ،  
ويضرب به المثل في البلاغة [ وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة مع <sup>(٢)</sup> ]  
حسن الترسل وجزاله الألفاظ وسلاستها ، مع براعة المعاني ونفاستها ، وما أحسن  
[ وأصدق ] ما قاله الصاحب وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها : بغداد في  
البلاد كالأستاذ في العباد . وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت  
بإبن العميد . وقد أجرى ذكرهما معا <sup>(٣)</sup> أبو محمد [ عبد الله بن أحمد ] الخازن في  
قصيدة مدح بها الصاحب بن عباد حيث وصف بلاغته فقال [ من البسيط ] :

دعوا الأفاضل والأنباء ناحيةً فما على ظهرها غير ابن عبّاد  
والى بيان متى يُطلق أعتته يدع لسان إباد رهن أقياد <sup>(٣)</sup>  
ومؤرد كلمات عطّلت زهراً على رياض ودرّاً فوق أجياد <sup>(٤)</sup>  
وتارك أولاً عبد الحميد بها وابن العميد أخيراً في أبي جاد

(١) تجمد لأبي الفضل بن العميد ترجمة ضافية في يتيمة الدهر للثعالبي  
( ١٣٧ - ١٦٢ مصر ) وفي ابن خلكان ( ٢ - ٤٦٣ )

(٢) زيادة عن يتيمة الدهر

(٣) أشار بلسان إباد إلى قس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب في الجاهلية  
ومضرب المثل في الفصاحة

(٤) في الأصل « كلمات عطرت زهراً » وأثبتنا ما في اليتيمة



ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كَلالة ، بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صائد حاذق [ من البسيط ] :

\* أَلْفَى أَبَاهُ بِذَاكَ الْكَسْبِ يَكْتَسِبُ \*

لأن أباه أبا عبد الله الملقب بـكله كان في الرتبة الكبرى من الكتابة ، وكان قد تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر ، وكان يحضر ديوان الرسائل في محفة لسوء أثر النقرس في قدمه ، وفيه يقول أبو القاسم الأسكافي وكان يكتب في ديوانه إذ ذاك ويرى نفسه أحق منه برتبته ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه [ من الكامل ] :

يَا ذَا الَّذِي رَكِبَ الْحَفَّةَ لَمَّةً جَامِعاً فِيهَا جِهَارُهُ

أَتَرَى إِلَهِهُ يُعِيشُنِي حَتَّى يَرِينَهَا جَنَازَهُ (١)

ولم تطل الأيام حتى أتت على أبي عبد الله منيته ، ووافقت أبا القاسم أمنيته وتولى ديوان الرسائل ، فسبق من قبله وأتعب من بعده ، ولم يزل أبو الفضل هذا في حياة أبيه وبعثاته بالرى وكورة الجبل وفارس يتدرج إلى المعالي ، ويزداد فضلا وبراعة على الأيام والليالي ، حتى بلغ ما بلغ واستقر في الذروة من وزارة ركن الدولة ورياسة الجبل وخدمة الكبراء ، وانتجعه الشعراء ، وورد عليه أبو الطيب المتنبي عند صدوره من حضرة كافور الاخشيدى فدحه بتلك القصيدة المشهورة التي منها يقول [ من الكامل ] :

مَنْ مَبْلَغِ الْأَعْرَابِ أَتَى بَعْدَهَا شَاهَدَتْ رَسْطَالِيْسَ وَالْأَسْكَندَرَا

وَمَلَّتْ نَحْرَ عَشَارِهَا فَأَضَافَنِي مِنْ يَنْحَرِ الْبَدْرِ النَّضَارِ مَنْ قَرَى

وَسَمِعَتْ بِطَلِيمُوسَ دَارِسَ كَتَبِهِ مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُنْهَضِرًا (٢)

(١) في الأصول « الاله يغيشني » محزفاً ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة

(٢) في الأصل « مارس كتبه » وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة وديوان

المتنبي ، وثلاثة الأبيات ليست متصلة في الديوان

ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما رَدَّ الإلهُ نفوسهم والأعصرَا  
ومنها :

نسقوا لنا نسقَ الحساب مقدماً وأنى فذلك إذ أتيت مؤخرًا (١)  
بأبى وأمى ناطقٌ في لفظه ثمن تباعُ له القلوب وتشتري (٢)  
قطفَ الرجالُ القولَ قبلَ نباته وقطفتُ أنبَ القول لما نورًا  
ومدحه صاحب بن عباد بقصائد كثيرة استفرغ فيها جهده ، فمنها قوله  
فيه (٣) [ من الخفيف ] :

من قلبٍ بهيم في كل وادى وقنيلٍ للحب من غير وادى  
إنما أذ كر الغوانى والمقص — دُ سَعْدَى تَكْثُرًا للسوادِ  
وإذا ما صدقتُ فهنى مرامى ومرادى وروضتى ومرادى (٤)  
وندى ابن العميد إنى عميدٌ من هواها ألية الأجدادِ  
لو درى الدهرُ أنه من بنيه لا زدرى قدر سائر الأولادِ  
أورأى الناسُ كيف يهتزُّ للجو دِ لما عدَّوه في الأطوارِ

(١) فى الأصل « وأنوافدى لك » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان  
قال الواحدى : معناه جمع لنا الفضلاء فى الزمان ، ومضوا متتابعين متقدمين  
عليك فى الوجود ، فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم ، مثل الحساب  
يذكر تفاصيله أولاً ، ثم تجمل تلك التفاصيل ، فيكتب فى آخر الحساب :  
فذلك كذا وكذا ، فيجمع فى الجملة ما يذكر فى التفصيل ، كذلك أنت جمع فيك  
ما تفرق فيهم من الفضائل والعلم والحكمة .

(٢) فى الديوان واليتيمة « ثمن تباع به القلوب »

(٣) الأبيات فى اليتيمة ( ٣ - ١٤٠ ) ضمن ثلاثة عشر بيتاً

(٤) فى اليتيمة « ومنائى وروضتى » وما هنا أحسن

وله أيضا <sup>(١)</sup> [ من الكامل ] :

قالوا ربيعك قد قَدِمَ      فلكَ البشارةُ بالنعَمِ  
قلتُ الربيعُ أخو الشتا      أم الربيعُ أخو الكرمِ ؟  
قالوا المذَى بنسواله      يَغْنَى المقلَّ من العَدَمِ  
قلتُ الرئيسُ ابنُ العميدِ — إذاً      فقالوا لى نعم

ول بعضهم <sup>(٢)</sup> فيه عند انتقاله إلى قصرٍ جديدٍ قد بناه ، وهو مُستبدع

[ من البسيط ] :

لا يعجبنيكَ حسنُ القصرِ تنزلهُ      فضيلةُ الشمسِ ليستُ في منازلها  
لو زِيدَتِ الشمسُ في أبراجها مائةً      ما زادَ ذلكَ شيئاً في فضائلها  
وهذه نبذة من محاسن نثره :

فصل من رسالة كتب بها إلى أبي العلاء السروي - كتابي ، جعلني  
الله تعالى فداك ، وأنا في جدٍ وتعبٍ منذ فارقت شعبان ، وفي جهدٍ ونصبٍ من  
رمضان ، وفي العذابِ الأدنى دون العذابِ الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم  
ومرتهم بتضاعف حرٍّ ، لو أن اللحمَ يَصَلِّي ببعضه غريضا ، أتى أصحابه وهو  
منضج ، ومتمحن بهواجر ، يكادُ أوراها يذيبُ دماغَ الضَّبِّ ، ويصرف وجهه  
الحرباء عن التحنف <sup>(٣)</sup> ، ويزويه عن التنصر ، ويقبض يده عن إمساك ساق  
وإرسال ساق .

ويترك الجأبَ في شغلٍ عن الحقب      ويقدح النارَ بين الجلد والعصب

(١) أربعة الآيات في اليتيمة ( ٣ - ١٤١ )

(٢) البيتان في اليتيمة ( ٣ - ١٤٣ ) وقد نسبهما أبو منصور إلى أبي علي  
مسكويه

(٣) في اليتيمة « عن التحنق » وفيها « ويزويه عن التبصر »

ويفادر الوحش قد مالت هواديها [من الطويل] :  
 سجدوا لدى الأرض كأن رؤسها علاها صدادع أوفواق يصورها  
 كما قال الفرزدق [من الطويل] :  
 ليوم أتى دون الظلال شموسه تظل المها صوراً جاجها تغلي (١)  
 وكما قال مسكين الدارمي [من الطويل] :  
 وهاجرة ظلت كأن ظباءها إذا ما اتقتها بالقرن سجد  
 تلوذ بشؤبوب من الشمس فوقها كالأذن من وخز السنان طريد  
 وممنو بأيام تحاكي ظل الرمح طولاً ، وليال كإيهام القطاة قصراً ، ونوم كالأول  
 قلة ، وكحسو الطائر من الماء النماء دقة ، وكتصفية الطائر المستحرق خفة :  
 كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رأها أشتت وتجلت (٢)  
 وكنقر العصفير ، وهي خائفة من النواطير يانع الغنب (٣) ، وأحمد الله  
 تعالى على كل حال ، وأسأله أن يعرفني برأيه ، ويلقيني الخير في أيامه  
 وخاتمته ، وأرغب إلى الله أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف  
 حركته ، ويعجل نهضته ، وينقص مسافة فلكه ودائره ، ويزيل بركة  
 الطول من ساعاته ، ويرد على غرة شوال ، فهي أسر سائر الغر عندى ،  
 وأقرها لعينى ، ويسمى النعرة في قفا شهر رمضان ، ويعرض على هلاله أخفى  
 من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بنى عامر ، وأضنى من قيس

(١) في اليتيمة « أتت دون الظلال شموسه » والبيت ليس في ديوان الفرزدق ،

(٢) في اليتيمة « فلما رجوها »

(٣) هذه الجملة مأخوذة من لفظ بيت من المنسرح وهو :  
 نقر العصفير وهي خائفة من النواطير يانع الغنب

ابن ذريح ، وأبلى من أسير الحجر ، ويسلط عليه الخور بعد السكور ، ويرسل على رفاقته التي يغشى العيون ضوءها ، ويحيط من الأجسام نوءها ، كلفا يغمرها ، وكسوفاً يسترها ، ويرينه مغمور النور ، مغمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة ، وينقص من أطرافه كما تنقص النار من أطراف الزند ، ويبعث إليه الأرضة ، ويهدي إليه السوس ، ويفرى به الدود ، ويبلية بالفأر ، ويخترمه بالجراد ، ويبيده بالتمل ، ويحتجفه بالذر<sup>(١)</sup> ، ويجعله من نجوم الرجم ، ويرمى به مسترق السمع ، ويخلصنا من معاودته ، ويريجنا من دوره ، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتان<sup>(٢)</sup> ، ويصنع به صنيعه بالألوان ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا اقتضح بضوئه ، ويهتك بطويعه ، ويرحم الله عبداً قال آميناً ، وأستغفر الله جل وجهه مما قلته إن كرهه ، وأستغفیه من توفيتي لما يندمه ، وأسأله صفحا يفيضه ، وعفواً يسبغه ، وحالى بعد ما شكوت صالحه ، وعلى ما تحب وتهوى جارية ، والله الحمد تقدست أسماؤه والشكر .

ومن فصوله القصار الجارية مجرى الأمثال ، قوله : متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى ؟ . خير القول ما أغناك جده ، وأهلك هزله . الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرج ، ولا تدرك إلا بتجشم كلفة وتصعب . المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه . المرء يبذل ماله في إصلاح أعدائه ، فكيف<sup>(٣)</sup> يذهل العاقل عن حفظ

(١) في الأصل « ويحتججه » وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة

(٢) في الأصل « فعله بالكتان » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة

والعرب تعتقد أن ضوء البدر يبلى الكتان وعلى هذا جاء قول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر

وهو الشاهد (رقم ٩٩) من الشواهد المشرحة في هذا الكتاب فارجع إلى شرحه

(٣) في الأصل « فكيف يذهب العاقل من حفظ أوليائه » محرفاً ، وما

أثبتناه موافق لما في اليتيمة

أوليائه؟ هل السيد إلامن بهابه إذا حضر، وتفتابه إذا أدبر. اجتنب سلطان  
الهوى وشيطان الميل. المرح والهزل<sup>(١)</sup> بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر،  
وخلان إذا لقحا لم ينتجا غير الشر.

ومما أخرج له من الشعر<sup>(٢)</sup> قوله [من الكامل]:

آخ الرجال من الأبا عد، والأقارب لا تقارب  
إن الأقارب كالعقا رب بل أضر من العقارب

وكتب إلى العلوى<sup>(٣)</sup> [من المقتضب]:

يا من تخلى وولى وصد عني وملاً  
وأوسع العهد نكثاً وأتبع العقد حلاً  
ما كان عهدك إلا عهد الشيبة ولى  
أو طائفاً من خيال ألم ثم تولى  
أو عارضاً لاح حتى إذا دنا فتدلى  
ألوت به نسمات من الصبا فتجلى  
أهلاً بما ترتضيه في كل حال وسهلاً  
ليجزينك ودى بمثل فعلك فعلاً  
إن شئت هجرافهجرأ أو شئت وصلافوصلاً  
صبرت عني فانظر ظفرت بالصبر أم لا

(١) في اليتيمة « المرح والهزل » ولكل واحدة من العبارتين وجه

(٢) هذان البيتان في ابن خلكان عن أبي الفضل الميكالي في كتابه المنتحل

وفي اليتيمة (٣ - ٢٤ بيروت)

(٣) هذه الأبيات في اليتيمة (٣ - ١٩ بيروت)

إني إذا خِلْتُ ولى وَلَيْتُهُ ما تَوَلَّى  
وكتب إلى أبي الحسن بن هندو وأرسلها إليه صبيحة عرسه [من الكامل]:

النعم أبا حسن صباحاً وازددَ بزواجِكَ ارتياحاً  
قد رَضْتَ طرفَكَ خالياً فهل استلنتَ له جِراحاً  
وقد حَتَّ زَنَدَكَ جاهِداً فهل استبَّنتَ له انْقِداحاً  
وطرقتَ منغلَقاً فهل سَنَّ الآله انفتاحاً  
قد كُنتُ أُرسلتُ العيو نَ صباحَ يومِكَ والرواحاً  
وبعثتُ مُصغِيَةً تبیت لَدَيْكَ تَرْتِيبُ النِّجَاحِ  
فغدَّتْ على بِجُمْلَةٍ لم تُولني إِلَّا افتِراحاً  
وشككتُ إلى خلاخلاً خرُساً وأوشجةً فصاحاً  
منعتُ وساوسُها المساك مع أن تُحسَّ لَكُمْ صباحاً

وللصاحب ابن عباد في هذا المعنى إلا أنه أقرب في التصريح [من السريع]

قلبي على الجرّة يا أبا العلا فهل فتحتَ الموضعَ المغفلاً  
وهل فككتَ الختمَ عن كيسه وهل كحلتَ الناظرَ الأكحلاً  
إن قلتَ يا هذا نعم صادقاً أبعثَ نثاراً بملاً المنزلاً<sup>(١)</sup>  
وإن تجبني من حياءِ بلا أبعثَ إليك القطنَ والمغزلاً  
ولابن العميد في المعنى القرشي [من الوافر]:

إذا غنّاني القرشيُّ يوماً وعنّاني برؤيته وضربه  
وددتُ لو أنّ أذني مثلُ عيني هناك وأنّ عيني مثلُ قلبي

(١) في اليتيمة \* إنك إن قلت نعم صادقاً \*

وللوزير المهلبى فيه أيضاً [ من مجزوء الوافر ] :

إِذَا غَبَّانِي الْقُرْشَى دَعَوْتُ اللَّهَ بِالطَّرَشِ

وَإِنْ أَبْصَرْتُ طَلْعَتَهُ فَوَالْهَقَى عَلَى الْعَمَشِ

واجتمع عند ابن العميد يوما أبو محمد [ بن ] هندو ، وأبو القاسم بن أبي الحسين ، وأبو الحسين بن فارس ، وأبو عبد الله الطبرى ، وأبو الحسن البديهى ، فحياه بعض الزائرين بآترجة حسنة فقال لهم: تعالوا نتجاذب أهداب وصفها ، فقالوا : إن رأى سيدنا أن يبتدىء فعل ، فابتدأ وقال [ من الطويل ] :

\* وَأُتْرَجَةٌ فِيهَا طِبَائِعُ أَرْبَعُ \*

فقال أبو محمد :

\* وَفِيهَا فُنُونُ اللَّهِوُ وَالشَّرْبُ أَجْمَعُ \* (١)

فقال أبو القاسم :

\* يُشَبِّهُهَا الرَّأْيُ سَبِيكَةَ عَسَجِدِ \*

فقال أبو القاسم بن أبي الحسين (٢) :

\* عَلَى أَنَّهَا مِنْ قَارِقِ الْمِسْكِ أَضْوَعُ \*

فقال أبو عبد الله :

\* وَمَا أَصْفَرُ مِنْهَا اللَّوْنُ لِلْعَشْقِ وَالْهَوَى \*

فقال أبو الحسن :

\* وَلَكِنْ أَرَاهَا لِلْمُحِبِّينَ تَجْمَعُ \*

وكان ابن العميد متفلسفاً متهماً برأى الأوائل ، ويقال : إنه كان مع فنونه لا يدرى الشرع ، فاذا تكلم أحد بحضرته فى أمر الدين شق عليه وخذس ثم

(١) فى اليتيمة \* وفيها فنون اللهو للشرب أجمع \*

(٢) هكذا فى أصول الكتاب ، وأظنه « فقال أبو الحسين بن فارس »



قطع على المتكلم فيه ، وكان قد ألف كتاباً سماه الخلق والخلق ولم يبيضه ، ولم يكن الكتاب بذاك ، ولكن جعس الرؤساء خبيص ، وصنّان الأغنياء ند .  
وتوفى في سنة ثلثمائة وستين (١) .

ترجمة أبي الفتح  
ابن ابن العميد  
وقام ابنه عليّ أبو الفتح ذو الكفائتين (٢) مقامه ، إذ هو نعمة تلك الشجرة ،  
وشبل ذلك القسوره \* وحقّ على ابن الصقر أن يشبه الصقرا \* وما أصدق قول  
الشاعر [ من الكامل ] :

إنّ السرى إذا سرا فبنفسه وابن السرى إذا سرا أسراها  
وكان نجيباً ، ذكياً لطيفاً سخياً رفيع الهمّة ، كامل المروءة ، تأتق أبوه في  
تأديبه وتهذيبه ، وجالس به أدباء عصره وفضلاء وقته ، وخرج حسن الترشل  
متقدّم القدم في النظم ، آخذاً من محاسن الأدب بأوفر الحظ ، ولما قام مقام أبيه  
قبل الاستكمال ، وعلى مدى بعيد من الاكتهال ، وجمع تدبير السيف والقلم  
لركن الدولة بن بويه لقّب بذى الكفائتين ، وعلا شأنه ، وارتفع قدره ، وطاب  
ذكره ، وجرى أمره أحسن مجرى ، إلى أن توفى ركن الدولة وأفضت حال أبي الفتح  
إلى ما سيذكر قريباً بمشيئة الله تعالى وعونه .

ومن طرف أخباره أنّ أباه كان قد قيّض جماعة من ثقافته في السرّ  
يشرفون على ولده الأستاذ أبي الفتح في منزله ومكتبه ، ويشاهدون أحواله ،  
ويعتدون أنفاسه وأفعاله ، ويُنّهون إليه جميع ما يأتيه ويذرّه ، ويقولوه ويفعله ،

(١) ذكر ابن خلكان هذا وقولا آخر أنه توفى في سنة تسع وخمسين  
وثلثمائة

(٢) تجد ترجمة أبي الفتح ذي الكفائتين علي بن محمد بن صاحب بن عباد  
في تيسية الدهر للشعالي تالية لترجمة أبيه (٣ - ١٦٣ مصر) وقد أبا المؤلف إلا  
أن يقرنهما هنا مع أن صلة الموضوع بأبي الفتح بعيدة

فرجع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث المترفون من عقد مجلس أنس واتخاذ الندماء وتعاطي ما يجمع شمل اللهو في خفية شديدة واحتياط تام، وأنه في تلك الحال كتب رقعة إلى بعض أصدقائه في استهداء الشراب، فحمل إليهم ما يصلح لهم من المشروب والنقل والمشموم، ففسد أبوه إلى ذلك الإنسان من أنه بالرقعة، فاذا فيها بخطه: بسم الله الرحمن الرحيم، قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاءك ياسيدي ومولاي رقعة من عين الدهر، وانتهرت فرصة من فُرص العمر، وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا، فان لم تحفظ علينا النظام باهداء المدام، عدنا كبنات نعش والسلام، فاستطير الأستاذ فرحاً وإعجاباً بهذه الرقعة البديعة، وقال: الآن ظهر لي أمر براعته، ووثقت بحريه في طريق، ونيابته منابى، ووقع له بالفي دينار.

وحكى أبو الحسين بن فارس قال: كنت عند الأستاذ أبي الفتح في يوم شديد الحر، فرمت الشمس بجمرات الهاجرة، فقال لي: ما قول الشيخ في قلبه؟ فلم أجِرْ جواباً لأنني لم أفطن لما أراد، ولما كان بعد هنيهة أقبل رسول والده الأستاذ يستدعيني إلى مجلسه، فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكاً إليّ، وقال: ما قول الشيخ في قلبه؟ فنبهت وسكت وما زلت متفكراً حتى تنبهت أنه يريد الخيش وكأن من يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه أتاه بتلك اللفظة في تلك الساعة، فأفرط اهتزازها، وقرأت صحيفة السرور في وجهه، ثم أخذت أتخفه بنكت نظمه ونثره، فكان مما أعجب به واستضحك له رقعة له وردت على، وصدرها: وصلت رقعة الشيخ أصغر من عنققة بقعة، وأقصر من أتملة نملة.

قال أبو الحسين: وجرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الرئيس الأستاذ وزنها واستحلى رويها، وأنشد كل من الحاضرين ما حضره على ذلك وهو قول القائل [من المقتضب]:

لئن كَفَفْتَ وَإِلَّا شَقَقْتُ مِنْكَ ثِيَابِي<sup>(١)</sup>  
 فأصغى الأستاذ أبو الفتح ثم أنشد في الوقت وقال :  
 يا مولعاً بعدابي أما رحمتَ شبابي  
 تركتَ قلبي قريحاً نهبَ الأسى والتصابي  
 إن كنتَ تُنكرُ مابي من ذِلَّتِي واكتسابي  
 فارفعْ قليلاً قليلاً عن العظامِ ثيابي  
 وله من نوروزية<sup>(٢)</sup> [من الكامل] :

أُبشر بنوروزٍ أتاكَ مبشراً بسعادةٍ وزيادةٍ ودوامِ  
 واشربْ فقد حلَّ الربيعُ نقابةً عن منظرٍ مهلّلٍ بسامِ  
 وهديتي شعرٌ عجيبٌ نظمه ومديحه يبقَى على الأيامِ  
 فأقبله وأقبل عذراً من لم يستطع إهداء غير نتيجة الأفيامِ  
 ومن بدائع المشهورة قوله من قصيدة [من الكامل] :

عوْدِي وماهٍ شبيبتي في عودِي لا تَعْمَدِي لِمَقَاتِلِ المعمودِ  
 وصليهِ مادامتْ أَصَائِلُ عيشِهِ تُؤْوِيهِ في ظِلِّ لَهَا ممدودِ<sup>(٣)</sup>  
 ماذا من ليلِ الصُّبا في فاحِمِ رجلِ الذرى متهدلِ العُنُقودِ<sup>(٤)</sup>  
 قبلَ المشيبِ وطارقاتِ جُنودِهِ يُبَدِّلُنَّهُ يَقَقَا بِسُجُحِ سُودِ<sup>(٥)</sup>  
 ومن شعره [من الخفيف] :

(١) في الأصل «لئن كففت عني وإلا» ولا شك أن كلمة «عني» مزيدة  
 لا محل لها، وهي تخل بالوزن، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة (٣ - ١٦٤)

(٢) يريد من قصيدة قيلت في عيد النوروز

(٣) في اليتيمة «تؤويه في فيء»

(٤) في اليتيمة «فينان كالعنقود»

(٥) في اليتيمة «قبل المشيب فطارقات جنوده» وما هنا أدق

أين لي من ينّي بشكر الليالي      إذ أضافت خيالها وخيالي  
لم يكن لي على الزمان اقتراح      غيرها منية فجاذبها لي  
ومنه [ من الطويل ] :

إذا أنا بلغت الذي كنت أشتهي      وأضعافه ألفاً فيكفني إلى الحر  
وقل لندي قم إلى الدهر واقترح      عليه الذي يهوى وكفى إلى الدهر  
يحكي أنه سر يوماً وطلب الندماء وهياً مجلساً عظيماً بالآلات الذهب والفضة  
والمغانى والفواكه ، وشرب بقية يومه وعامة ليلته ، ثم عمل شعراً وغنّوه به وهو هذا  
[ من المتقارب ] :

دعوت الغنا ودعوت المني      فلما أجابا دعوت القدح  
إذا بلغ المرء آماله      فليس له بعدها مقترح

وكان ذلك بعد تدبيره على الصاحب وإبعاده عن ركن الدولة وانفراذه باليد  
كما سند كرهه ، ثم طرب بالشعر وشرب إلى أن سكر ، وقال : غطوا المجلس لأصطبح  
عليه غداً ، وقال لندمائه : يا كروني ، ثم نام ، فدعاه مؤيد الدولة في السحر وقبض  
عليه وأخذ ما يملكه ثم قتله ، وكان من خبر ذلك أنه لما توفي ركن الدولة وقام بعده  
ولده مؤيد الدولة مقامه خليفة لأخيه عضد الدولة أقبل من أصبهان إلى الري ،  
ومعه الصاحب أبو القاسم بن عباد فخلع على أبي الفتح هذا خلع الوزارة ، وألقى إليه  
مقاليد المملكة والصاحب على حاله في الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به  
وشدة الخطوة لديه ، فكره أبو الفتح مكانه ، وأساء به الظن ، فبعث الجند على أن  
يشغبوا عليه ، وهو بما لم ينالوا منه ، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان ، وأسر  
في نفسه الموجدة على أبي الفتح ، وانضاف إلى ذلك تغير عضد الدولة واحتقاده  
عليه أشياء كثيرة في أيام أبيه وبعدها ، منها مما يلهته عز الدولة بختيار ، ومنها ميل  
القواد إليه بل غلوهم في موالاته ومحبتهم ، ومنها ترفعه عن التواضع له في مكاتباته ،  
واجتمع رأى الأخوين على اعتقاله وأخذ أمواله ، ولما قبض عليه بدرت منه كلمات

أيضا نقلت إلى عضد الدولة فزادت في استيحاشه منه ، وأنهض من حضرته من طالبه بالأموال وعذبه بأنواع العذاب ، ويقال : إنه سَمَلَ إحدى عينيهِ ، وقطع أنفه وجز لحيتَهُ .

وفي تلك الحال يقول وقد أيس من نفسه واستأذن في صلاة ركعتين ودعا بدواة وقرطاس وكتب [ من السريع ] :

بَدَلٌ مِنْ صُورَتِي الْمُنْظَرُ      لَكِنَّهُ مَا غَيْرَ الْخَبَرُ  
وَلَسْتُ ذَا حُزْنٍ عَلَى فَائِتٍ      لَكِنْ عَلَى مَنْ بَاتَ يَسْتَعْبِرُ  
وَوَالَهُ الْقَلْبُ لِمَا مَسَنِي      مُسْتَخْبِرٌ عَنِّي وَلَا يُخْبِرُ

وحدث أبو جعفر الكاتب ، قال : كان أبو الفتح قبل النكبة التي أتت على نفسه قد لهج بأنشاد هذين البيتين في أكثر أوقاته ولست أدرى أهمله ، أم لغيره ، وهما [ من الرمل ] :

سَكَنَ الدُّنْيَا أَنَا سَ قَبْلُنَا      رَحَلُوا عَنْهَا وَخَلَّوْهَا لَنَا  
وَنَزَلْنَاهَا كَمَا قَدْ نَزَلُوا      وَنُخَلِّئُهَا لِقَوْمٍ بَعْدَنَا

ولما تيقن بهلاكه وأنه لا ينجونهم ببذل المال مد يده إلى جيب جبة كانت عليه ففتقه عن رقعة فيها مكتوب مالا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره وألقاها في كانون كان بين يديه ، ثم قال للموكل به المأمور بقتله : اصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ ، فوالله لا يَصِلُ مِنْ أَمْوَالِي الْمُسْتَوْرَةِ إِلَى صَاحِبِكَ الدَّرْهَمُ الْوَاحِدَ ، فَمَا زَالَ يَعْزُضُهُ عَلَى الْعَذَابِ وَيُمَثِّلُ بِهِ حَتَّى تَلَفَ .

وفيه يقول بعض الشعراء المتعصبين له :

أَلِ الْعَمِيدِ وَالْ بَرْمَكِ مَالَكُمْ      قَلَّ الْمُعِينُ لَكُمْ وَقَلَّ النَّاصِرُ  
كَانَ الزَّمَانُ يَجِبُكُمْ فَبَدَّالَهُ      إِنَّ الزَّمَانَ هُوَ الْحَبُّ الْغَادِرُ

ورثاه كثير من الشعراء بغرر القصائد

من شواهد  
ادعاء أن المشبه  
من جنس  
المشبه به

٩٩ — لَا تَعْجَبُوا مِنْ بَلِي غَلَاكْتِهِ قَدْ زُرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ

البيت لأبي الحسن بن طباطبا العلوى، من المنسرح، وقبلة:

يا مَنْ حَكَمِي الْمَاءَ فَرَطَ رِقَّتِهِ      وَقَلْبَهُ فِي قَسَاوَةِ الْحَجَرِ  
يَا لَيْتَ حَظِّي كَحَظِّ ثَوْبِكَ مَنْ      جَسْمِكَ يَا وَاحِدًا مِنْ الْبَشَرِ  
وبعده البيت، ورأيته بلفظ:

\* قَدْ زُرَّ كِتَابُهَا عَلَى الْقَمَرِ \*

ولعله أبلغ في المراد، والغِلالة — بكسر الغين المعجمة — شعار يلبس تحت الثوب.

والشاهد فيه: ما في البيت الذي قبله، لأنه لو لم يجعله قرأً حقيقياً لما كان للنهي عن التعجب معنى، لأن الإكتان إنما يُسرَع إليه البلي بسبب ملازمته للقمر الحقيقي، لا بسبب ملابسة إنسان كالقمر حسناً، ورُدَّ كون الاستعارة مجازاً عقلياً: بأن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يقتضى كونها مستعملة فيما وضعت له، للعلم الضروري بأنها مستعملة في الرجل الشجاع مثلاً، والموضوع له هو السبب المخصوص، وأما التعجب والنهي عنه في البيت والذي قبله فلبناء على تناسي التشبيه، قضاءً لحق المبالغة، ودلالة على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصلاً، حتى إن كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهي عنه يترتب على المشبه أيضاً.

وأبو الحسن ابن طباطبا، اسمه محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، طباطبا، بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، طباطبا العلوى، ترجمة ابن رضى الله تعالى عنهم! وهو شاعر مفلق، وعالم محقق، مولده بأصبهان، وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وله عقب كثير بأصبهان فيهم علماء، (٩ — مائة ٢)

وأدباء ، ومشاهير . وكان منذ كورا بالفطنة والذكاء وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد .

وله من المصنفات كتاب « عيار الشعر » ، وكتاب « تهذيب الطبع » ، وكتاب « العروض » ، ولم يسبق إلى مثله .

ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتا ، ليس فيها راء ولا كاف ، أولها [ من الكامل ] :

ياسيداً دانت له السادات وتتابعت في فعله الحسنات  
يقول منها في وصف القصيدة :

ميزانها عند الخليل مُعْتَلٌ متفاعلين متفاعلين فعالاتٌ  
لو واصل بن عطاء الباني لها تليت توهم أنها آياتٌ

ومن شعره يهجو أبا علي الرستمي ويرميه بالدعوة والبرص [ من الخفيف ] :

أنت أعطيت من دلائل رسل الله آياتها علوت الرؤسا  
جئت فرداً بلا أب ، وبيميناً لك بياض ، فأنت عيسى وموسى

وما أحسن قول أبي المطاع ناصر الدولة ابن حمدان في معنى البيت المستشهد

آيات في معنى  
أبلاء القمر  
لثياب الكتان

به [ من البسيط ] :

ترى الثياب من الكتان يلجمها نور من البدر أحياناً فيبليها

فكيف تُسْكَرُ أن تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالع فيها

وقال منصور البستي ، المعروف بالغزال ، فيه من قصيدة ، يصف الساق

[ من الكامل ] :

ومشى بكتانٍ فقلتُ عناكبا نسجت على الياقوت ثوب قتّام

أعجبٌ ببدنٍ سالمٍ كتانهُ وبه يحرق أنفُسَ الأقوام

ومثله قول الآخر [من المديد] :

كَيْفَ لَا تَبْلَى غَلَاثِلُهُ وَهُوَ بَدْرٌ وَهِيَ كَتَانُ

\*\*\*

١٠٠ — فان تعافوا العدل والایمانا فان في ایماننا نیرانا

شاهد القرينة  
اللفظة  
للاستمارة

قائله بعض العرب ، من الرجز .

والشاهد فيه : ذكر القرينة في الاستعارة ، لأنها مجاز ، ولا بد لها من قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له ، وهي : إما أمر واحد أو أكثر ، وهو هنا قوله « تعافوا » فان تعلقه بكل من العدل والایمان قرينة دالة على أن المراد بالنيران، السيوف : أي سيوفا تلعب كشم النيران ، لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربون وتلجئون إلى الطاعة بالسيوف .

\*\*\*

١٠١ — وصاعقة من نصله تنكفي بها على أروس الأقران خمس سحائب

شاهد مجيء  
القرينة معاني  
ملتزمة

البيت للبحرئ ، من قصيدة (١) من الطويل ، أولها :

هَيْبِهِ لِمَنْهَلٍ الدَّمُوعِ السَّوَاكِبِ وَهَبَّتِ شَوْقٍ فِي حِشَاءِ لَوَاعِبِ

وإلا فَرُدِّي نَظْرَةً فِيهِ تَعْجِبِي لِمَا فِيهِ أَوْ لَا تَحْفَلِي بِالْعَجَائِبِ (٢)

وهي طويلة ، والرواية فيه « وصاعقة في كفه » كما في الديوان (٣) وبعده :

(١) أقرأها في الديوان (١ - ٧٢)

(٢) في الديوان « أو لا تحفلي للعجائب »

(٣) في نسخة الديوان المطبوعة بمصر « وصاعقة من نصله » كما في نسخ التلخيص



يكادُ الندى منها يفيض على العداء      لدى الحرب في ثنيس قنا وقواضب  
والصاعقة : الموت ، وكل عذاب مهلك ، وصيحة العذاب ، والحراق الذي  
بيد الملك سائق السحاب ، ولا يأتي على شيء إلا أحرقه ، أو نار تستفط من  
السما ، والانكفاء : الانقلاب ، والأرؤس : جمع رأس ، والاقران : جمع قرن ،  
وهو الكف .

والشاهد فيه : مجيء القرينة معاني ملتزمة ، مربوطة بعضها ببعض ،  
يكون الجميع قرينة ، لا كل واحد ، فهنا أراد بخمس سحائب أنامل المدوح  
الخمسة التي هي في الجود وعموم العطاء سحائب : أي يصبها على أ كفائه في  
الحرب فيهلكهم بها ، وأراد بأرؤس الأقران جمع الكثرة بقرينة المدح ، لأن  
كلا من صيغة جمع القلة والكثرة يستعار للآخر ، فهنا لما استعار السحائب  
لأنامل المدوح ذكر أن هناك صاعقة ويين أنها من نصل سيفه ، ثم قال « على  
أرؤس الأقران » ثم قال « خمس » ، فذكر العدد الذي هو عدد الأنامل ،  
فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الخمس الأنامل .

\*\*\*

١٠٢ — \* وإذا احتبى قريوسه يعنانه \*

شاهد  
الاستمارة  
النرية

قائله يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، من قصيدة من الكامل  
يصف فرسانه بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه وألقى عنانه في قريوس سرجه  
وقف مكانه إلى أن يعود إليه ، وتماه :

\* علك الشكيم إلى أنصراف الزائر \*

والقريوس — بفتح الراء ، ولا تسكن إلا في ضرورة الشعر — وهو جنو  
السرج ، وهما قريوسان ، والعنان — بكسر العين — سير اللجام الذي تمسك

به الدابة ، والشكيم ، والشكيمة : الحديدة المعترضة في فم الفرس فيها الفأس ، وأراد بالزائر نفسه بدليل ما قبله ، وهو :

عَوَّدَتْهُ فِيمَا أَزُورُ حَبَائِي إِهْمَالَهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مُخَاطِرٍ

والشاهد فيه : الاستعارة الخاصة ، وهي : الغريبة ، والغرابة قد تكون في نفس الشبه كما في البيت ، فانه شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتدا إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبة المحتبي ، ممتدا إلى جانبي ظهره وساقيه بثوب<sup>(١)</sup> أو غيره كوقوع العنان في قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة كغرابة المشبه .

ومن الاستعارات الغريبة قول طُفَيْلُ الْغَنَوَى [ من الكامل ] :

وَجَعَلْتُ كُورِي فَوْقَ نَاجِيَةٍ يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ

وكذا قول الأستاذ ابن المعتز [ من الرجز ] :

حَتَّى إِذَا مَا عَرَفَ الصَّيْدُ أَنْصَارَ وَأُذِنَ الصَّبْحُ لَنَا بِالْأَبْصَارِ

وقول جرير [ من الكامل ] :

تَحْيِي الرِّوَامِيسُ رَبْعَهَا فَتَحْدُهُ بَعْدَ الْبَلَى وَتَمِيتُهُ الْأَمْطَارُ

وقول أبي نواس [ من السريع ] :

بِصَحْنٍ خَدَّرَ لَمْ يَغِضْ مَأْوُهُ وَلَمْ يَخْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ

وقوله أيضاً [ من الكامل ] :

أبيات من  
الاستعارات  
الغريبة

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله بثوب إلى

قوله السرج ثابت في جميع النسخ ، وهو زائد بلا فائدة ، فلعل الصواب

إسقاطه » اهـ

هَذَا بَدَأَ اقْتِنَادَتْ مُحَاسِنُهُ قَسْرًا إِلَيْهِ أُعِينَةَ الْحَدَقِ

\*\*\*

### ١٠٣ - \* وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمِطِيِّ الْأَبَاطِحُ \*

قائله كثير عزة، من قصيدة من الطويل ، صدره :

\* أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا \*

وقبله (١) :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ  
وَشَدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَازِي رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْعَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ

وقيل : الأبيات لابن الطثرية . وذكر الشريف الرضى فى كتابه « غرر  
الفرائد » قال : أنشدنى ابن الأعرابى للمضرب (٢) ، وهو عقبة بن كعب بن  
زهير بن أبى سلمى رحمهم الله تعالى :

وَمَا زِلْتُ أَرْجُو نَفْعَ سَلْمَى وَوُدَّهَا وَتَبَعْتُ حَتَّى ابْيَضَّ مَنَى الْمَسَائِحِ  
وَحَتَّى رَأَيْتُ الشَّخْصَ يَزْدَادُ مِثْلَهُ إِلَيْهِ وَحَتَّى نَصَفَ رَأْسَى وَاضِحٌ

(١) أنشد ثلاثة الأبيات أبو هلال العسكري فى الصناعتين (٢) (الاستانة)  
وابن قتيبة فى الشعر والشعراء (٨ أوروبا) والشيخ عبد القاهر الجرجانى فى أسرار  
البلاغة (١٦ طبعة ثالثة) وروى أولها وثالثها أبو على القالى فى ذيل الأمالى  
(١٦٦) وأبو الفتح ابن جنى فى الخصائص (١ - ٢٢٥) وروى ثلاثة الأبيات  
فى ضمن ثمانية أبيات الشريف المرتضى فى أماليه (٢ - ١١٠) وهى الأبيات  
التي رواها المؤلف فيما بعد، بنفس ترتيبها هنا . ونسبها إلى المضرب عقبة بن كعب  
ابن زهير بن أبى سلمى المزنى ، وأسند روايتها إلى ابن الأعرابى كما هو فى  
كلام المؤلف

(٢) فى الأصل « للمضرب » ونحسبه محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى أمالى  
الشريف المرتضى الذى نقل عنه المؤلف

شاهد التصرف  
فى الاستمارة  
العامة حتى تصير  
غربية

عَلَا حَاجِي الشَّيْبُ حَتَّى كَأَنَّهُ      ظَبَاءٌ جَرَتْ مِنْهَا سَنِيحٌ وَبَارِحُ  
وَهَزَّةٌ أَطْعَانِ عَلَيْهِنَّ بِهَجَّةٍ      طَلَبْتُ وَرَيْعَانُ الصَّبَا بَنِي جَاهِمُ  
فَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ      وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَنَاسِحُ  
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا      وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطَى الْأَبَاطِحُ  
وَشَدَّتْ عَلَى حَدَبِ الْمَهَارَى رِحَالَهَا      وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادَى الَّذِي هُوَ رَاحُ  
فَقَلْنَا عَلَى الْخُوصِ الْمَرَاثِيلِ وَارْتَمَتْ      بَيْنَ الصَّحَارَى وَالصَّفَاحِ الصَّحَاصِحُ (١)

والأباطح : جمع أبطح ، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى .  
والمعنى : لما فرغنا من أداء مناسك الحج ، ومسحنا أركان البيت الشريف  
عند طواف الوداع ، وشددنا الرحال على المطايا ، وارتحلنا ولم ينظر السائرون في  
العداة السائرين في الرواح للاستعجال ، أخذنا في الأحاديث وأخذت المطايا في  
سرعة السير .

والشاهد فيه : حصول الغرابة في الاستعارة العامة بتصرف فيها ، فانه استعار  
سيلان السيول الواقعة في الأباطح لسير الابل سيرا عنيقا خثينا في غاية السرعة  
المشتملة على لين وسلاسة ، والشبه فيها ظاهر غامى ، لكنه تصرف فيه بما  
أفاد اللطف والغرابة حين أسند الفعل - وهو سالت - إلى الأباطح ، دون المطى  
أو أعناقها ، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الابل ، وأدخل الأعناق في  
السير لأن السرعة والبطء في سير الابل يظهران غالبا في الأعناق ، ويتبين  
أمرهما في الهوادى ، وسائر الأجزاء يستند إليها في الحركة ويتبعها في الثقل والخفة .  
ومثل هذه الاستعارة في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول ابن  
المعز رحمه الله تعالى حيث يقول [ من البسيط ] :

سَالَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَيِّ جِينِ دَعَا      أَنْصَارُهُ      بُوْجُوهُ      كَالِدِ نَانِيرِ

(١) في الأصل « والسناح الضحاصح » محرفا وما أثبتناه موافق لما في أمالي  
الشريف المرتضى

أراد أنه مطّاع في الحى ، وأنهم يسرعون إلى نصرته كالسيل ، وكما أن إدخال الأعناق في السير أكد كلا من الرقة والغرامة في الأول أ كده هنا تعديّة الفعل إلى ضمير الممدوح بعلى لأنه يؤكّد مقصوده من كونه مطّاعا في الحى .

ترجمة  
كثير عزة

وكثير عزة<sup>(١)</sup> هو [كثير بن] <sup>(٢)</sup> عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود بن عامر ابن عويمر ، أبو صخر ، الخزاعي الشاعر المشهور ، أحد عشاق العرب ، وإنما صغروه لأنه كان شديد القصر . حدث الوقاصي<sup>(٣)</sup> قال : رأيت كثيرا يطوف بالبيت فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقه ، وكان إذا دخل على عبد الملك ابن مروان أو أخيه عبد العزيز رحمهما الله تعالى يقول له : طأطى رأسك لثلاثا يصيبه السقف ، وكان يلقب زب الذباب .

وعن أبي عبيدة قال : كان الحزين السكناني قد ضرب على كل رجل من قریش درهمين في كل شهر ، منهم ابن أبي عتيق ، فجاءه لأخذ درهماه على حمار له أعجف ، قال : وكثير مع ابن أبي عتيق ، فأمر ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين فقال الحزين لابن أبي عتيق : من هذا الذى معك ؟ قال : أبو صخر كثير بن أبي جمعة ، قال : وكان قصيرا دميما ، فقال له الحزين : أتأذن لى أن أهجو بيت من الشعر ؟ قال : لعمرى لا آذن لك أن تهجو جليسى ، ولكنى أشتري عرضه منك بدرهمين ، ودعا له بهما ، فأخذهما وقال : لا بد لى من هجائه بيت ، قال : وأشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ، فدعا له بهما ، فأخذهما أيضا ، وقال : ما أنا بتاركه حتى أهجو ، قال : وأشتري ذلك منك بدرهمين أيضا ، فقال له كثير :

(١) تجد لكثير عزة ترجمة في الأغاني (٨ - ٢٧ و ١١ - ٤٦) وفي الشعر والشعراء (٣١٦) وفي تزيين الأسواق (١ - ٤٧) وفي ابن خلكان (٢ - ١٨٩) وفي خزائن الأدب للبغدادى (٢ - ٣٧٦)

(٢) زيادة لا بد منها ، وهى ثابتة فى جميع المراجع ، وعبد الرحمن اسم أبيه ، واسم جده الأسود ، وأبو جمعة كنية الأسود  
(٣) كذا ، ولم أعثر له على تعريف ، ولعله محرف .

ايندن له ، وما عسى أن يقول في بيت واحد ، قال : فأذن له ابن عتيق ، فقال [من الطويل] :

قَصِيرُ الْقَمِيصِ فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ      يَعْصُ الْقُرَادُ بِاسْتِهِ وَهُوَ قَائِمٌ

قال : فوثب إليه كثير ، فلكره فسقط عن الحمار ، فخلص ابن أبي عتيق بينهما ، وقال لكثير : قبحك الله ! أتأذن له وتسفه عليه ؟ فقال كثير : وأنا ما ظننت أن يبلغ بي في بيت واحد هذا كله .

وكان كثير يقول بتناسخ الأرواح ، وكان يدخل على عمه له يزورها فتركه وتطرح له وسادة يجلس عليها ، فقال لها يوما : لا والله ما تعرفيني ولا تكرميني حق كرامتي ، قالت : بلى والله إني لأعرفك ، قال : فمن أنا ؟ قالت : فلان ابن فلان وابن فلانة ، وجعلت تمدح أباه وأمه ، فقال : قد علمت أنك لا تعرفيني ، قالت : فمن أنت ؟ قال : أنا يونس بن متى ، وكان يقرأ <sup>(١)</sup> ( في أي صورة ما شاء ركبك ) وكان يؤمن بالرجعة ، ودخل عليه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم يعود في مرضه الذي مات فيه ، فقال له كثير : أبشر فكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق ، فقال له عبد الله بن حسن رضى الله عنه : مالك ؟ عليك لعنة الله ! فوالله لئن مت لا أشهدك ! والله لا أعودك ولا أكلك أبدا . وكان شيعيا غاليا في التشيع ، وكان يأتي ولد حسن بن حسن رضى الله عنهم إذا أخذ العطاء فيهب لهم الدراهم ، ويقول : بأبي الأنبياء

(١) عبارة الأغاني أوضح حيث يقول « وكان كثير شيعيا غاليا ، وكان يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقول الله تعالى : ( في أي صورة ما شاء ركبك ) ويقول : ألا ترى أنه حوله من صورة في صورة .

## الصغار (١) .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى : إني لأعرف صالح بنى هاشم من فاسدهم بحب كثير ، مَنْ أحبه منهم فهو فاسد ، ومن أبغضه فهو صالح ، لأنه كان خشبياً يؤمن بالرجعة .

وحدث رجل من مزيّنة قال : ضيّتُ كثيراً ليلةً وبثُّ عنده ، ثم تحدثنا وبنّا ، فلما طلع الفجر تضور ، ثم قمت فتوضأت وعلّيت وكثير نائم في لحافه ، فلما طلع قرن الشمس تضور ثم قال : يا جارية اسجري<sup>(١)</sup> إلى ماء ، أى سخني ، قال : فقلت : تبتاً لك سأتر اليوم وبعده ، وركبت راحلتي وتركته .

وكان كثير عاقاً لأبيه ، وكان أبوه قد أصابته قرحة في أصبع من أصابع يديه فقال له كثير : أتدري لم أصابتك القرحة في أصبعك ؟ قال : لا أدري ، قال : مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة .

وعن طلحة بن عبيد الله قال : مارأيت أحق من كثير ، دخلت عليه في نفر من قريش وكنا كثيراً مانهراً به وكان يتشيع تشيعاً قبيحاً ، فقلت له : كيف تجدك يا أباصخر ؟ وهو مريض ، فقال : أجدني ذاهباً ، فقلت : كلا ، فقال : هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ قلت : نعم يتحدثون بأنك الدجال ، قال : أما إذ قلت ذاك فاني لأجد في عيني هذه ضعفا منذ أيام .

(١) في الأصل « ويقول أنا نبي الأنبياء الصغار » محرفاً عما أثبتناه ، وعبارة الأغاني تؤيد هذا التصحيح ونصها « نظر كثير إلى بنى حسن بن حسن وهم صغار ، فقال : يا يابى أتم هؤلاء الأنبياء الصغار » وفي رواية أخرى « كان شيعياً وكان يأتي ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه فيهب لهم الدراهم ويقول : وا ، بابي الأنبياء الصغار »

(٢) في الأصل « أنجزى » محرفاً وما أثبتناه موافق لما في الأغاني ، ويؤيده التفسير .

وعن عبدالعزيز بن عمر رحمهما الله أن أناساً من أهل المدينة المنورة كانوا يهزأون بكثير ويقولون وهو يسمع : إن كثيراً لا يلتفت من تيهه ، فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبير ، ويمضي في قيص .  
وكان عبد الملك بن مروان مُعجبا بشعره ، قال له يوماً : كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين ؟ قال : أراه يسبق السحر ، ويغلب الشعر .  
وقال عبد الملك له يوماً : مَنْ أشعر الناس يا أبا صخر ؟ قال : مَنْ يروى أمير المؤمنين شعره ، فقال له عبد الملك : إنك لمنهم .

وحدث كثير قال : ما قلت الشعر حتى قُوِّلته ، قيل له : وكيف ذاك ؟ قال : بينا أنا نصف النهار أسيرُ على بعيرٍ لي بالغُممِ ، أو بقاع حمران ، إذ راكب قد دنا إليَّ حتى صار إلي جنبي ، فتأملته فإذا هو من صفر وهو يجر نفسه في الأرض جرّاً ، فقال لي : قل الشعر ، وألقاه علي ، قلت : من أنت ؟ قال : قرينك من الجن ، فقلت الشعر .

وكان أول أمره مع عزة التي يتعشقه أنه مر بنسوة من بنى ضمرة ومعه جلب غنم فأرسلن إليه عزة وهي صغيرة فقالت له : يقلن لك النسوة بعنا كبشاً من هذه الغنم وأنسئنا بشمنه إلى أن ترجع ، فأعطاهما كبشاً ، وأعجبته ، فلم يرجع جاءته امرأة منهن بدراهمه ، فقال : وأين الصبية التي أخذت مني الكبش ؟ قالت : وما تصنع بها ؟ هذه دراهمك ، قال : لا آخذ دراهمي إلا ممن دفعت<sup>(١)</sup> إليه ، وولي وهو يقول [ من الطويل ] :

فَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْقَ غَرِيمِهِ وَعَزَةُ مَمْطُولٌ مُعْنَى غَرِيمِهَا  
فَقُلْنَ لَهُ : أَيْبَتُ إِلَّا عَزَةُ ، وَأَبْرَزْنَاهَا وَهِيَ كَارِهَةٌ ، ثُمَّ إِنَّهَا أَحْبَبَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَشَدَّ مِنْ حُبِّهَا .

(١) عبارة الأغاني « لا آخذ دراهمي إلا ممن دفعت الكبش إليها »



وعن الهيثم بن عدي أن عبد الملك سأل كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة فقال : حججت سنة من السنين وحج زوج عزة بها ، ولم يعلم أحدهما بصاحبه ، فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياح سمن يصلح به طعاماً لأجل رفقته ، فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت إلى وهي لا تعلم أنها خيمتي ، وكنت أبرى سهماً لي ، فلما رأيتهما جعلت أبرى وأنظر إليها ولا أعلم حتى برت ذراعي وأنا لا أشعر به ، والدم يجري ، فلما تبينت ذلك دخلت إلى فأمسكت بيدي ، وجعلت تمسح الدم بثوبها ، وكان عندي نحي من سمن ، فحلفت لتأخذنه ، فنجأت به إلى زوجها ، فلما رأى الدم سألها عن خبره ، قال : فكأتمته ، حتى حلف عليها لتصدقته ، فلما أخبرته ضربها وحلف لتشتمني في وجهي ، فوقفت على وهو معها ، فقالت لي : يا ابن الزانية ، وهي تبكي ، ثم انصرفا ، فذلك حيث أقول [ من الطويل ] :

أَسِئْتِي بِنَا أَوْ أَحْسَنِي لَأَمْلُومَةً      لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ  
هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مَخَامِرٍ      لَعَزَّةٌ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ  
ومنه قوله فيها أيضاً [ من الطويل ] :

وَدَدْتُ وَحَقَّ اللَّهُ أَنْتَ بَكْرَةٌ      وَأَنْتِي هَجَانٌ مُضْعَبٌ نَمَّ تَهَرَّبُ  
كَلَانَا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقْلُ      عَلَي حَسَنِهَا جِرْبَاءُ تُعْدِي وَأَجْرَبُ  
نَكُونُ لَدَى مَالٍ كَثِيرٍ مَغْفَلٍ      فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ  
إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَا صَاحَ أَهْلُهُ      عَلَيْنَا فَمَا تَنْفَكُ نُرْمَى وَنُضْرَبُ

يحكي أن عزة لما بلغها ذلك وحضر إليها أنشدته الأبيات وقالت له : ويحك ! لقد أردت بي الشقاء ، أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ، فخرج من عندها خجلاً وأسوأ من هذه الأمنية أمنية الفزاري (١) حيث قال [ من البسيط ] :

( ١ ) في هامش مطبوعة بولاق - تعليقا على هذه الكلمة - ما نصه .  
قوله الفزاري كذا في نسخة وفي أخرى العذري .

مَنْ حَبَّهَا أَمَنِي أَنْ يُلَاقِيَنِي مَنْ نَحَوْ بِلَدْنِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا  
كَيْمَا أَقُولُ فِرَاقُ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتَضَمَّرَ النَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَسْلَاهَا  
وَلَكِنَّهُ اسْتَدْرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ :

وَلَوْ تَمَوْتُ وَرَاعَتْنِي لَقَلَّتْ لَهَا : يَا بُوْسَ الْمَوْتِ لَيْتَ الذَّهْرَ أَبْقَاهَا  
وَقَالَ الْآخَرُ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

تَمَنَيْتُ مِنْ حَبٍّ بَثِينَةً أَنَا وَنَدُّنَا جَمِيعًا ثُمَّ تَحِيًّا وَلَا أَحْيَا  
قَتْرُجِ دُنْيَاهَا عَلَيْهَا وَإِنِّي بِسَاعَةِ ضَمِّهَا رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا

وَكُلُّ امْرِئٍ أَمَانِيهِ تَلِيقٌ بِمَعَالِيهِ ، قِيلَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
عَلَيْهِ : مَا تَمَنَّى ؟ قَالَ : سِنْدًا عَالِيًا وَبَيْتًا خَالِيًا ، وَقِيلَ لِبَعْضِ الْوَرَاقِينَ : مَا تَمَنَّى ؟  
قَالَ : قَلَمًا مَشَاقًا ، وَحَبْرًا بَرَّاقًا ، وَجُلُودًا وَأَوْرَاقًا ، وَقِيلَ لِبَعْضِ الصُّوفِيَّةِ :

مَا تَمَنَّى ؟ قَالَ : دَقْنَا<sup>(١)</sup> وَدَلَقْنَا ، وَلَا أُرِيدُ رِزْقًا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ [مِنَ مَخْلَعِ الْبَسِيطِ] : أَيْيَاتُ فِي أَنْوَاعٍ  
مِنَ الْأَمَانِي

لَوْ قَالَ لِي خَالِقِي تَمَنَّى قُلْتُ لَهُ سَائِلًا بِصِدْقٍ  
أُرِيدُ فِي صُبْحِ كُلِّ يَوْمٍ فُتُوحَ خَيْرٍ يَأْتِي بِرِزْقٍ  
كَفِّ حَشِيشٍ وَرِطْلٍ لَحْمٍ وَمَنْ خَبَرَ وَنِيكَ عِلْقٍ  
وَقَوْلُ الْآخَرِ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

لَوْ قِيلَ مَا تَمَنَّى قُلْتُ فِي عَجَلٍ أَخَا صَدُوقًا أَمِينًا غَيْرَ خَوَانٍ  
إِذَا فَعَلْتُ جَمِيلًا ظَلَّ يَشْكُرُنِي وَإِنْ أَسَأْتُ تَلَقَّانِي بِغَفْرَانٍ  
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ سَارَةَ فِي الْأَمَانِي [مِنَ الطَّوِيلِ] :

أَمَانِي مِنْ لَيْلِي حِسَانٌ كَأَنَّمَا سَقَنِي بِهَا لَيْلِي عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا

(١) كَتَبَ مُصْحَحٌ مَطْبُوعَةٌ بِوَلَاقٍ مَا نَصَهُ : قَوْلُهُ دَقْنَا كَذَا فِي النُّسخِ  
وَلَعَلَّهُ دَقْنَا

هُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى      وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْبًا  
 وَبَدِيعُ قَوْلِ الْوَزِيرِ مُؤَيِّدُ الدِّينِ الطُّفْرَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى [ مِنْ الْبَسِيطِ ] :  
 أَعْلَلَّ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقَبَهَا      مَا أَضْيَقَ الْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ الْأَمَلِ  
 وَقَدْ أَخَذَهُ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ فَقَالَ [ مِنْ الطَّوِيلِ ] :

وَمَا هُنْدِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا صَحَائِفُ      نَوَّرَخَ فِيهَا نَمَّ تُمَحَّى وَتُمَحَّقُ  
 وَلَمْ أَرَعِيشًا مِثْلَ دَائِرَةِ الْمَنَى      تَوَسَّعُهَا الْأَمَالُ وَالْعَيْشُ ضَيِّقُ  
 وَقَالَ الْعَفِيفُ إِسْحَاقُ بْنُ خَلِيلٍ كَاتِبُ الْأَنْشَاءِ لِلنَّاصِرِ دَاوُدَ [ مِنْ الْبَسِيطِ ] :  
 لَوْلَا مَوَاعِيدُ أَمَالٍ أَعِيشُ بِهَا      لَمْتُ يَا أَهْلَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ زَمَنِ  
 وَإِنَّمَا طَرَفُ أَمَالِي بِهِ مَرَحٌ      يَجْرِي بِوَعْدِ الْأَمَانِ مَطْلَقُ الرِّسَنِ  
 وَقَالَ آخَرُ [ مِنْ الْخَفِيفِ ] :

فِي الْمَنَى رَاحَةٌ وَإِنْ عَلَلْتِنَا      مِنْ هَوَاهَا يَبْعُضُ مَا لَمْ يَكُونُ  
 وَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ زَيْدُونَ أَيْضًا [ مِنْ الْكَامِلِ ] :

أَمَّا مَنَى قَلْبِي فَأَنْتَ جَمِيعُهُ      يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ بَعْضَ مُنَاكَ  
 يُدْنِي مَزَارِكُ حَيْنِ شَطْبِهِ النَّوَى      وَهُمْ أَكَادُ بِهِ أَقْبَلُ فَالِكِ

وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الْخَاجِرِيُّ قَوْلَهُ [ مِنْ الطَّوِيلِ ]  
 يُمِثُّكَ الشُّوقُ الشَّدِيدُ لِنَظَرِي      فَأَطْرَقُ إِجْلَالًا كَأَنَّكَ حَاضِرُ  
 وَقَالَ ابْنُ رَزِينٍ مِنْ شِعْرَاءِ الذَّخِيرَةِ [ مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ ] :

لَا سَرَّحَنَ نَوَاطِرِي      فِي ذَلِكَ الرُّوْضِ النَّضِيرِ  
 وَلَا كَلَّتْكَ بِالْمَنَى      وَلَا شَرَبَنَّكَ بِالضَّمِيرِ

وَقَالَ عَلَمُ الدِّينِ أَيَّدِمَرُ الْحَيَوِيُّ [ مِنْ مَجْزُوءِ الْخَفِيفِ ] :

كَمْ لَدَيْنَا أَمَانِيًا      قَدْ حَوَتْ مُحْكَمَ الْعَمَلِ  
 فَارْغَاتِ مِنَ الدُّنَا      نَبِيرِ مَلَأَى مِنَ الْأَمَلِ

وهو عكس قول الآخر [من الطويل] :  
 وإن رجاء كامنًا في نواله لكاملال في الأكياس تحت الخواتم  
 وقال أبو الحسين الجزار [من الخفيف] :  
 ليت شعري ما العذر لولا قضاء الله في رزقي وفي حرمانى  
 ولقد كدت أن أهيم بحمل الهم لولا تعللى بالأمانى  
 وله أيضا [من الكامل] :

حسبُ الفتى حسن الأمانى إنه لا يعتريه مدى الزمان زوال  
 وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحامى [من الخفيف] :  
 لى حبيب لو قيل ما تتمنى ما تعديته ولو بالمنون  
 أشتهى أن أحل في كل طرفٍ فأراه يلحظ كل العيون  
 وقال غيره [من الوافر] :

أعلل بالمنى قلبى لأنى أفرج بالأمانى الهم عنى  
 وأعلم أن وصلك لا يرجى ولكن لا أقل من التمنى  
 وقال الآخر وهو أصرح مما قبله [من الوافر] :

إذا ما عن ذكرك فى ضميرى وقابلنى محيأك الجميل  
 أصير لفرط أشواقى أيورا لعلنى أن نيكلك مستحيل  
 وهو يشبه قول الصفي الحلى أيضا [من الوافر] :

إذا صد الحبيب لغير ذنبٍ وقاطعنى وأعرض عن وصالى  
 أمثله وأنسكح عند صلحى بأثر الفكر فى ثقب التحيال  
 وقد سد ابن المعتز باب المنى بقوله [من البسيط] :

لا تأسفن من الدنيا على أمل فليس باقيه إلا مثل ماضيه  
 وتابعه الخالدى فقال [من السريع] :

ولا تكن عبد المنى فالتى رهوس أموال المفاليس  
وقال الآخر [من السريع] :

من نال من دنياه أمنيّة أسقطت الأيام منها الألف

وقال شرف الدين القيروانى أيضا [من الكامل] :

غلف تمنوا فى البيوت أمانياً وجميع أعمار اللثام أمانى  
وقال الآخر [من الوافر] :

ألا يا نفس إن ترضى بقوت فانت عزيزة أبداً غنية  
دعى عنك المطامع والأمانى فكم أمنيّة جلبت منيّة  
وحال أبو الحسين الجزار [من الخفيف] :

أنا فى راحة من الآمال أئن من همى بلوغ المعالى  
لى عجز أراح قلبى من الهم ومن طول فكرتى فى المحال  
ما لباس الحرير مما أرجيه فبرجى ولا ركوب البغال  
راحة السر فى التخلف عن كل محل أضحى بعيد المنال  
وقال بعضهم [من الطويل] :

وأكثر ما تلقى الأمانى كواذبا فإن صدقت جازت بصاحبها القدرا  
وقال آخر [من الطويل] :

ولى من تمنى النفس دنيا عريضة ومستفتح يغدو على ويطرُق  
فقدت المنى إلا النفس تلهو عن المنى لتجربة منها ولا هى تصدق  
وقال الصلاح الصفدى [من الطويل] :

ألا فاطرح عنك التمنى ولا تبت بكاساته نشوان غير مفيق  
فإن كان مما لا غنى عنه فليكن وفاة عدو أو حياة صديق

وقد أ. كثرنا في طول الأمل وضده فلنرجع إلى أخبار كثير عزة .  
يحكى أنه خرج في الحج بجمل يبيعه ، فمر بسكينة بنت الحسين رضي الله عنهما ،  
ومعها عزة وهو لا يعرفها ، فقالت لها سكينة : هذا كثير سُومِيه بالجل ، فسأمته ،  
فاستام بمائتي درهم ، فقالت : ضع عنا كذا وكذا ، لشيء قليل ، فأبى ، فدعت  
له بتمر وزبد فأكل ، فقالت له : ضع عنا كذا وكذا ، لشيء قليل ، فأبى أيضاً ،  
فقالت له : قد أكلت بأكثر مما نسألك ، فقال : ما أنا - بواضع شيئاً ، فقالت  
سكينة : اكشفوا ، فكشفوا عنها وعن عزة ، فلما رآها استحيا وانصرف وهو  
يقول : هو لكم ، هو لكم

عود إلى أخبار  
كثير عزة

16

وحدث محمد بن سلام قال : كان كثير يقول ، ولم يكن عاشقا ، وكان جميل  
صادق الصباة والعشق ، وقال أبو عبيدة : كان جميل يصدق في حبه ، وكان كثير  
يكنب في حبه

ويروى أنه نظر ذات يوم إلى عزة وهي تميس في مشيتها ، فلم يعرفها ،  
فاتبعها وقال لها : يا سيدتي ، قفي لي أكلك فاني لم أراك قط ، فمن أنت ؟  
قالت : ويحك ! وهل تركت عزة فيك بقية لأحد ؟ فقال : بأبي أنت ! لو أن  
عزة أمة لوهبته لك ، قالت : فهل لك في الحلالة ؟ قال : وكيف لي بذلك ؟  
قالت : وكيف بما قلته في عزة ؟ قال : أقلبه كله وأحوله إليك ، فكشفت عن  
وجهها وقالت : أغدراً يا فاسق ، وإنك لهكذا ؟ فأبلس ولم ينطق وبهت ، فلما  
مضت أنشأ يقول [ من الطويل ] :

ألا ليتني قبل الذي قلتُ شيب لي      من الشم جرعات بماء الذرّارح  
فمت ولم تعلم على خيانة      وكم طالب للريح ليس براح  
أبوء بذنبي إنني قد ظلمتها      وإني بيباق سرّها غير بائع

وكان كثير بمصر وعزة بالمدينة المنورة ، فاشتاق إليها فاسافر ليلقاها ، فصادفها  
في الطريق وهي متوجهة إلى مصر ، فجرى بينهما كلام طويل الشرح ، ثم إنها  
( ١٠ - معاهد ٢ )

انفصلت عنه وقدمت مصر ، ثم عاد كثير إلى مصر فوافاها توفيت والناس  
منصرفون عن جنازتها ، فأتى قبرها وأناخ راحلته ومكث ساعة ثم رحل وهو  
يقول أبياتا منها قوله [ من الطويل ] :

أقولُ ونِضوى واقف عند قبرها      عليك سلام الله والعينُ تسفحُ

وقد كنت أبكى من فراقك حيةً      فأنتِ لعمري الآن أنأى وأنزحُ

وقال له عبد الملك بن مروان يوما : بحق على بن أبي طالب هل رأيت أحداً  
أعشقت منك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لو أنشدتني <sup>(١)</sup> بحبك لأخبرتكَ ، بينا أنا أسير  
في بعض الفلوات إذ أنا برجل قد نصب حبالته ، فقلت له : ما حبسك هاهنا ؟  
فقال : أهلكني وأهلك أهل الجوع فنصبت حبالتي هنا لأصيب لهم شيئاً يكفيني  
ويعصمنا يومنا هذا ، قلت : رأيت إن أقت معك فأصبت صيدا تجعل لي جزءاً  
منه ؟ قال : نعم ، فبينما نحن كذلك وقعت ظبية في الحباله فخرجنا نبتدر فبدرني  
إليها فخلّتها وأطلقها ، فقلت : ما حملك على هذا ؟ قال : دخلتني لها رقة لشبهها  
بليلي وأنشأ يقول [ من الطويل ] :

أيا شبه ليلي لا تُراعى فانتى      لك اليوم من وحشية لصديقُ

أقولُ وقد أطلقتها من وناقها      فأنت ليلي ما حيت طليقُ

وحدث عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال : بكى بعض آل كثير عليه  
حين نزل به الموت ، فقال له كثير : لا تيك فكأني بك بعد أربعين يوماً تسمع  
خشقة نعلي من تلك الشعبة راجعاً إليكم

وحدث يزيد بن عروة رحمهم الله تعالى قال : مات كثير وعكرمة رحمه الله  
تعالى في يوم واحد ، فقيل : مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس ، ولم تتخلف  
امرأة ولا رجل عن جنازتهما ، وغلب النساء على جنازة كثير بيكين ، ويدكون  
عزة في نديهن ، فقال أبو جعفر محمد بن علي : افرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها

(١) كذا والمحفوظ أن هذا الفعل ثلاثي ، فلهزمة أوله لا محل لها

قال : فجعلنا ندفع عنها النساء ، وجعل محمد بن علي رضي الله عنهما يضربهن بكفه  
ويقول : تَنَحَّيْنِ يا صويحبات يوسف ، فانتدبت له امرأة منهن فقالت : يا ابن  
رسول الله لقد صدقت ، إننا لصويحباته ، وقد كنا خيراً منكم له ، فقال أبو جعفر  
لبعض مواليه : احتفظ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفنا ، فلما انصرف أتى بتلك  
المرأة كأنها شرر النار ، فقال لها : إيه أنت القائلة : إنكن ليوسف خيرٌ منا ؟  
قالت : نعم ، تؤمنني غضبك يا ابن رسول الله ، قال : أنت آمنة من غضبي فأبيني ،  
قالت : نحن يا ابن رسول الله دعوانه إلى اللذات من المطعم والمشرب والمتنع  
والمتنعم ، وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجب وبعتموه بأبخس الأثمان  
وحبستموه في السجن ، فأينا كان عليه أحن وبه أراف ؟ فقال لها محمد : لله  
درك لن تغالب امرأة إلا غلبت ، ثم قال : ألك بعل ؟ فقالت : لى من الرجال من  
أنا بعله ، فقال لها : ما أصدقك مثلك من تملك زوجها ولا يملكها ، فلما انصرفت  
قال رجل من القوم : هذه ربيبة فلانة بنت معيقب الأنصارية  
وكانت وفاة كثير سنة خمس ومائة ، في ولاية يزيد بن عبد الملك ، رحمه  
الله تعالى !

\* \* \*

١٠٤ - \* قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّاحَا \*

هو لابن المعتز من قصيدته السابقة في التشبيه (١) وصدره :

\* جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ \*

وبعبه قوله :

إِنْ عَفَا لَمْ يُلْغِ اللَّهُ حَقًّا أَوْ سَطَا لَمْ يَخْشَ مِنْهُ جَنَاحَا

(١) ارجع إلى شرح الشاهد رقم (٧٩ في ص ٣٤ من هذا الجزء) .



ألف الهيجاء طفلاً وكهلاً بحسبُ السيفِ عليه وشاحا  
والشاهد فيه: مدار قرينة الاستعارة التبعية على المفعول فان القتل والإحياء  
الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود

\*\*\*

## ١٠٥ - نَقَرِيهِمْ لَهْذَمِيَّاتِ

قائله القطامي ، ولفظه :

مدار التبعة  
على المفعول

نقريهم لهذميات نقذ بها ما كان خاط عليهم كل زراد  
وهو من قصيدة (١) من البسيط يمدح بها زفر بن الحارث الكلابي أوالها :  
ما اعتاد حب سليمي غير معتاد ولا تقضى بوافي دينها الطادي (٢)  
بيضاء مخطوطة المتنين به سكة ربا الروادف لم تمغل بأولاد (٣)  
ما للكواعب ود عن الحياة كما ود عنى واتخذن الشيب ميعادي  
أبصارهن إلى الشبان مائلة وقد أراهن عنى غير صداد  
إذ باطلي لم تقشع جاهليته عنى ولم يترك الخللان تقوادي  
كنية الحى من ذى اليقظة احتملوا مستحقين فؤادا ما له فادي (٤)

(١) أقرأها في ديوان القطامي (٧ أوربا)

(٢) في الديوان « حين معتاد » وفي الأصل \* ولا تقضى بوافي دينها  
الصادى \* محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في الديوان . والطادي : الثابت  
القديم .

(٣) في الأصل « مخطوطة » محرفا . ومخطوطة المتنين : لطيفتهما . ولم  
تمغل : من قولهم « أمغلت الشاة » إذا ولدت في السنة مرتين .  
(٤) في نسخة من الديوان « من ذى الغضبة » وفي نسخة أخرى كما هنا  
وثمة روايات أخرى ، وفي الديوان « مستحقين أسيرا » وعنى به فؤاده

بأنوا وكانت حَيَاتِي فِي اجْتِمَاعِهِمْ      وَفِي تَفَرُّقِهِمْ قَتْلِي وَإِقْصَادِي  
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ      مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي <sup>(١)</sup>  
فَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يَصْبَنَ بِهِ      مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي  
وهي طويلة .

واللهزم : القاطع من الأسنة ، وأراد بلهزميات طعنات منسوبة إلى  
الأسنة القاطعة ، أو أراد نفس الأسنة ، والتشبيه للمبالغة ، والقدر : القطع ،  
والزراد : صانع الدروع .

والشاهد فيه : أن مدار قرينة الاستعارة التبعية في الفعل وما يشتق منه  
على الفاعل أو المفعول كما هنا ، فإن المفعول الثاني — وهو اللهزميات — قرينة  
على أن « نقر بهم » استعارة .

وقد تقدم ذكر القطامي <sup>(٢)</sup> في شواهد القلب ، والله أعلم .

\*\*\*

١٠٦ — \* غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا \*

هو من الكامل ، وعمامة :

\* غَلِقَتْ لَضَحَكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ \*

وهو من قصيدة لكثير عزة ، وأراد بغمر الرداء كثير العطاء  
والشاهد فيه : الاستعارة المجردة ، وهي ما قرنت بملأَم المستعار له ، فانه  
استعار الرداء للعطاء ، لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقي عليه ،  
ثم وصفه بالغمر الذي يلاَم العطاء دون الرداء تجريدا للاستعارة ، والقرينة سياقية

(١) في نسخة من الديوان و « لا مكتومه بادي » .

(٢) ارجع إلى ترجمة القطامي في شرح الشاهد ( رقم ٣٢ في ج ١ ص ٧٩١  
من هذه المطبوعة ) .

الكلام ، وهو قوله « إذا تبسم ضاحكاً » أى شارعاً فى الضحك آخذاً فيه ، غلقت لضحكته رقاب المال ، يقال « غلق الرهن فى يد المرتهن » إذا لم يقدر على انفكاكه ، وهو يريد فى البيت أن ممدوحه إذا تبسم غلقت رقاب أمواله فى أيدي السائلين

ومن استعارة الرداء قوله [ من الوافر ] :

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدٌ عَمْرٍو      رُوَيْدُكَ يَا أَخَا عَمْرٍو بْنِ بَكْرِ  
لِيَ الشَّطْرِ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي      فَدُونِكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرِ

فانه استعار الرداء للسيف ، وأثبت له الاعتجار وهو من صفة الرداء .

وما أحسن استعارة الرداء فى قول أبى الوليد بن الجنان الشاطبي وهو [ من مجزوء الرمل ] :

فَوْقَ خَدِّ الْوَرْدِ دَمْعٌ      مِنْ عَيُونِ الشُّحْبِ يَذْرَفُ  
بِرْدَاءِ الشَّمْسِ أَضْحَى      بَعْدَ مَا سَالَ يُجَفِّفُ

وفى معنى عجز البيت قول امرئ القيس [ من الطويل ] :

غَلَقَنْ بَرَهْنَ مِنْ حَبِيبٍ بِهِ ادَّعَتْ      سُلَيْمَى فَأَضْحَى حَبْلُهَا قَدْ تَبَتَّرَا

وقول زهير [ من البسيط ] :

وَفَارَقَتْكَ بَرَهْنٍ لَا فَكَاكَ لَهُ      يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَمْسَى الرُّهْنُ قَدْ غَلِقَا

وقول الوليد [ من الطويل ] :

\* وَمَنْ يَكُ رَهْنًا لِلْحَوَادِثِ يَغْلِقِي \*

وقول عمر بن أبى ربيعة [ من الطويل ] :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌّ      وَمَنْ غَلَقَ رَهْنٌ إِذَا ضَمَهُ مَبْنَى <sup>(١)</sup>

وقول أبى جعفر بن مسلمة بن وضاح يخاطب ساجع حمام من أبيات [ من السريع ] :

وَهَاجَ مَبْكَكَ بَيْسْتَانِ إِسْرَاهِيمَ لِلنَّجْدِيِّ ذَكَرَ الْقَطِينِ

(١) كذا ، ولم أجده فى ديوان عمر

فرج فساعِدْنِي على لَوْعَتِي فَاَنْ رَهْنِي غَلِقْتُ فِي الرَّهُونِ  
 وَقَوْلِ أَبِي نَصْرٍ السَّاجِي [من الرجز]:  
 تَشْكُو إِلَيْكَ بُخْلَتِي مَا نَالَهَا فَيَالَهَا إِنْ صَبَرْتُ وَيَالَهَا  
 لِأَنهَا مَرْهُونَةٌ بِبُخْبِكُمْ طَوَّبَ لَهَا إِنْ غَلِقْتُ طَوَّبَ لَهَا  
 وَمَا أَلْطَفَ قَوْلَ الصَّلَاحِ الصَّفْدِيِّ مَعَ زِيَادَةِ إِيْهَامٍ وَإِيْهَامِ الطَّبَاقِ [من  
 المجتث]:

سَهَامُ لَخْطِكَ أَصَمَّتْ قَلْبِي وَلَمْ تَتَرَفَّقْ  
 مَا تَقْتَحُ الْجَفْنَ إِلَّا وَرَهْنِ قَلْبِي يَغْلِقُ

\*\*\*

لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السَّلَاحِ مُقَدَّفٍ لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ

تقدم قريباً<sup>(١)</sup> أن قائله زهير بن أبي سلمى ، من قصيدة من الطويل  
 واللبد بالكسر<sup>(٢)</sup> شعر زبرة الأسد ، وكنيته أبو لبدة ، والتقليم : مبالغة  
 القلم وهو قطع الأظفار

والشاهد فيه : اجتماع التجريد والترشيح في الاستعارة ، فالتجريد قد عرف  
 قبله ، والترشيح هو : ما قرن بلامم المستعار منه ، فقوله هنا « لدى أسد شاكي  
 السلاح » تجريد ، لأنه وصف يلائم المستعار له وهو الرجل الشجاع ، وباقي  
 البيت ترشيح لأنه وصف يلائم المستعار منه ، وهو الأسد الحقيقي  
 ومعنى البيت أخذه زهير من قول أوس بن حجر<sup>(٣)</sup> حيث قال [من الطويل]

(١) هو الشاهد رقم (٩٧) الذي مضى شرحه في (ص ١١٢ من هذا الجزء)

(٢) يريد بكسر أوله ، وأما ثانيه فمفتوح ،

(٣) انظر حديث هذا الأخذ عن الأصمعي في الشعر والشعراء (١٠١ أوربا)

لَمَزُكَ إِنَّا وَالْأَخَالِيفَ هَؤُلَاءِ لَفِي حَقَبَةٍ أَظْفَارُهَا لَمْ تُقَلِّمْ (١)  
 أى : نحن في حرب ، وكذلك أخذه النابغة حيث قال أيضا [من الكامل]:  
 وَبَنُو قُعَيْنٍ لَا مُحَالَةَ لَهُمْ أَتَوَكَّ غَيْرَ مُقَلِّمِ الْأَظْفَارِ

\*\*\*

١٠٧- وَيَضَعُدُّ حَتَّى يَظُنَّ الْجَهْلُولُ بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ

مبنى الترشيح  
 على تناسي  
 التشبيه

البيت لأبي تمام الطائي ، من قصيدة (٢) من المتقارب يرثى بها خالد بن يزيد  
 الشيباني وينذكر أباه ، وأولها :

نَعَاءٌ إِلَى كُلِّ حَيٍّ نَعَاءٌ	فَفِي الْعَرَبِ اخْتِطَّرَ بَعْضُ الْفَنَاءِ
أَصْبَحْنَا جَمِيعًا بِسَهْمِ النَّضَالِ	فَهَلَّا أَصْبَحْنَا بِسَهْمِ الْغَلَاءِ (٣)
أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ فَجَعَلْتَنَا	بِمَاءِ الْحَيَاةِ وَمَاءِ الْحَيَاءِ
فَمَاذَا حَبَوْتَ بِهِ حَاضِرًا	وَمَاذَا خَبَّاتَ لِأَهْلِ الْخَبَاءِ (٤)
نَعَاءٌ نَعَاءٌ شَقِيقَ النَّدَى	إِلَيْهِ نَعِيًّا قَلِيلَ الْجَدَاءِ
وَكَاثَرًا مَانًا شَرِيكَ عِنَانٍ	رَضِيعِي لِبَانٍ خَلِيلِي صَفَاءِ (٥)

إلى أن قال يخاطب ولده :

- (١) في الأصل « لفى جعبة » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في الشعراء .  
 (٢) أقرأها في ديوان أبي تمام ( ٣٤٧ بيروت ) وقد أثبتت هذه الأبيات المروية هنا وكأنها مبنية على الألف اللينة ، بدون همزة في رويها وهو خطأ .  
 (٣) في الأصل « بسهم النصال » وفيه « بسهم الغلاء » وكلاهما تحريف ، وما أثبتناه موافق لما في الديوان ، والغلاء : مجاوزة الحد .  
 (٤) في الأصل « وماذا حضرت به حاضرا » .  
 (٥) في الديوان « وكانا جميعا » .

أَبَا جَعْفَرٍ لِيُعْرِكَ الزَّمَانُ      نُعْزَا وَيَكْسُكَ طَوْلُ الْبَقَاءِ (١)  
 فَمَا مَرُّكَ الْمَرْتَجَى بِالْجَهَامِ      وَلَا رِيحُنَا مِنْكَ بِالْجُرْيَاءِ (٢)  
 فَلَا رَجَعْتَ فِيكَ تِلْكَ الظُّنُونُ      حَيَارَى وَلَا أُنْسَ شُعْبُ الرِّجَاءِ  
 وَقَدْ نَكِسَ الثُّغْرَ فَابَعْتَ لَهُ      صُدُورَ الْقَنَا فِي ابْتِغَاءِ الشِّفَاءِ  
 فَقَدْ مَاتَ جَدُّكَ جَدَ الْمُلُوكِ      وَنَجْمُ أَبِيكَ حَدِيثُ الضِّيَاءِ  
 وَلَمْ يَرْضَ قَبْضَتَهُ لِلْحَسَامِ      وَلَا حَمْلَ عَاتِقِهِ لِلَّوَاءِ  
 فَمَا زَالَ يَقْرَعُ نَلَّكَ الْعَلَاءِ      مَعَ النِّجْمِ مَرْتَدِيًّا بِالْعَمَاءِ (٣)

وبعد البيت ، وهي قصيدة طويلة ، وهذا البيت في مدح أبيه وذكر علوه  
 والشاهد فيه : أن مبنى الترشيح على تناسي التشبيه ، حتى إن المرشح يبنى  
 على علو القدر الذي يستعار له علو المكان ما يبنى على علو المكان والارتقاء إلى  
 السماء ، فلو أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصر على إنكاره فيجعله صاعدا في  
 السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه

ومثله قول بشار [من مجزوء الوافر] :

أَتَتْنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً      وَلَمْ تَكْ تَبْرَحْ الْفَلَكَ

وقول ابن الرومي يمدح به بنى نوبخت [من المنسرح] :

شَافَهُمُ الْبَدْرُ بِالسُّؤَالِ عَنْ إِيَّائِي      أَمْرِي إِلَى أَنْ بَلَّغْتُمْ رُحْلَا

وقول أبي الطيب المتنبي أيضاً [من الكامل] :

كَثُرَتْ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ      مِنْهَا الشَّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ

(١) في الديوان « ليعرك الزمان \* عزاء ».

(٢) المزن : السحاب ، والجهام : الذي لا ماء فيه ، والجرياء : ريح الشمال

(٣) العماء : السحاب المرتفع .

وقول الآخر [من الطويل] :

ولم أرَ قبلي من مشى البدر نحوه ولا رجلاً قامت تماثقه الأسد

وقد اتفق علماء البديع على تقديم الاستعارة المرشحة على غيرها في هذا الباب ، وأنه ليس فوق رتبته رتبة ، ولذا كرر نبذة منها ومن غيرها ، فمن محاسن ماورد فيها قول أبي جعفر الشقري [من السريع] :

ياهل ترى أظرف من يومنا قلد جيد الأفق طوق العقيق

وألق الورق بعيدانه مرقصة كل قضيب وريق

والشمس لا تشرب خمر الندى في الروض إلا بكؤوس الشقيق

ومثله في الرشاقة قول ابن رشيقي [من السريع] :

يا كبر إلى اللذات واركب لها سوابق اللهو ذوات المزاح

من قبل أن ترشف شمس الضحى ريق الغوادي من تغور الأفاق

ولطيف قول بعضهم أيضاً [من السريع] :

شراً بنا الرقيق وكساتنا شفاهاً والقيل النقل

ويقرب من البيت الأول ، من قول ابن رشيقي ، قول ابن المعتز ،

[من الوافر] :

وقد ركضت بنا خيل الملاهي وقد طرنا بأجنحة الشرو

وبديع أيضاً قول ابن وكيع [من الرمل] :

غرّد الطير فنبه من نعن وأدر كأسك فالعيش خلس

سل سيف الفجر من غمد الدجي وتعرى الصبح من ثوب الغلس

وانجلى عن حلل فضية ناهيا من ظلم الليل دس

وقول أبي نواس [من السريع] :

بصحنِ خَدَيْ لَمْ يَغْضُ مَاؤُهُ      وَلَمْ تَخْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ  
وقوله أيضاً [ من الكامل ] :

فَإِذَا بَدَأَ اقْتَادَتْ مُحَاسِنُهُ      قَسْرًا إِلَيْهِ أَعْنَةُ الْحَدَقِ  
وقوله أيضاً ، وهو عجيب هنا [ من البسيط ] :

مَازَلْتُ أَسْتَلُّ رُوحَ الزَّقِّ فِي لَطْفٍ      وَأَسْتَقِي دَمَهُ مِنْ جَفَنِ مَجْرُوحِ  
حَتَّى انْتَنَيْتُ وَلِي رُوحَانِ فِي جَسَدِي      وَالزَّقِّ مُنْطَرِحٌ جَسْمٌ بِلَا رُوحِ  
وقول البدر الذهبي ، وأجاد [ من مخلع البسيط ] :

مَا نَظَرْتُ مُقْلَتِي عَجِيبًا      كَاللُّوزِ لَمَّا بَدَأَ نَوَارُهُ  
اشْتَعَلَ الرَّأْسُ مِنْهُ شَيْئًا      وَاخْضَرَّ مِنْ بَعْدِهَا عِذَارُهُ  
وقول ابن خفاجة الأندلسي [ من الطويل ] :

وَقَدْ جَالَ مِنْ حَوْلِ الْغَمَامَةِ أَدْهَمٌ      لَهُ الْبَرْقُ سُوطٌ وَالشَّمَالُ عِغَانُ  
وَضَمَخَ دَرْعُ الشَّمْسِ نَحْرَ حَدِيقَةٍ      عَلَيْهِ مِنَ الطَّلِّ السَّقِيطُ جُمَانُ  
وَنَمَتْ بِأَسْرَارِ الرِّيَاضِ خِمِيلَةٌ      لَهَا النُّورُ ثَغَرٌ وَالنَّسِيمُ لِسَانُ  
وقول ابن قرتاص [ من الخفيف ] :

قَدْ أَتَيْنَا الرِّيَاضَ حِينَ تَجَلَّتْ      وَتَحَلَّتْ مِنْ النَّدَى بِجُمَانِ  
وَرَأَيْنَا خَوَاتِمَ الزَّهْرِ لَمَّا      سَقَطَتْ مِنْ أَنْمَالِ الْأَغْصَانِ  
وبديع أيضاً قول ابن نباتة السعدي [ من الطويل ] :

خَرَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا لَظْهُورَهُمْ      عَيُونًا لَهَا وَقَعُ السَّيْفِ حَوَاجِبُ  
لَقَوْا نَبْلًا مَرَدَّ الْعَوَارِضِ وَانْدَنَوْا      لِأَوْجُهُمْ مِنْهَا لَحَى وَشَوَارِبُ  
وقول الشريف أبي الحسن العقيلي [ من المتقارب ] :



وفرق تيجان نواره فلم ينس من غصن مفرقا  
 وقوله أيضاً [ من الوافر ] :  
 إذا أبدى مؤامرة التجنى أقمت له وجوه الاحتمال  
 وقوله أيضاً [ من الكامل ] :  
 خلص بجاه الوصل قلب متميم غمز الصدود عليه أعوان الضنى  
 وقوله أيضاً [ من الخفيف ] :  
 كلما لاح وجهه بمكان كثرت زحمة العيون عليه  
 وقوله أيضاً [ من المتقارب ] :  
 فلما تبدى لنا وجهه نهيئنا محاسنه بالعيون  
 وقول النثرى الرفاء في يوم بارد من أبيات [ من مجزوء الكامل ] :  
 متلون يبدى لنا طرفاً بأطراف النهار  
 فهو منكسب الردا وغيمه جافى الإزار  
 يبكي فيجمد دمه والبرق يكحله بنار  
 وقول أبي القاسم الدينورى [ من مجزوء الرمل ] :  
 من عذرى من بديع الحسن ذى قد رشيق  
 أنبتت في فيه اللؤلؤ لؤلؤ أرض من عقيق  
 وما أطف قول أبي زكرياء المغربى من قصيدة أولها [ من الرمل ] :  
 نام طفل النبت في حجر النعamy لا هتزاز الطل في مهد الخزامى  
 يقول فيها :  
 كحل الفجر لهم جفن الدجى وغدا في وجنة الصبح لثاماً  
 تحسب البدر محياً ثملاً قد سقته راحة الفجر مداماً  
 وقول السلاوى ، وهو بديع [ من البسيط ] :  
 والكأس للسكر التبرى صائفة والماء للحبيب الدرى نظام

بنتنا نكف بالكَاسَاتِ أَدْمَعَنَا كَأَنَّا فِي حَجُورِ الرُّوضِ أَيْتَامُ  
وما أبدع قوله أيضاً [ من الوافر ] :

تبسطنا على الآثَامِ لَمَّا رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ مَمَرِ الذُّنُوبِ  
قيل : كان الصاحب بن عباد يستحسن هذا البيت ، وكان يستشهد به  
كثيراً ، ويقول : ما درى قائله أى درة رمى بها ، وأى غرة سيرها وخَلَدَهَا .

وقول التنوخي وهو من غريب الاستعارات [ من الخفيف ] :

وَرَبَّاهُ حَاكَتْ لَهِنَّ الثَّرِيَا حُلَلًا كَانَ غَزْلُهَا لِلرُّعُودِ  
نَثَرَ الْغَيْثُ دُرَّ دَمْعٍ عَلَيْهَا فَتَحَلَّتْ بِمِثْلِ دُرِّ الْعُقُودِ  
أَقْحَوَانُ مُعَانِقٍ لَشَقِيقٍ كَشُغُورٍ تَمَضَّى وَرَدَ الْخُدُودِ  
وَعَيُونٌَ مِنْ نَرَجِسٍ تَتَرَأَى كَعَيُونٍ مُوصُولَةِ التَّسْهِيدِ  
وَكَأَنَّ الشَّقِيقَ حِينَ تَبَدَّى ظَلَمَةُ الصَّدْعِ فِي خُدُودِ الْغَيْدِ  
وَكَأَنَّ النَّدَى عَلَيْهَا دَمُوعٌ فِي عَيُونٍ مَفْجُوعَةٍ بِفَقِيدِ

وقول السيد أبي الحسن علي بن أبي طالب البلخي ، من أبيات  
[ من الطويل ] :

وَكَمْ قَدَمْضَى لَيْلٌ عَلَى أَبْرِقِ الْحَمَى مُضِيءٌ وَيَوْمٌ بِالْمَشْرِقِ مُشْرِقُ  
تَسَرَّقْتُ فِيهِ اللَّهُوَ أَمْلَسَ نَاعِمًا وَأَطْيَبُ أَنْسِ الْمَرْءِ مَا يَتَسَرَّقُ  
وَيَا حُسْنَ طَيْفٍ قَدْ تَعَرَّضَ مَوْهِنًا وَقَلْبُ الدُّجَى مِنْ صَوْلَةِ الصَّبْحِ يُخْفِقُ

وقول ابن الساعاتي [ من الطويل ]

وَلَوْلَا وَشَاءَتْ بِلَ رُؤَاةٍ تَخَرَّصُوا أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي سَمَاعٍ وَلَا تَقُلْ  
لَمَتْتُ نُغُورَ النُّورِ فِي شَنْبِ النَّدَى خِلَالَ جَبِينِ النَّهْرِ فِي طُرَرِ الظَّلِّ

وقول القاضي كمال الدين بن النبيه [ من الطويل ] :

تبسم ثمرُ الروضِ عن شنبِ القطرِ      ودبَّ عذارُ الظلِّ في وجنةِ النهرِ  
وقوله أيضاً [من الكامل] :

والنهرُ خدٌّ بالشعاعِ مُورِدُ      قد دبَّ فيه عذارُ ظلِّ البانِ  
والماءُ في سُرُوقِ الغصونِ خلاخلُ      من فضةٍ والزهرُ كالتيجانِ

وقول ابنِ قرناصٍ أيضاً [من الوافر] :

لقد عقدَ الربيعُ نطاقَ زهرٍ      يضمُّ بغصنه خصرًا نحيلًا  
ودبَّ مع العشى عذارُ ظلِّ      على نهرٍ حكى خدًّا أسيلًا  
وكلهم قد أخذوا الوجهَ والعذارُ من ابنِ خفاجة ، حيث قال  
[من الطويل] :

وإني وإن جئتُ المشيبَ لمولعٍ      بطُرةِ ظلِّ فوق وجهِ غديرٍ  
وما أحسن قولَ الشهابِ محمودِ الوراقِ [من البسيط] :

إذا الكرى ذرَّ في أجفاننا سِنَّةً      من النعاسِ نفضاها عن الهدبِ  
وقول ابنِ نباتةِ المصري أيضاً [من الطويل] :

ولما جنى طرفي رياضَ جمالكمُ      جعلتُ سهادي في عقوبةٍ من جنى  
أأجابنا إن عقمُ السفحِ منزلاً      وأخليتم من جانبِ الجذعِ موطناً  
فقد حزنتمُ دمعى عقيقاً ومُهجتي      غَضَى وسكنتم من ضلوعي مُنحني  
وقوله أيضاً [من الكامل] :

هذهِ الحمامُ في منابرٍ أيكها      تُملئُ الغنا والطلُّ يكتبُ في الورقِ  
والقضبُ تخفضُ للسلامِ رؤوسها      والزهرُ يرفعُ زائريه على الحدقِ

وهو أحسن من قول الأمير مجير الدين بن تميم [من الكامل] :

إني لأشهدُ للحيمى بفضيلةٍ      من أجلها أصبحتُ من عشاقه

ما زارَهُ أَيْلَمَ نَرْجِسِهِ فَتَى إِلَّا وَأَجْلِسُهُ عَلَى أَحْدَاقِهِ

وقول محمد الدين الأربلي [ من الكامل ] :

أَصْفَى إِلَى قَوْلِ الْعَدُولِ بِجَمَلَتِي مُسْتَهْمًا عَنْكُمْ بِغَيْرِ مَلَالٍ

لَتَلْقُطِي زَهْرَاتٍ وَرَدِّ حَدِيثِكُمْ مِنْ بَيْنِ شَوْكٍ مَلَامَةٍ الْعَذَالِ

وقول ماني الموسوس [ من المتقارب ] :

دَعَتْنِي إِلَى وَصْلِهَا جَهْرَةً وَلَمْ تَدْرِ أَتَى لَهَا أَعَشَقُ

فَقَعْتُ وَالسَّكْرَ مِنْ مَفْرَقٍ إِلَى قَدَمِي أَلْسَنٌ تَنْطَقُ

وما أجود قول أبي طاهر البغدادي في نار القرى [ من الكامل ] :

خَطَرْتُ فَكَادَ الْوُرْقُ تَسْجَعُ فَوْقَهَا إِنَّ الْحَمَامَ لَمَوْلَعٌ بِالْبَانِ

مِنْ مَعْشَرٍ نَشَرُوا عَلَى تَاجِ الرُّبَا لِلطَّارِقِينَ ذَوَائِبَ النِّيرَانِ

وهو مأخوذ من قول الأول [ من الطويل ] :

يَبِيتُونَ فِي الْمَشْتَى خَاصًّا وَعِنْدُهُمْ مِنَ الزَّادِ فَضْلَاتٌ تُعَدُّ لِمَنْ يَقْرَى

إِذَا ضَلَّ عَنْهُمْ طَارِقٌ رَفَعُوا لَهُ مِنَ النَّارِ فِي الظُّلُمَاءِ أَلْوِيَةً حَمْرًا

وقول صر در فيها [ من الكامل ] :

قَوْمٌ إِذَا حَيَا الضُّيُوفُ جَفَانَهُمْ رَدَّتْ عَلَيْهِمُ أَلْسَنُ النِّيرَانِ

ومنه قول التهامي [ من الكامل ] :

تَادَتُهُ نَارُكَ وَهِيَ غَيْرُ فَصِيحَةٍ وَهَنَّا بِحَقِّ ذَوَائِبِ النِّيرَانِ

وقد بالغ مهيار الديلمي في قوله [ من الكامل ] :

خَرَبُوا بِمَدْرَجَةِ الطَّرِيقِ قَبَابَهُمْ يَتَقَارِعُونَ عَلَى قَرَى الضُّيْفَانِ

وَيَكَادُ مَوْقَدُهُمْ يَجْرُدُ بِنَفْسِهِ حُبُّ الْقَرَى طَرَبًا عَلَى النِّيرَانِ

وما أحسن قول ابن سُكَّرَة ، وهو صاحب البيتين الجامعين لكافات الشتاء  
[ من مجزوء الرمل ] :

قيلَ بما أعددتَ للبرِّ      دِ قد جاءَ بشدةِ  
قلتُ دُرَاعَةً عُرِّي      تحتها جُبَّةٌ رَعْدَةٌ

وما ألطف قول ابن عمار [ من الكامل ] :  
أدرِ الزجاجةَ فالنسيمُ قد انبرى      والنجمُ قد صرفَ المنانَ عن السرى  
والصبحُ قد أهدى لنا كافوره      لما استردَّ الليلُ منّا العنبرا  
ومن بديع الاستعارة - على سخفه ومجونه - قولُ سعيد بن سناء الملك ،  
[ من مجزء الكامل ] :

يا هنه لا تستحي      منى قد انكشفَ المَطَى  
إن كان كُسْكٌ قد تنأ      أبَ إن أبرى قد نَمَطَى

فاستعارة التثاؤب والتمطى هنا من أحسن الاستعارات . قال ابن جبارة :  
أنشدني هذا ابنُ سناء الملك ، وزاد في الاعجاب به ، فلما عدتُ إلى البيت  
أخذت جزءاً من البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ، فوجدت فيه أن  
بفسادية قالت لأخرى : خرجت اليوم إلى العيد ؟ قالت : إى وحياتك ،  
قالت لها : فما رأيت ؟ قالت : أحرأحاً تتشاءب وأيوراً تتمطى ، فلما اجتمعتُ  
به قلت له : قد عرفتُ وعثرتُ على الكنز الذي انتهيت به ، وحكيت له الحكاية  
قال : سيدنا يفتش عن أمرى .

ومن ظريف الاستعارات قول الأمير مجير الدين بن تميم [ من الكامل ] :  
كيفَ السبيلُ لأنْ أقبلَ خَدَّ مَنْ      أهوى وقد نامت عيونُ الحرسِ  
وأصابعُ المنشورِ تُومي نَحْوَنَا      حسداً وتغمزها عيونُ النرجسِ  
وبديع قول السلاحي أيضاً في وصف الحرب [ من الكامل ] :

والنقع ثوبٌ بالنسور مطررٌ والأرضُ فرشٌ بالجياذ مخيلٌ  
 وسطورٌ خيلك إنما ألفاتها سمرٌ تنقط بالدماء وتشكلُ  
 وأجاد البدر بن يوسف الذهبي بقوله [ من السريع ] :  
 هلم يا صاح إلى روضةٍ يجلوبها العاني صداً همَّه  
 نسيمها يعثر في ذيله وزهرها يضحك في كه  
 ومن ظريف الاستعارة أيضاً قول ابن الغويرة [ من مجزوء الكامل ] :  
 عاينت حبة خاله في روضةٍ من جلتار  
 ففدا فؤادي طائراً فاصطاده شرك العذار  
 وما أبدع أيضاً قول الشريف الرضي الموسوي [ من البسيط ] :  
 أرسى النسيم بواديكم ولا برحت خواملُ المزن في أجداثكم تضعُ  
 ولا يزال جنينُ النبت ترضعه على قبوركم العراضةُ الهمعُ  
 وقد أخذه ابن أسعد الموصلي ، فقال من قصيدة ، يتشوق فيها إلى دمشق  
 [ من البسيط ] :

سقى دمشق وأياماً مضت فيها حواملُ السحب باديهًا وعاديهًا  
 ولا يزال جنينُ النبت ترضعه حواملُ المزن في أحشأ أراضيهَا  
 ومحاسن هذا الباب كثيرة ، والاقتصار على هذه النبتة أولى .

\*\*\*

١٠٨ - هي الشمسُ مسكنها في السماء فعزُّ الفؤاد عزاءٌ جيلاً  
 فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولاً

البيتان للعباس بن الأحنف ، من المتقارب

والشاهد فيهما : جواز البناء على الفراغ - وهو المشبه به - مع جحد الأصل وهو المشبه ، لأنه هنا طوى ذكر الأصل ، وجعل الكلام خلوا منه ، ويسمى هذا المجاز المفرد ، ومنه قول الفرزدق [ من الطويل ] :

أبي أحمد الغيثين صمصعة الذي متى تبخل الجوزاء والدلو يُمطر

وقول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشيين [ من الكامل ] :

يتعاوران من الغبار ملاءةً بيضاء محكمة إذا نسجاها

تطوى إذا وردا مكانا محزنا وإذا السنايك أسهلت نشرها

وقول سعيد الكاتب التستري النصراني [ من مجزوء الخفيف ] :

قلت زورى فأرسلت أنا آتيك سحرة

قلت فالليل كان أخفى وأدنى مسرة

فأجابت بحجة زادت القلب حسرة

أنا شمس وإنما تطلع الشمس بكرة

وله في معناه أيضاً [ من الخفيف ] :

وعند البدر بالزيارة ليلاً فاذا ما وفى قضيت نذورى

قلت ياسيدى فلم تؤثر الليل على بهجة النهار المنير

قال لى لأحب تغيير رسمى هكذا الرسم فى طلوع البدر

وقال فى معناه أيضاً [ من الخفيف ] :

قلت للبدر حين أعتب زرنى واشمت الوصل بالقللا والتجافى

قال إني مع العشاء سأتى فانتظرنى ولا تخف من خلاف

قلت ياسيدى فزرنى نهاراً فهو أدنى لقربة الايلاف

قال لا أستطيع تغيير رسمى إنما البدر فى الظلام بواقى

وقد جمع أبو العلاء المعري المعنيين في قوله [من الخفيف] :

هي قالت لما رأت شيبَ رأسي وأرادت تنسكراً وازبوراراً  
أنا بدرٌ وقد بدا الصبحُ من شيبك والصبح يطرد الأقاراراً  
قلت لأبل أراك في الحسن شمساً لا تَرَى في الدُّجى وتبدو نهارة

\* \*

١٠٩ - وإذا المنية أنشبت أظفارها أفيت كل تيمة لا تنفع  
شاهد الاستعارة بالكناية

البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، من قصيدة <sup>(١)</sup> من الكامل ، قالها وقد هلك  
له خمسُ بنين في عام واحد ، وكانوا فيمن هاجر إلى مصر ، فماتوا بهذه  
القصيدة ، وأولها :

أمن المنون ورأيها تتوجع	والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمانة ما لجسمك شاحباً	منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجسمك لا يلائم مضجعا	إلا أقض عليك ذاك المضجع <sup>(٢)</sup>
فأجبتها أما لجسمي إنه	أودى بني من البلاد فودعوا <sup>(٣)</sup>
أودى بني فأعقبوني حسرة	عند الرقاد وعبرة لا تقلع
فالعين بعدهم كأن حذاقها	كحلت بشوك فهي عور تدمع <sup>(٤)</sup>

- (١) انظرها في ديوان أبي ذؤيب في مجموعة شعر الهذليين (١ - ١ طبع دار الكتب المصرية) وانظرها أيضاً في المفضليات ، ولم يراع المؤلف ترتيبهما  
(٢) في المفضليات « أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا » وكذلك في الديوان  
(٣) في الأصل « فأجبتها أرني لجسمي » وأثبتنا ما في المفضليات والديوان  
(٤) في المفضليات « سملت بشوك » وكذلك في الديوان



فَقَبَّرْتُ بَعْدَهُمْ بَعِيشَ نَاصِبٍ      وَإِخَالُ أُنَى لَاحِقُ مُسْتَبِيعُ  
سَبَقُوا هَوَى وَأَعْنَقُوا لَهْوَاهُمْ      فَتَخَرُّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعُ  
وَلَقَدْ حَرَصْتُ بَأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمْ      فَذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ

وبعد البيت ، وبعده :

وَنَجْلِدِي لِلشَّامَتِينَ أُرِيهْمُ      أُنَى لَرِيبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُ  
حَتَّى كَأُنَى لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ      بِصِفَا الْمَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تُقْرَعُ  
وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ      جَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أُرِيهِ<sup>١)</sup>

يروى أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما استأذن على معاوية فى مرض موته ليعوده ، فأذهن واحتل ، وأمر أن يقعد ويسند ، وقال : ائذنوا له ، وليسلم قائما ولنصرف ، فلما سلم عليه وولى ، أئشد معاوية قول الهذلى فى هذه القصيدة \* وتجلدى للشامتين . . . البيت \* فأجابه ابن عباس على الفور : \* وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ . . . البيت \* ثم ما خرج من داره حتى سمع الناعية عليه .

والشاهد فيه : الاستعارة بالكناية ، والاستعارة التخيلية ، فهو هنا شبه فى نفسه المنية بالسبع فى اغتيالها النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفع وضرار ولا رقة لمرحوم ، فأثبت لها الأظفار التى لا يكمل الاغتيال فى السبع بدونها تحقيقا للمبالغة فى التشبيه ، فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية ، وإثبات الأظفار لها استعارة تخيلية .

(١) فى الأصل «جون السحاب» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى المفضليات والديوان والأغاني وخزانة الأدب - وأراد بجون المرأة حمارا وحشيا ، والمرأة - بفتح السين - أعلى الظهر ، والجدايد : الاتن اللواتى خفت ألبانهن واحدهن جدود .

وأبو ذؤيب<sup>(١)</sup> اسمه : خويلد بن خالد بن محرز<sup>(٢)</sup> بن زبيد بن مخزوم ، ترجمة أبي ذؤيب الهذلي ينتهي نسبه لنزار ، وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والاسلام ، ولم تثبت له رؤية .

وحدث أبو ذؤيب قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، فاستشعرت حزناً ، وبتُّ بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ، ولا يطلع نورها ، فظلمات أقاسى طولها ، حتى إذا كان قرب السحر أغفيت ، فهتف بي هاتفٌ ، وهو يقول [ من الكامل ] :

خطبُ أجلٍ أناخَ بالاسلام      بين النخيل ومقدِ الآطامِ  
قبضَ النبيُّ محمدٌ فعيوننا      تُدري الدُموعَ عليه بالتسجَامِ

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومي فزعا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سعد الذابح ، فتفألت به ذبحا يقع في العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض ، فركبت ناقتي وسرت ، فلما أصبحت طلبت شيئا أزجر به ، فعن لي شيهم — يعني القنفذ — قد قبض على صلٍ — يعني الحية — فهي تلتوى عليه ، والشيهم يقضمها حتى أكلها ، فزجرت ذلك ، وقلت : شيهم شيء مهم والتواء الصل : التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيهم إياها غلبة القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر ، فحثت ناقتي ، حتى إذا كنت بالغاية زجرت الطائر ، فأخبرني بوفاة ، ونعَبَ غراب سائح ، فنطق بمثل ذلك ، فتعوذت بالله من شر ما عن

(١) لأبي ذؤيب ترجمة في الأغاني (٦ - ٥٨) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥ - ١٧٩) وخزانة الأدب (١ - ٢٠٣) والشعراء لابن قتيبة  
(٢) كذا ، وفي الأغاني « خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد بن مخزوم » وهو تحريف وما هنا موافق لما في الخزانة ومطلع ديوانه

لى فى طريقى ، وقدمت المدينة المنورة ، ولها ضجيج بالبكاء ، كضجيج الحجيج  
إذا انطوى بالإحرام ، فقلت : مه ؟ قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، فجيئت إلى المسجد ، فوجدته خاليا ، فأتييت بيت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، فأصبت بابه مُرتجاً ، وقيل : هو مُسجى ، وقد خلا به أهله ، فقلت :  
أين الناس ؟ فقيل : فى سقيفة بنى ساعدة صاروا إلى الأنصار ، فجيئت إلى  
السقيفة ، فوجدت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وسالمًا وجماعة من  
قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة ، وفيهم شعراءهم : حسان  
ابن ثابت ، وكعب بن مالك ، وملاً منهم ، فأويت إلى قريش ، وتكلمت  
الأنصار ، فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب ، وتكلم أبو بكر ، فله دره  
من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخصام ، والله لقد تكلم بكلام  
لا يسمعه سامع إلا مال إليه وانتقاد له ، ثم تكلم عمر بعده بكلام دون كلامه ،  
ومتد يد ، فبايعه وبايعوه . ورجع أبو بكر ورجعت معه ، فشهدت الصلاة على  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشهدت مدفنه صلى الله عليه وسلم . ثم أنشأ  
أبو ذؤيب يبكى النبی صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> [ من الكامل ] :

لما رأيتُ الناس فى عسلاتهم      ما بين ملحدٍ له ومُضَرَّحٍ  
متنابذين لشرجع بأكفهم      نص الرقاب لفقد أبيض أروح  
فهنالك صرتُ إلى الهموم ومن بيت      جار الهموم يبيتُ غير مروح <sup>(٢)</sup>

(١) لا توجد هذه الأبيات فى ديوان أبى ذؤيب المطبوع فى ديوان  
الهدلبيين بدار الكتب المصرية ، وتوجد ما عدا ثانيها فى تاريخ دمشق باختلاف  
يسير فى ألفاظها

(٢) فى تاريخ دمشق « يبيت غير مروح » محرفاً

كسفت لمصرعه النجوم وبديرها وتضعضعت آطام بطن الأبطح<sup>(١)</sup>  
وتزعزعت أجبال يثرب كلها ونخيلها للول خطب مفدح<sup>(٢)</sup>  
ولقد زجرت الطير قبل وفاته بمصابه وزجرت سعد الأذبح  
وزجرت أن نع المشحج سانحاً متفائلاً فيه بقال أقبح<sup>(٣)</sup>  
ثم انصرف أبو ذؤيب رحمه الله تعالى إلى باديته ، فأقام بها .  
وقال محمد بن سلام : كان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غمزة فيه ولا وهق .  
وسئل حسان بن ثابت : من أشعر الناس ؟ قال : أحياً أم رجلاً . قالوا : حياً ،  
قال : أشعر الناس حياً هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . وقال  
محمد بن معاذ العمرى : فى التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زوراء ، وكان اسم  
الشاعر بالعبراية مؤلف زوراء ، فأخبرت بذلك بعض أصحاب البيرانية ،  
— وهو كثير بن إسحاق — فعجب منه ، وقال : قد بلغنى ذلك .  
وكان أبو ذؤيب يهوى امرأة ، يقال لها : أم عمرو ، وكان يرسل إليها خالد  
ابن زهير ، فيخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل ، يقال له : عويمر  
ابن مالك بن عويمر ، وكان رسوله إليها ، فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرماً  
فأرسلت تترضاه ، فلم يفعل ، وقال فيها<sup>(٤)</sup> [ من الطويل ] :  
تريدن كما تجمعين وخالداً وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد ؟  
أخالد ما راعيت من ذى قرابة فتحفظنى بالغيب أو بعض ماتبدي  
دعاك إليها مقلتها وجيدها . قلت كما مال الحب على عمد

(١) فى تاريخ دمشق « وتزعزعت آطام »

(٢) وفيه \* وتحركت آكام يثرب كلها \*

(٣) وفيه \* وزجرت إذ نع . . . \*

(٤) انظرها فى الديوان ( ١٥٩ ) والأغانى ( ٦ - ٦٢ )

وكنـت كـر قـراق السـراب إذا جـرى لـقـومٍ وقـد بات المـطى بـهـم تـخـدى<sup>(١)</sup>  
فـآليتُ لا أنـفـكُ أحـذو قـصيدـةً تـكون و إياها لها مثـلا بـغـدى<sup>(٢)</sup>  
وقال أبو زيد عمرو بن شيبـة : تـقدم أبو ذؤيب جـمـيع شـعراء هـذيل بـقـصيدته  
العينية ، يعنى قصيدته المثبتة قريباً .

وعن ابن عياش — بالياء التحتية والشين المعجمة — قال : لما مات  
جعفر الأكبر بن المنصور مشى فى جنازته من المدينة إلى مقابر قريش ، ومشى  
الناس أجمعون معه حتى دفنه ، ثم انصرف إلى قصره ، فأقبل على الربيع ، فقال :  
يا ربيع ، انظر من فى أهلى ينشدنى :

\* أمن المنون ورأيها يتوجع \*

حتى أنستنى عن مصيبتى ، قال الربيع : فخرجت إلى بنى هاشم ، وهم  
بأجمعهم حضور ، فسألهم عنها ، فلم يكن فيهم أحد يحفظها ، فرجعت فأخبرته ،  
فقال : والله لمصيبتى بأهل بيتى ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة لقلة رغبتهم  
فى الأدب أعظم وأشد على من مصيبتى بابنى ، ثم قال : انظر هل فى القواد  
والعوام من يعرفها ؟ فأنى أحب أن أسمعها من إنسان ينشدها ، فخرجت فاعترضت  
الناس ، فلم أجد أحدا ينشدها إلا شيخاً مؤدباً قد انصرف من تأديبه ، فسألته :  
هل يحفظ شيئاً من الشعر ، قال : نعم ، شعر أبى ذؤيب ، فقلت : أنشدنى ،

(١) فى الأصل (تحدى) وفى الأغاني (يحدى) كلاهما بالحاء مهملة ، وأثبتنا  
الصواب عن الديوان

(٢) فى الأصل « لا أنفك أحدو » وكذا فى الأغاني ، بالـدال مهملة ، وهى  
رواية ، ومعناها أغنى بها ، وأثبتنا أوثق الروايتين ، ومعنى « أحذو » بالـدال  
معجمة — أقول

فابتدأ بهذه القصيدة العينية ، فقلت : أنت بغيتي ، فأوصلته إلى المنصور ، فأنشده إياها ، فلما قال :

\* والدَّهْرُ ليسَ بمعتبٍ منَ يجزعُ \*

قال : صدق والله ، فأنشدني هذا البيت مائة مرة لتردد هذا المصراع على ، فأنشده ، ثم مر فيها فلما انتهى إلى قوله :

\* والدَّهْرُ لا يبقى على حدثائه إلح \*

قال : سلا أبو ذؤيب عند هذا القول ، ثم أمر الشيخ بالانصراف ، فاتبعته فقلت : أمر لك أمير المؤمنين بشيء ؟ قال : نعم ، وأراني صرة في يده فيها مائة درهم

وعن الزبير بن بكار قال : حدثني عمي قال : كان أبو ذؤيب الهذلي خرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي إلى إفريقية سنة ست وعشرين غازيا في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبعث معه نفرا منهم أبو ذؤيب ، ففي عبد الله يقول [ من المتقارب ] :

وصاحبِ صدقٍ كسيدِ الضَّرا ء ينهضُ في الغزوِ نهضا نجيجا <sup>(١)</sup>

في قصيدة له <sup>(٢)</sup> ، فلما قدموا إلى مصر مات أبو ذؤيب بها

وعن أبي عمرو عبد الله بن الحارث الهذلي من أهل المدينة المنورة قال : خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له <sup>(٣)</sup> أبو عبيد حتى قدموا على عمر

(١) في الأصل « كسيد القضا » وأثبت ما في الديوان . والضراء - بفتح الضاد - ما واراك من الشجر

(٢) انظرها في الديوان ( ١٢٩ - ١٣٦ )

(٣) في الأغاني « يقال له أبو عقيل » وسماه بعد ذلك في كل موضع جرى فيه اسمه من هذه القصة أبا عبيد ، وفي تاريخ دمشق كما هنا

ابن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : أى العمل أفضل يا أمير المؤمنين ؟ قال :  
 الايمان بالله ورسوله ، قال : قد فعلت فأيه أفضل بعده ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ،  
 قال : ذلك كان عملى ولا أرجو جنة ولا أخاف ناراً ، ثم خرج فغزا أرض الروم مع  
 المسلمين ، فلما قتلوا أخذهم الموت ، فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعاً ،  
 فنههما صاحب الساقة وقال : ليتخلف عليه أحدهما وليعلم أنه مقتول ، فكلأهما  
 أراد أن يتخلف عليه ، فقال لهما أبو ذؤيب : اقترعا ، فطارت القرعة لأبى عبيد  
 فتخلف عليه ومضى ابنه مع الناس ، فكان أبو عبيد يحدث قال : قال لى أبو  
 ذؤيب ، يا أبا عبيد ، احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعضد من الشجر بسيفك ، ثم  
 اجررنى إلى هذا النهر فانك لا تفرغ حتى أفرغ ، فاغسلنى وكفى بكفى ثم اجعلنى  
 فى حفرتى ، وانثلى على الجرف برمحك ، وألق على الغصون والحجارة ، ثم اتبع  
 الناس فان لهم رهجة تراها فى الأفق إذا أمسيت كأنها جهامة ، قال : فما أخطأ  
 مما قال شيئاً ، ولولا نعتة لم أهتد لأثر الجيش ، وقال وهو يجود بنفسه [من الرجز] :  
 أبا عبيد رُفِعَ الكتابُ واقترب الموعودُ والحسابُ (١)  
 وعند رجلٍ جملٌ نحابٌ أحمرٌ فى حارِكِهِ انصبابٌ  
 ثم مضيت حتى لحقت بالناس ، فكان يقال : إن أهل الاسلام أبعثوا  
 الأثر فى بلاد الروم ، فما كان وراء قبر أبى ذؤيب قبر يعلم لأحد من المسلمين ،  
 وهذا يخالف رواية الزبير بن بكار السابقة ، والله أعلم أى ذلك كان

\*\*\*

١١٠ — ولئن نطقْتُ بِشكْرِ بَرِّكَ مُفَضِّحاً      فلسانُ حالى بالشَّكَايَةِ أنطقُ

من شواهد  
الاستعارة  
بالكناية

البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله

(١) فى الأغاني « واقترب الموعود »

والشاهد فيه : ما في البيت قبله ، فانه شبه الحال بالإنسان متكلم في الدلالة على المقصود ، وهذا هو الاستعارة بالكناية ، فأثبت لها اللسان الذي به قوام الدلالة في الإنسان المتكلم ، وهذه الاستعارة التخيلية

وقريب من معناه قول ابن الخيمي [ من الكامل ] :

أبدًا أرحسُ إلى محيِّك الذي يُصبى البعيد إليه نورٌ مشرقٌ  
وأرومُ شكوى موجعات الحب لا استَحْظَاهَا لكن لعلك تشفقُ  
فأرى لسانى بالصباية أخرسًا ولسانُ حالى بالشكاية ينطقُ  
وأفوه بامتك والمسافة بيننا قصوى فيضحي الجو طيبًا يعبقُ

\*\*\*

١١١ - صحاح القلب عن سلمى وأقصر باطله وعزى أفراس الصبا ورواحله

من شواهد  
الاستعارة  
بالكناية

البيت لزهير بن أبى سلمى ، وهو أول قصيدة (١) من الطويل ، وبعده :

وأقصرت عما تعلمين وسددت على سبوى قصد السبيل معادله

إلى أن يقول فيها :

قلنا له أبصر وسدد طريقه وما هو فيه عن وصاتى شاغله (٢)  
وقلت تعلم أن فى الصيد غرّة وإن لاتضعه فانك قاتله (٣)  
فأتبع آثار الشياه وليدنا كشوبوب غيث يحفش الأكم وأبله (٤)

(١) انظرها في ديوان زهير ( ١٢٤ طبع دار الكتب المصرية )

(٢) في رواية الأعلام الشنمري « فقلت له » وفي الديوان « سدود أبصر طريقه »

(٣) في الديوان وشرح شواهد النحو « تعلم أن للصيد غرة » والغرة - بكسر الغين المعجمة - الغفلة ، ووقع في الأصل « عزه » محرفا عما أثبتناه

(٤) الشوبوب : الدفعة من المطر ، ويحفش : يسيل ويخرج ، يقال : حفش فلان لك الود ، إذا أخرج كل ما عنده ، والمراد يكثّر السيل حتى يحفش ما في الأكم



نظرت إليه نظرة فرأيته على كل حال مرة وهو حامله  
وهي طويلة .

يقال : أقصر عن الشيء ، بمعنى انتهى أو عجز عنه  
والشاهد فيه : ما في البيت قبله أيضاً ، فانه أراد أن يبين أنه ترك  
ما كان يرتكبه من المحبة زمن الجهل والغي ، وأعرض عن معاودته فبطلت آلاته ،  
فشبه في نفسه الصبا بجهة من جهات المسير كالبحر والتجارة قضى منها الوطر  
فأهملت آلاتها .

ووجه الشبه : الاشتغال التام به وركوب المهامه والمسالك الصعبة غير مبال  
بمهلكة ولا متحرز عن معركة .

وهذا التشبيه المضمّر في النفس استعارة بالكناية أثبت له بعض ما يختص  
بتلك الجهة - وهي الأفراس والرواحل التي بها قوام السير والسفر - فائتبات  
الأفراس والرواحل استعارة تخييلية ، والصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل  
إلى الجهل والفتوة ، ويحتمل أنه أراد بالأفراس والرواحل دواعي النفس  
وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء الذات ، أو أراد بها الأسباب التي قلما  
تتخذ في اتباع النى إلا أو أن الصبا وعنفوان الشباب فتكون استعارة الأفراس  
والرواحل تحقيقية لتحقق معناها عقلاً إذا أريد بها الدواعي وحسّاً إذا أريد بها  
اتباع أسباب النى

\*\*\*

## ١١٢ - \* والطاعنين بجامع الأضغان \*

هو من الكامل ، ولا أعرف (١) قائله ، صدره :

من شواهد  
الكناية

(١) نسبه في الموازنة ( ٢٨٢ بتحقيقنا ) إلى عمرو بن معديكرب  
الزبيدي ، ولم أجده في ديوان عمرو ولا في زياداته

\* الضارينَ بكل أبيض مخدّم \*

والمخدّم - بالذال المعجمة - السيف ، والأضغان : جمع ضغن ، وهو الحقد والشاهد فيه : القسم الأول من أقسام الكناية ، وهو : أن يكون المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، وتكون لمعنى واحد كما هنا ، وتكون لمجموع معان ، فقوله : « بمجامع الأضغان » معنى واحد كناية عن القلوب ونحوه قول البحترى [ من الطويل ] :

فأتبعها أخرى فأضللتُ نصلها بحيث يكون اللبُّ والرَّعبُ والحقدُ

\*\*\*

من شواهد  
الكناية

١١٣ - إن الساحةَ والمروءةَ والندى في قبةٍ ضربت على ابن الحشرج البيت لزياد الأعجم ، من أبيات (١) من الكامل ، قالها في عبد الله بن الحشرج ، وكان قد وفد عليه ، وهو أمير على نيسابور فأمر بانزاله وأطفئه وبعث إليه بما يحتاجه ، فغدا إليه فأنشده البيت ، وبعده :

ملك أغر متوجُّذو نائلٍ للمعتفينَ يمينه لم تشج  
ياخيرَ من صعد المناير بالتقى بعد النبي المصطفى المتحرِّج  
لما أتيتك راجياً لنوالكم ألفتُ باب نوالكم لم يرتج  
فأمر له بعشرة آلاف درهم  
والمروءة : كالرجولية .

والشاهد فيه : القسم الثالث من أقسام الكناية ، وهو أن يكون المطلوب بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، فهو هنا أراد أن يثبت اختصاص ممدوحه بهذه الصفات ، وترك التصريح باختصاصه بها إلى الكناية بأن جعلها في قبة ضربت

(١) انظرها في الأغاني ( ١٤ - ١٠٥ بولاق )

عليه ، تنبيهها على أن محلها ذوقية ، وهي تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء ، قال أبو تمام [ من الكامل ] :

لولا بنو جشمَ بن بكر فيكم      كانت خيامكم بغير قباب  
وإنما احتاج في هذا البيت إلى هذا الوجود ذوى قباب في الدنيا كثيرين ،  
فأفاد إثبات الصفات المذكورة له ، لأنه إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه  
فقد أثبت له

وفي معنى البيت قول زياد أيضاً في مرثية المغيرة بن المهلب [ من الكامل ] :

إن الساحة والمروءة ضُمَّتا      قبرا بمرء على الطريق الواضح  
وقريب منه قول ابن خلاد يمدح ابن العميد [ من الوافر ]  
لقد شهدت عقول الخلق طراً      وحسبك بالبصائر من شهود  
بأن محاسن الدنيا جميعاً      بأفنية الرئيس ابن العميد  
وقول الآخر يمدحه [ من الكامل ] :

والجحد يدعو أن يدوم بجندِه      عقد مساعي ابن العميد نظامه  
وابن الخشرج الممدوح : اسمه عبد الله ، وكان سيداً من سادات قيس ،  
وأميراً من أمرائها ، ولى كثيراً من أعمال خراسان ، ومن أعمال فارس وكرمان <sup>(١)</sup>  
وكان جواداً ممدوحاً ، وفيه يقول زياد أيضاً [ من الطويل ] :

إذا كنت مرتاد الساحة والندى      فسائل تُخبر عن ديار الأشاهب  
وكان عبد الله كثير العطاء ، أعطى بخراسان حتى أعطى فراشه ولحافه ، فقالت  
له امرأته : لشد ما تلاعب بك الشيطان وصرت من إخوانه مبذراً كما قال الله

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة ما نصه « قسوله  
وكرمان ، في نسخة همدان بدل كرمات » اهـ

تعالى (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) فقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة ابن دري النهدي وكان أخا له وصديقا : ألا تسمع ما تقول هذه النوكى وما تتكلم به ؟ فقال له رفاعة : صدقت والله وبررت وإنك لمبذر ، وإن المبذرين لا إخوان الشياطين ، فقال ابن الحشرج في ذلك [ من الطويل ] :

مكى يأتنا الغيث المغيث تبجدنا	مكارم ما تعي بأموالنا التلذذ
مكارم قد جدنا بها إذ تمنعت	رجال وضنت في الرخاء وفي الجهد <sup>(١)</sup>
أردنا بما جدنا به من تلادنا	خلاف الذى يأتى خيار بني نهد
تلوم على إتلاف المال خلأتى	ويسعدنا نهد بن زيد على الزهد
أنهد بن زيد لست منكم فتشققوا	على ولا منكم غوائى ولا رشدى
أتيت صغيرا ناشئا ما أردتم	وكهلا وحتى تبصرونى فى اللحد <sup>(٢)</sup>
سأبذل مالى ، إن مالى ذخيرة	لِعقبى وما أجنى به ثمر الخلد
ولست بمبكاه على الزاد باسل	يهز على الأزواد كالأسد الورذ
ولكننى سمح بما حزت باذل	لما كلفت كفاى فى الزمن المتخذ
بذلك أوصانى الرقاد وقبله	أبوه بأن أعطى وأوفى بالعهد

والرقاد : كان أحد عمومته ، وكان سيدا جوادا .

(١) فى الأصل « مكارم ماجدنا بها » وظاهر أنه محرف عما أثبتناه  
(٢) كفا ، ولعله

\* أتيت صغيرا ناشئا ما كرهتم \*



# مكتبة الدكتور وزير التربية الوطنية

12

شواهد الفن الثالث ، وهو علم البديع

شاهد طباق  
التدبيح

١١٤ — تردى ثياب الموت خجراً فما أتى لها الليل إلا وهى من سندس خضر

البيت لأبى تمام الطائى ، من قصيدة من الطويل <sup>(١)</sup> ، يرثى بها أبا نهشل  
محمد بن حميد حين استشهد ، وأولها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر      وليس لعين لم يفض ماؤها عذر <sup>(٢)</sup>  
توفيت الآمال بعد محمد      فأصبح فى شغل عن السفر السفر <sup>(٣)</sup>  
وما كان إلا مال من قل ماله      وذخراً لمن أمسى وليس له ذخّر  
وما كان يدري من بلا يسر كفو      إذا ما استهلّت أنه خلق العسر <sup>(٤)</sup>

يقول فيها :

غدا غدوة والحمد نسج ردائه      فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر  
وبمده البيت ، وبعده :

كان بنى نهيل يوم وفاته      نجوم سماء خر من بينها البدر  
يعزّون عن ثاو تعزّى به العلا      ويبكى عليه البأس والجود والنصر <sup>(٥)</sup>  
وأنى لهم صبر عليه وقد مضى      إلى الموت حتى استشهد أهو والصبر  
ومعنى البيت أنه ارتدى الثياب الملطخة بالدم ، فلم ينقض يوم قتله ، ولم

(١) اقرأها فى الديوان ( ٣٦٨ ) وهى فى رثاء بنى حميد الطوسى محمد  
وقحطبة وأبى نصر

(٢) فى الديوان « فليس لعين »

(٣) فى الديوان « وأصبح فى شغل »

(٤) فى الديوان

\* وما كان يدري مجتد جود كفه \*

(٥) فى الديوان « والشعر » مكان « والنصر »

يَدْخُلُ فِي لَيْلَتِهِ إِلَّا وَقَدْ صَارَتْ الثِّيَابُ خَضِرًا مِنْ سُنْدُسٍ أَجْنَّةٍ .  
أقول : ولو قال أبو تمام :

تَرَدَّى ثِيَابُ الْمَوْتِ خَضِرًا فَمَا اخْتَفَى عَنْ الْعَيْنِ إِلَّا وَهِيَ مَنْ سُنْدُسٍ خَضِرُ  
لَكَانَ أَبْلَغَ فِي الْقَصْدِ وَأَبْدَعَ ، فَانْه جَعَلَ غَايَةَ تَبْدِيلِهَا بِالسُّنْدُسِ دَخُولَهُ فِي  
الْجَلْبِ ، وَهَذَا لَيْسَ بِمَعْلُومٍ ، فَانِ الْمَيِّتَ إِذَا غُيِبَ بِالْخَضِرِ عَنْ الْأَعْيُنِ تَبَدَّلَتْ  
أَحْوَالُهُ إِلَى خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، وَالْعَيْنُ بِاللَّهِ تَعَالَى . وَيُشْهَدُ أَنَّ ذَلِكَ مَا وَرَدَ أَنَّ الْمَيِّتَ  
يَتَجَرَّدُ سِتْرُهُ عَنِ الْأَعْيُنِ بِاتِّبَاعِهِ مُلْكُكَ السُّؤَالِ .  
وَفِي مَعْنَى بَيْتِ أَبِي تَمَامٍ قَوْلُ الْقَاضِي الْفَاضِلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ،  
[ مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ ] :

لَمْ يَفِ لِقَتْسُولٍ إِلَّا حَقْلُهُ عَيُونُ الْبَيْضِ شَرَزَا  
مَتَضَرِّجًا بَدَنَهُ رَأْسُهُ الْخَوَوِيُّ الْجَنَاتِ عَطَرَا  
مَتَكْفَنٌ بِمَلَابِسٍ خَضِرَا وَهِيَ تَعُودُ خَضِرَا  
يُرْوَى أَنَّهُ مَا وَرَدَ فِي هَذَا الْمَرْثِيِّ غَمْسُ أَبُو تَمَامٍ طَرَفَ رِدَائِهِ فِي مَدَادٍ ،  
ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ كَفَّيْهِ وَصَدْرَهُ ، وَأَنْشَدَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ .  
وَالِى ذَلِكَ أَشَارَ ابْنُ زَنْجِي الْكَاتِبُ الْمَغْرِبِيُّ فِي قَوْلِهِ يَرْثِي الشَّيْخَ أَبَا عَلِيٍّ  
ابْنَ خَلْدُونَ [ مِنْ الْكَامِلِ ] :

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ أَجَى بِفَعْلَةٍ تَنْصِي عَلَى يَهَا سَيْفٍ مُلَامٍ  
وَأَكُونُ مَتَبَعًا لِأَشْنَعِ سَنَةٍ قَدْ سَمِنَا فَبَلَى أَبُو تَمَامٍ  
لَتَبَسْتُ لِبَسِ الثَّالِثَاتِ وَكُنْتُ فِي شَفْوَةِ الْوُجُوهِ كَأَنِّي مِنْ حَامٍ  
وَالشَّاهِدُ فِي الْبَيْتِ : الطَّبَاقُ الْمُسَمَّى بِالتَّدْبِيحِ ، وَهُوَ : أَنْ يَذْكُرَ الشَّاعِرُ  
أَوْ النَّاثِرُ فِي مَعْنَى مِنَ الْمَدْحِ أَوْ غَيْرِهِ أَلْوَانًا لِقَصْدِ السَّكْنَانَةِ أَوْ التَّوَرِيَةِ ، وَيُسَمَّى



تدبيج الكناية أيضاً ، فانه هنا ذكر لون الحجرة والخضرة ، والمراد من الأول الكناية عن القتل ، ومن الثاني الكناية عن دخول الجنة .

ومن طباق التدبيج قول عمرو بن كلثوم [ من الوافر ] :

بأننا نوردُ الراياتَ بيضاً ونُصدرُهنَّ حمراً قد روينَا

ولو اتفق له أن يقول :

من الأسل الظماء يردنَ بيضاً ونُصدرهنَّ حمراً قد روينَا

لكان أبداع بيت للعرب في الطباق ، لأنه يكون قد طابق بين الابراد والاصدار ، والبياض والحمر ، والظما والرى ، وقد تم لأبي الشيص ، فقال [ من الطويل ] :

فأوردَها بيضاً ظمَاءَ صدورُها وأصدرَها بالرى ألوانُها حمراً

فصار أخذها مغفورا بكمال معناه ، وما أحسن قول ابن حيوس [ من الكامل ] :

وتملكِ العلياء بالسعي الذي أغناكَ عن متعالم الأنسابِ

ببياض عِرْضٍ واحمرارِ صوارمٍ وسوادِ نَقَعٍ واخضرارِ رحابِ

وافخر بعمِّ عمِّ جودٍ نوالهِ وأبٍ لأفعالِ الدنيةِ آبي

وقوله أيضاً [ من الخفيف ] :

إن تردَّ عِلْمُ حالهم عن يقينٍ فآلَقَهُمْ في مكارمٍ أو نزالِ

تلقَ بيضَ الأعراضِ سمرَ مثارِ النقعِ خضرَ الأكنافِ حمراً النصالِ

وقد أخذه ابن النبيه فقصر عنه في قوله [ من السريع ] :

لهم بنانٌ طافحٌ بالندى فهنَّ إما ديمٌ أو بحارٌ

بيضُ الأيادي خضرُ روضِ الرثبا حُرُّ المواضي في العجاجِ المثارِ

وقول بعضهم [ من الكامل ] :

الفصنُ فوقَ الماءِ تحتَ شقائقِ مثلُ الأسنَةِ خُضِبَتْ بدماءِ  
كالصَّعْدَةِ السَّمرَاءِ تحتَ الرَايَةِ إلَ حمراءِ فوقَ اللَّامَةِ الخُضراءِ  
وقريب من لفظه قول الصلاح الصفدى رحمه الله تعالى [ من الكامل ] :  
مأْبُصِرَتْ عَيْنَاكَ أَحْسَنَ مَنْظَرًا فيما يُرَى من سائرِ الأشياءِ  
كالشَّامَةِ الخُضراءِ فوقَ الوجنَةِ إلَ حمراءِ تحتَ المقلَةِ السوداءِ  
ولابن النبيه [ من المتقارب ] :

دَعِ النُّوحَ خَلْفَ حُدُوجِ الرِّكَّائِبِ وَسلَّ فؤادَكَ عن كلِّ ذاهِبٍ  
ببيضِ السَّوالِفِ حمرِ المِراشِفِ صفراءِ التَّرائِبِ سوداءِ الذَّوائِبِ  
فما العيشُ إلَّا إذا ما نظمتْ شغَرُ الحِجَابِ ثَنَايا الحِجَابِ  
ولابن الساعاتى [ من الكامل ] :

من معشرٍ ويَجَلُّ قَدْرُ علائِهِ عن أنْ يقالَ لَمثلِهِ من مَشرٍ  
ببيضِ الوجوهِ كأنْ زُرُقَ رَمَاحِهِم سرَّ يَجَلُّ سوادِ قلبِ العسكرِ  
ولابن دبوقة العمداء من أبيات [ من المتقارب ] :

أَرَى العَقْدَ فى ثَغْرِه مُحْكَمًا يَرِينَا الصَّحَّاحَ مِنَ الجَوْهرِ  
وتَكَمَّلَةُ الحَسَنِ إِيضَاحُهَا رَوِينَاهُ عَن وَجْهِكَ الأَزْهَرِ  
ومُنْثَوْرُ دَمْعِي غَدَا أَحْمَرًا عَلى آسِ عَارِضِكَ الأَخْضَرِ  
وبَعْتُ رَشَادِي بَغْيَ الهَوَى لِأَجْلِكَ يَا طَلْعَةَ المِشْتَرَى  
ولابى الحسن محمد بن القنوع من أبيات [ من الطويل ] :

ويَخْتَرُمُ الأرواحَ والموتُ أَحْمَرُ بِأَبْيَضٍ يَتَلَوُّهُ لَدَى الطَّغْنِ أَرْزَقُ  
وما أحسن ما قال بدمه :

ويُجْرِي عَتَاقَ الخَليلِ قُبَا شَوَازِبًا تَبَارَى هُبُوبَ الرِّيحِ بَلْ هِيَ أَسْبَقُ

إذا حفر منبأ الجوافر في الصفا محاريب ظلت بالتجميع تفلن  
ولابي الفرج البيضاء في قريب من معنله [من الكامل] :  
وكأنا نقشيت جوافر خيلنا للناظرين أهلة في الجلد  
وما أحسن قوله بعده :

وكان طريف الشمس مطروقة وقد جعل الفيل له مكان الإمد  
ولابي سعيد الرستمى [من الطويل] :

من النفر العاليين في السلم والوعى وأهل المعالي والبيالى والله  
إذا نزلوا أخضر الثرى من نزولها وإن نزلوا حجر القنا من نزولها  
ولابن جابر الأندلسى [من الخفيف] :

تشتكى الصفر من يديه وترضى البسم من راحته عند الحروب  
أحمر السيف أخضر السيف حيث الأرض غبراء من سواد الخطوب

ولأبي القاسم عبد الصمد بن علي الطبرى من قصيدة [من البسيط] :  
حمرىدى بالكأس فلروض نخضر الربا قيل اصفرار البنان  
ولأبي بكر الخالدى [من الكامل] :

ومدامة صفراء في قارورة زرقاء تحملها يد بيضاء  
فالراح شمس الحباب كواكب والكف قطب والاناء سماء

ولنجم الدين البارزى في وصف قلم [من الكامل] :

ومتقف للخط يحكى فعل سمير الخط إلا أن هذا أصغر

في رأسه المسود إن أجروه في المبيض للأعداء موت أحمر

ومن المضحك فيه قول ابن لنكك البصرى يهجو أيارياش ، وكان هما

شريها على الطعلم [من الوافر] :

يَطِينُ إِلَى الطَّعَامِ أَبُو رِيَّاشٍ مِبَادِرَةً وَلَوْ وَلَدَاهُ قَبْرُ  
أَصَابِعُهُ مِنَ الْخُلُوءِ صُفْرٌ وَلَكِنْ الْأَخَادِعَ مِنْهُ تُحَرُّ

وكان أبو رياش هذا باقعة في حفظ أليم العرب وأنسابها وأشعارها غاية بل  
آية في هذّ دواوينها وسرد أخبارها، مع فصاحة وبيان، وإعراب وإتقان، ولكنه  
كان عديم المروءة، وسخ اللبسة، كثير التقشف، قليل التنظيف، وفيه يقول  
أبو عثمان الخالدي [من الرجز]:

كَأَنَّمَا قُلْتُ أَبِي رِيَّاشٍ مَا بَيْنَ صَيِّبَيْنِ قَفَاءُ الْفَاشِي  
وَذَا وَذَا قَدْ لَجَّ فِي انْتِفَاشٍ شَهِدَانِجٍ يُفَرِّقُ خَشْفَاشٍ

وفيه يقول ابن لنكك وقد ولي عملا بالبصرة [من الكامل]:

قُلْ لِلْوَضِيعِ أَبِي رِيَّاشٍ لَا تُبَلِّغْ بِهِ كُلَّ تَيْمِهَكَ بِالْوَلَايَةِ وَالْعَمَلِ  
مَا أَزْدَدْتَ حَبْنًا وَلَيْتَ إِلَّا خِصَّةً كَالْكَلْبِ أَتَجَسَّ مَا يَكُونُ إِذَا اغْتَسَلَ  
وله فيه أيضاً [من الكامل]:

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا رِيَّاشٍ قَدْ حَوَى عِلْمَ اللُّغَاتِ وَفَاقَ فِيهَا يَدَّيْ  
مَنْ تُخْبِرُ عَنْهُ فَاقِي سَائِلٌ مَنْ كَانَ حَنَكُهُ بِأَيْرِ الْأَصْمَعِي

وله فيه أوفى غيره من الأدباء [من الكامل]:

يَا مَنْ تَطَيَّبَ وَهُوَ مِنْ خَرْقِ اسْتِهِ قَلَقٌ يَكَايِدُ كُلَّ دَاءٍ مُعْضِلٍ  
فُشِّلَ الصِّيَالُ وَمَا عَهْدُنَا دِهْرَهُ مَذْكَانُ يَفْشِلُ عَنْ صِيَالِ الْقَيْشِلِ  
وَأَرَاهُ فِي الْكُتُبِ الْجَلِيلَةِ زَاهِدًا لَا يَسْتَجِيدُ سِوَى كِتَابِ الْمُدْخَلِ  
قَبْلَتُهُ وَلَمْتُ فَاهُ مُسَلِّمًا لَمْ الصَّدِيقِ فَمِ الصَّدِيقِ الْجَمَلِ (١)

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق بهامش النسخة « في نسخة : الصديق

فَدَنَا إِلَى عَلَى الْمَسْكَنِ وَقَالَ لِي أَفْدِيكَ مِنْ مَتَشَقِّ مُتَغَزِّلٍ  
إِنْ كُنْتَ تَلْتَمِنِي بُوْدٍ فَاشْفِنِي بِلِسَانِ بَطْنِكَ فِي فَمِي مِنْ أَسْفَلِي  
وَقَدْ زَاغَ الْقَلَمُ وَطَاشَ ، بِحَيْرَةِ أَبِي رِيَاشَ ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَلِكَ .

\* \* \*

شاهد إيهام  
التضاد

١١٥ — لَا تَعْجِبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

البيت. لدعبل من قصيدة (١) من الكامل أولها :

أَيْنَ الشَّابُّ وَأَيَّةَ سَلَكَا      لَا، أَيْنَ يَطْلُبُ مُضَلٌّ، بَلْ هَلَكَا  
وبعده البيت ، وبعده :

يَا سَلَمُ مَا بِالشَّيْبِ مَنْقَصَةٌ      لَا سَوْقَةً يُبْقَى وَلَا مَلِكَا  
قَصَرَ الْغَوَايَةَ عَنْ هَوَى قَرِي      أَجِدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ مُشْتَرِكَا  
يَا لَيْتَ شَعْرَى كَيْفَ نَوْمَكَا      يَا صَاحِبِي إِذَا دُمِي سَفِكَا  
لَا تَأْخُذَا بِظُلَامَتِي أَحَدًا      قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دُمِي اشْتَرَكَا

حدث أبو هفان قال : قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ [ مِنْ السَّرِيعِ ] :

مُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ      وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ الْمَشِيبُ

فسرقه دعبل فقال ، وَأَنْشَأَ الْبَيْتَ ، فَجَاءَ بِهِ أَجُودُ مِنْ قَوْلِ مُسْلِمٍ ، فَصَارَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ .

وحدث أبو المثني قال : كُنَّا فِي مَجْلِسِ الْأَصْمَعِيِّ فَأَنْشَدَهُ رَجُلٌ لِدَعْبَلِ « لَا  
تَعْجِبِي يَا سَلَمُ ... الْبَيْتَ » فَاسْتَحْسَنَاهُ ، فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِنَّمَا سَرَقَهُ مِنْ قَوْلِ الْحُسَيْنِ

(١) اقرأ أكثر هذه الأبيات في الأغاني (١٨ - ٣٢ وما بعدها)

ابن مطير الأسدي [من الخفيف] :

أَيْنَ أَهْلُ الْقِبَابِ بِالْذَهْنَاءِ    أَيْنَ حَيْرَانُنَا عَلَى الْأَحْسَاءِ  
فَارْقُونَا وَالْأَرْضُ مُلْبَسَةٌ نَوًى    رَ الْإِقْلَاحِ تُجَادُ بِالْأَثْوَاءِ  
كُلَّ يَوْمٍ بِأَقْحُوَانٍ جَدِيدٍ    تَضَحَّكُ الْأَرْضُ مِنْ بَكَاءِ السَّمَاءِ  
وروى عن أبي العباس المبرد أنه قال : أخذ ابن مطير قوله «تضحك الأرض من بكاء السماء» من قول دكين الراجز [من الرجز] :

جُنَّ النَّبَاتُ فِي ذُرَاهَا وَرَكَ    وَضَحَّكَ الْمِزْنُ بِهِ حَتَّى بَكَى  
وقال أبو هفان : أنشدت يوماً بعض البصريين الحقاء قول دعبيل «ضحك المشيب برأسه فبكى» فجاءني بعد أيام فقال : قد قلت أحسن من البيت الذي قاله دعبيل ، فقلت : يا هذا وأى شيء قلت ؟ فتمنع ساعة ثم قال [من الرجز] :  
\* قَهَقَهُ فِي رَأْسِهِ الْقَتِيرُ \*

وقد تداول الشعراء معنى بيت دعبيل ، فنه قول الرازي القرطبي [من مجزوء الكامل] :

ضَحَّكَ الْمَشِيبُ يَرَأْسِهِ    فَبَكَى بِأَعْيُنِ كَأْسِهِ  
رَجُلٌ تَخَوَّنَهُ الزَّمَا    نُ بِيُوسِهِ وَبِيَأْسِهِ  
فَجَرَى عَلَى غُلُوءَاتِهِ    طَلَقَ الْجُوحُ بِفَأْسِهِ  
أَخْبَلًا بِأَوْفَرِ حَظِّهِ    لِرَجَائِهِ مِنْ يَأْسِهِ

ومنه أيضاً قول ابن نباتة المصري رحمه الله تعالى [من السريع] :

تَبَسَّمُ الشَّيْبُ بِذَقْنِ الْفَتَى    يَوْجِبُ سَحَّ الدَّمْعِ مِنْ جَفْنِهِ  
حَسْبُ الْفَتَى بَعْدَ الصَّبَا ذَلَّةً    أَنْ يَضْحَكَ الشَّيْبُ عَلَى ذَقْنِهِ

ولؤلفه رحمه الله تعالى أيضاً في هذا المعنى [من مجزوء الرمل] :

ضحك الشيب برأسي فبكت عيني الشباب  
 أيات في البكاء ومن البكاء على الشباب ، وهو أبكى بيت قيل في فقده ، ويتنسب لأبي  
 على الشباب  
 الفصن الأسدي [من الوافر] :

أتأمل رجمة الدنيا سقاها وقد سار الشباب إلى الذهاب  
 فليت لنا كيات بكل أرض يجمع لنا فيحن على الشباب  
 وما أحسن قول أبي الغلاء المعري فيه أيضاً [من البسيط] :  
 وقد تعوضت عن كل بمشبهه فما وجدت لأني الصبا عوضاً  
 وقول الآخر [من الكامل] :  
 شيآن لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى تؤذنا بذهاب  
 لم تبأ المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الأحباب  
 ولأبي بكر بن مجير [من الكامل] :

رحل الشباب وما سمعت بعبرة تجري لمثل فراق ذلك الرحل  
 قد كنت أرهى بالشباب ولم أخل أن الشبية كالخضاب الناصل  
 ظل صفائي ثم زال بسرعة يا ويح مغتر بطل زائل  
 ولأبي حماد بن محمد بن قريش من معناه [من الطويل] :

ولم أر كاللديا خوتنا لصاحب ولا كمصابي بالشباب مصابا  
 فقدت الصبا فابيضت مسودتي كأن الصبا للشيب كان خضابا

ولأبي الفتح البستي فيه [من الخفيف] :

دع دموعي تسيل سَيْلاً بداراً وضلوعي يصلين بالوجد ناراً  
 قد أعاد الأمل نهاري ليلاً منذ أعاد المشيب ليلى نهاري  
 ولعلي بن محمد الكوفي في البكاء من المشيب والبكاء عليه [من الوافر] :

بكى للشيب ثم بكى عليه فكان أعز من فقد الشباب  
فقل للشيب لا تبرح حميداً إذا نادى شيباني بالذهاب

ومثله قول مسلم بن الوليد [من البسيط]:

الشيب كرهه وكرهه أن يفارقي فاعجب لشيء على البغضاء مؤذود  
بعضى الشباب وقد يأتى له خلف والشيب يذهب مفقوداً بمفقود

وقد أعاد مسلم بن الوليد هذا المعنى فقال [من البسيط]:

لا يرحل الشيب عن دار أقام بها حتى يرحل عنها صاحب الدار  
و يقال: إن مسلماً أخذ هذا المعنى من قول بعض الأعراب [من الرجز]:

أستغفر الله وأستغليه ما أنا من شيبه يهوله

\* أعظم من حوله رحيله \*

ومثل قول مسلم قول البحتري [من الوافر]:

يعجب الغافيات على شيبى ومن لى أن أمتع بالشيب  
ووجدى بالشباب وإن تقضى حميداً ذون وجدى بالشيب

وفى أحسن قول كشاجم الكتاب [من الطويل]:

تفكرت فى شيب الفتى وشبابه فأيقنت أن الحق للشيب واجب  
يفضأ جنى شرخ الشباب فينقضى وشيبى إلى حين الممات مصاحب

ويديم قول الغزى [من الكامل]:

ذهب الشباب ذهاب سهم مارق لا يستطاع مع التأسف رده  
وأتى المشيب بقضه وقضيضه وأشد من وجدان ذلك فقده  
أنافى السرى والسرى كالطفل الذى يجد السكون إذا تحرك مهده  
من يقتدخ زنداً بكف مالها زند فكيف تراه يقدح زنده



وبديع أيضاً قول حسن بن النقيب رحمه الله تعالى [ من الكامل ] :  
 لا تأسفن على الشباب وفقده ففلى المشيب وفقده يتأسف  
 هاذك يخلفه سواء إذا انقضى ومضى، وهذا إن مضى لا يخلف  
 وقوله أيضاً [ من المنسرح ] :

عجبت للشيب كنت أكرهه فاصبح القلب وهو عاشقه<sup>(١)</sup>  
 وكنت لا أشتبهى أراه وقد أصبحت لا أشتبهى أفارقة  
 وما أحسن قول الصفي الحلي [ من الخفيف ] :

لو تيقنت أن شين بياض الشيب يبق لما كرهت البياضا  
 غير أنى علمت من ذلك الزاير ما يقتضى وما يتقاضى  
 ولأبى الفتح البستي رحمه الله تعالى فيه [ من الكامل ] :

يا شيبتي دومي ولا تترحلى وتيقني أنى يوصلك مواع  
 قد كنت أجزع من حلولك مرة والآن من خوف ارتحالك أجزع  
 ولأبى الهمين الكندي فيه أيضاً [ من الطويل ] :

عفا الله عما جرّه اللهو والصبا وما مرّ من قال الشباب وقيله  
 زمان صجباء بأرغد عيشة إلى أن مضى مستكرهاً لسيله  
 وأعقبنا من بعده غير مُشْتَهَى مشياً نقي عن الكرى بحلوه  
 لئن عظمت أحزاننا بقُدومه فأعظم منها خوفنا من رحيله  
 وقد خالف ابن الرومي حيث يقول [ من المنسرح ] :

(١) في الأصول كلها

\* عجبت للشيب كيف أكرهه \*  
 كبر الظن أنه محرف عما أثبتناه

من كان يبكي الشباب من أسفٍ      فلست أبكى عليه من أسفٍ  
كيف وشرحُ الشباب عرَضِي      يومُ حسابي لموقفِ التلَفِ  
لا صوحبتُ شرَّةَ الشباب ولا      عِدمتُ ما في المنيبِ من خَلَفِ  
ومثله قول بعضهم [من الخفيف] :

لم أقلُ للشباب في دعةِ الله      ولا حفظِهِ غداةَ استَقْلَا  
زائرُ زارنا أقامَ قليلاً      سوّدَ الصُّحفَ بالذنوبِ وولى  
ومن الجيد أيضاً قول العلوى [من الوافر] :

لعمركَ للمنيبِ علىَّ مما      قدّمتُ من الشباب أجَلَ فوتَا  
تمكّيتُ الشباب فصارَ شيباً      ومكّيتُ المنيبَ فصارَ موتَا  
وما أحسن أيضاً قول الآخر [من البسيط] :

والمرءُ إن حلَّ شيبٌ في مفارقة      فما يفارقه أو يرحلنِ معا  
وما أحسن قول المعري في مدح الشيب [من الخفيف] :

خبرني ماذا كرهت من الشيب فلا علم لي بذنب المنيب  
أضيء النهار أم وضح اللؤلؤ      ثم أم كونه كغفر الحبيب  
أخبرني فضل الشباب وماذا      فيه من منظر يسرّ وطيب  
غذره بالخليل أم حبه للنفى      أم كونه كعيش الأديب  
وبالجملة فما أحسن قول الحافظ بن سهل بن غانم الأصفهاني وأصدق [من مخرج  
البسيط] :

من شاب قد مات وهو حيٌّ      يمشي على الأرض مثنى هالكٍ  
لو كان عمرُ الفتى حساباً      لكان في شيبه فذلك

والشاهد في البيت : الجمع بين معنيين غير متقابلين عبرتهما بلفظين يتقابل  
معنيهما الحقيقيان ، فانه هنا لا تقابل بين البكاء وظهور الشيب ، لكنه عبر

عن ظهوره بالضعف الذي يكون معناه الحقيقي مضاداً للمعنى البكاء، ويسمى إيهام التضاد، لأن المعنيين المذكورين وإن لم يكونا متقابلين حتى يكون التضاد حقيقياً، لكنهما قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد، نظراً إلى الظاهر والمحل على الحقيقة.

ومن الشواهد على إيهام التضاد قول أبي تمام الطائي [من الكامل] :  
وَتَنْظَرِي خَبَبَ الرِّكَابِ يَنْصُهَا مُحْبِي الْقَرِيضِ إِلَى مِمْتِ الْمَالِ  
فليس بين محي ومميت هنا تضاد بالمعنى، إلا بما يتوهم من اللفظ، لأن محي القريض هنا كناية عن مجيده، ويعنى به نفسه، ومميت المال كناية عن مفنيه في الكرم، وليس بينهما تضاد.

ومنه قول الشاعر [من الكامل] :

يَبْدَى وَشَاحاً أَيْضاً مِنْ سَيْفِهِ وَالْجَوْ قَدْ لَبَسَ الرِّدَاءَ الْأَغْبَرَ  
فإن الأبيض ليس بضد الأغر، وإنما يوهم بلفظه أنه ضده.

ودعبل<sup>(١)</sup> : هو ابن علي بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي، ويكنى أبا علي. وهو شاعر مطبوع متقدم هجاء خبيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء، ولا من وزرائهم، ولا من أولادهم، ولا ذو نباهة : أحسن إليه، أو لم يحسن، ولا أفلت منه كبير أحد.

ترجمة دعبل  
الخزاعي

وحدث أبو هفان قال : قال لي دعبل : قال لي أبو زيد الأنصاري : رعم اشتق دعبل ؟ قلت : لا أدري، قال : الدعبل الناقة التي معها أولادها.  
وحدث محمد بن أيوب، قال : دعبل اسمه محمد، وكنيته أبو جعفر، ودعبل لقب لقب به.

(١) تجد ترجمة دعبل في الأغاني (١٨ : ٢٠ - ٦٠)

وعن أبي عمرو الشيباني قال : الدعبل البعير المنين .

وحدث دعبل قال : كنت جالسا مع بعض أصحابنا ذات يوم ، فجلسنا  
فمت سأل رجل لم يعرفني أصحابا عني ، فقالوا : هذا دعبل ، قال : قولوا في  
جليسكم خيرا ، كأنه ظن اللقب شتما  
وقال دعبل : صُرع مجنون مرّة ، فصحت في أذنه : « دعبل » ثلاث  
مرات ، فأفاق .

وكان سبب خروجه من الكوفة أنه كان يتشطر ، ويصحب الشطار ،  
فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة ، فجلسا على طريق رجل  
من الصيارفة ، كان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله ، فلما طلع مقبلا عليهما وثبا  
عليه وجرحاه وأخذ ما في كيسه ، فاذا هي ثلاث رمانات في خرقه ولم يكن كيسه  
معه ليلتئذ ، ومات الرجل في مكانه ، واسترد دعبل وصاحبه ، وجد أولياء  
الرجل في طلبهما ، وجد السلطان أيضا في ذلك ، فطال على دعبل الاستتار ،  
فاضطر إلى أن يهرب من الكوفة ، فما دخلها حتى كتب إليه أهله أنه لم يبق  
من أولياء الرجل أحد .

وحدث أحمد بن أبي كامل قال : كان دعبل يخرج فيغيث سنين يمدور  
الدنيا كلها ويرجع ، وقد أفاد وأثرى ، وكانت الشراة<sup>(١)</sup> والصعاليك يلقونه  
فلا يؤذونه ، ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه ، وكان إذا لقيهم وضع طعامه  
وشرا به ودعاهم إليه ، ودعا بغلاميه نفنف وشنف<sup>(٢)</sup> . وكانا مغنيين — فأقعدهما  
يفنيان ، وسقامهم وشرب معهم ، وأنشدتهم ، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة

(١) في الأصل « السراة » بالسين مهملة محرفا عما أثبتناه موافقا لما

في الأغاني والشراة في الأصل جمع شارب ، ثم أطلق على قومهم الخوارج

(٢) في الأغاني « ودعا بغلاميه نفنف وشنف »

أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويصلونه . قال : وأنشدني دعبل لنفسه في  
بعد أسفاره [ من الطويل ] :

حَلَلْتُ مُحَلًّا يَقْصُرُ الْبَرْقُ دُونَهُ      وَيَعْجِزُ عَنْهُ الطِّيفُ أَنْ يَتَجَسَّمَا

وحدث محمد بن عمر الجرجاني قال: دخل دعبل الرى في أيام الربيع ، فجاءهم  
ثلج لم ير مثله في الشتاء ، فجاء شاعر من شعرائهم ، فقال شعراً ، وكتبه في رقعة  
وهو [ من الخفيف ]

جاءنا دِعْبِلٌ بثَلَجٍ من الشَّعْشَعِ فجاءت سَمَاوُنَا بالثلوج  
نزل الرى بعد ما سكن البر      دُوقْدُ أَيْنَعْتَ رِياضُ المروج  
فكسانا ببرده لا كساه الله ثوباً      من كرسفٍ محالوج  
وَأَلْقَى الرِّقْعَةَ فِي دَهْلِيزِ دَعْبِلٍ ، فَلَمَّا قَرَأَهَا ارْتَحَلَ عَنِ الرِّى .

وحدث أحمد بن خالد ، قال : كنا يوماً عند دار رجل ، يقال له صالح  
[ ابن على ]<sup>(١)</sup> ابن عبد القيس ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كنيسة  
في سطحها ديك طار من بيت دعبل ، فلما رأيناه قلنا هذا صيد ، فأخذناه ، فقال  
صالح : ما نصنع به ؟ قلنا : ندبحه ، فدبحناه وشويناه يومنا ، وخرج دعبل فسأل عن  
الديك ، فعرف أنه سقط في دار صالح ، فطلبه منا فجحدناه ، وشربنا يومنا ،  
فلما كان من الغد خرج دعبل ، فصلى الغداة ، ثم جلس على باب المسجد ،  
وكان ذلك المسجد مجمع الناس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، ونهباء الناس ،  
فجلس دعبل على باب المسجد ، وقال [ من الكامل ] :

أَسْرَ الْمُؤَذِّنَ صَالِحٌ وَضِيؤُهُ      أَسْرَ الْكَمَى هَذَا خِلَالِ الْمَاقِطِ

(١) زيادة عن الأغاني ( ١٨ - ٣٣ ) وقال في رواية أخرى لهذا الخبر :  
وهو صالح بن بشر بن صالح بن الجارود العبدي

بَعَثُوا عَلَيْهِ بَنَاتِهِمْ وَبَنِيهِمْ مَا بَيْنَ نَاتِقَةٍ وَآخِرِ سَامِطٍ  
يَتَنَازَعُونَ كَأَنَّهُمْ قَدْ أَوْثَقُوا خَافَانَ أَوْ هَزَمُوا كِتَابَ نَاعِطٍ  
نَهَشُوهُ فَانْتَزَعَتْ لَهُ أَسْنَانَهُمْ وَتَهَشَّمَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْحَائِطِ

قال : فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لى أبى ، وقد رجع إلى البيت :  
ويحكم ! ضاقت عليكم المأكل كل ، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل  
ثم أنشدنا الشعر ، وقال لى : لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليها إلا اشترت  
ذلك لدعبل وبعثت به إليه ، وإلا أوقعتنا فى لسانه ، ففعلت ذلك .  
قال : وناعط : قبيلة من همدان ، وأصله جبل نزلوا به فنسبوا إليه .

وقال دعبل : كنا يوما عند سهل بن هارون الكاتب البليغ ، وكان :  
شديد البخل ، فأطلقنا الحديث واضطره الجوع إلى أن دعا بفداء له ، فأنى  
بقصة فيها ديك جاسر هريم ، لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرر ، فأخذ كسرة  
خبز ، فخاض بها مرقة وقلب جميع ما فى القصعة ففقد الرأس ، فبقى مطرقا ساعة  
ثم رفع رأسه ، وقال للطباخ : أين الرأس ؟ فقال : رميت به ، فقال : ولم ؟ قال :  
ظننتك لا تأكله ، قال : بشئ ما ظننت ! والله إنى لأمقت من يرمى برجليه ،  
فكيف من يرمى برأسه ، والرأس رئيس ، وفيه الحواس الأربع ، ومنه يصيح  
ولولا صوته لما فضل ، وفيه فرقة الذى يتبرك به ، وفيه عيناه اللتان يضرب  
بهما المثل ، فيقال : شراب كعين الديك ، ودماعه عجب لوجع الكليتين ،  
ولم ير عظم قط أهدس من عظم رأسه ، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ، ومن  
الساق ، ومن العنق ، فان كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله [فأنا نأكله] (١) ،  
فانظر أين هو ؟ قال : لا أدري والله أين هو ، رميت به ، قال : لكنى أدري أين  
هو ، رميت به فى بطنك فالله حسيبك .

وحدث إبراهيم بن المدبر ، قال : لقيت دعبل بن على ، فقلت له : أنت

أخبر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول ، يعني في حق المأمون [من الكامل] :  
 إني من القوم الذين سيوفهم قتل أخاك وشرفتك بمقعد  
 رفعوا محلك بعد طول حمله واستنقذك من الحضيض الأوهده  
 فقال لي : يا أبا إسحاق ، أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة ، فلا أجد من  
 يصلبني عليها بعد .

وبات دعبل ليلة عند صديق له من أهل الشام ، وبات عندهم رجل من  
 أهل بيت لحيان ، يقال له حوى بن عمرو السكسكي ، وكان جميل الوجه ، فدب  
 إليه صاحب البيت ، وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حين ، فقال فيه  
 دعبل [من السريع] :

لولا حوى لبنت لحيان ما قام أيرُ العزب الفاني  
 له دواة في سراويله يلقها النازحُ والداني

وشاع هذان البيتان ، فهرب حوى من ذلك البلد ، وكان الشيخ إذا رأى  
 دعبلا سبه ، وقال : فضحتني أخراك الله !! .  
 وحدّث محمد بن الأشعث قال : سمعت دعبلا يقول : ما كانت لأحد عندي  
 منة قط إلا تمنيت موته .

وكان دعبل قد مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، فأنشده ماقاله فيه ، وهو  
 جالس وفي يده طومار قد جعله على فيه كالتمسكيء [عليه] (١) وهو جالس ، فلما  
 فلما فرغ أمر له بشيء قليل لم يرضه ، فقال [من البسيط] :

يا من يقبل طوماراً ويلثمهُ ماذا بقلبك من حب الطوامير  
 فيه مشابه من شيء تُسرُّ به طولاً بطولٍ وتدويراً بتدوير

لو كنت تجمع أموالاً كجمعها إذا جمعت بيتاً من دنائير  
وقال دعبل في الفضل بن مروان [ من الطويل ] :

نصحت فأخلصت النصيحة في الفضل      وقلت فسيرت المقالة في الفضل  
ألا إن في الفضل بن سهل لعبرة      إذا اعتبر الفضل بن مروان بالفضل  
والفضل في الفضل بن يحيى مواعظ      إذا فكر الفضل بن مروان في الفضل  
فأبق جميلاً من حديث تفر به      ولا تدع الاحسان والأخذ بالفضل  
فإنك قد أضحت للملك قديماً      وصرت مكان الفضل والفضل والفضل  
ولم أر أبياتاً من الشعر قبلها      جميع قوافيها على الفضل والفضل  
وليس لها عيب إذا هي أنشدت      سوى أن نصحى الفضل كان من الفضل  
فبعث إليه الفضل بدنانير ، وقال له : قد قبلت نصحك ، فاكفني  
خيرك وشرك

وحدث محمد بن حاتم المؤدب ، قال : قيل للمأمون : إن دعبلاً قد هجأك ،  
فقال : وأى عجب في هذا ؟ هو يهجو أبا عباد فلا يهجو في أنا ، ومن أقدم على  
جنون أبي عباد أقدم على حلمي ، ثم قال جلسائه : من كان فيكم يحفظ شعره  
في أبي عباد فلينشده ، فأنشده بعضهم [ من الكامل ] :

أولى الأمور بضیعة وفساد      أمرٌ يدبره أبو عباد  
خرق على جلسائه فكأنهم      حضروا للملحمة ويوم جلاذ  
يسطو على كتابه بدواته      فمضخ بدم ونضح مداد  
وكأنه من دير هرقل مفلت      حرد يجر سلاسل الأقياد  
فاشد أمير المؤمنين وثاقه      فأصح منه بقية الحداد

قال : وكان بقية هذا مجنوناً في المارستان ، فضحك المأمون ، وكان إذا



نظر إلى أبي عباد يضحك ، ويقول لمن يقرب منه : والله ما كذب دعبيل في قوله .

وحدث أبو ناخبة ، قال : كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه ، وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب إلى الجبل ، وقال يهتجوه ، [من الطويل] :

وفاض بفرط الدمع من عينه غُربٌ	بكي لشتات الدين مكتئبٌ صبٌ
فليس له دينٌ وليس له لبٌ	وقام إمامٌ لم يكن ذا هدايةٍ
يملك يوماً أوتدين له الغُربُ	وما كانت الأنبياء تأتي بمثله
من السلف الماضي إذا عظم الخطبُ	ولكن كما قال الذين تتابعوا
ولم تأتسأ عن ثامن لهم كنبٌ	ملوكُ بني العباس في الكتب سبعةٌ
خيارٌ إذا عدُّوا ، وثامنهم كلبٌ	كذلك أهل الكهف في العدس سبعةٌ
لأنك ذو ذنبٍ وليس له ذنبٌ	وإني لأُعلي كلهم عنك رفعةٌ
وصيفٌ وأشناسٌ وقد عظم الكربُ <sup>(١)</sup>	لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم
يظل لها الاسلامُ ليس له شعبُ <sup>(٢)</sup>	وفضل بن مروان سيئتمُ ثمةٌ

(١) كتب مصصح مطبوعة بولاق على هامش النسخة هنا ما نصه « قوله وأشناس ، كذا في النسخ ، وفي نسخة وأشناف ، ولعل الصواب وأصناف » اهـ . وما ظنه صواباً أبعد ما يكون عن الصواب . ووصيف وأشناس غلامان من غلمان الأتراك الذين جلبهم المعتصم ليستعين بهم على الفرس والعرب ، فكانوا علة العال في ضياع سلطان الخلافة ، وقد وصل كل واحد منهما إلى رتبة القائد في عهد المعتصم

(٢) في الأصل « يظل له الاسلام » وما أثبتناه موافق لما في الأغاني (١٨ : ٤٠) .

وليامات المعتصم قال ابن الزيات يرثيه [ من المنسرح ] :

قد قلتُ إذ غيبوه وانصرفوا في خير قبرٍ لخير مدفونٍ  
لنَّ يجبر الله أمةً فقدتْ مثلك إلا بمثل هرونٍ

فقال دعبل يعارضه [ من المنسرح ] :

قد قلتُ إذ غيبوه وانصرفوا في شرِّ قبرٍ لشرِّ مدفونٍ  
أذهبُ إلى النار والعذاب فما خلّيتك إلا من الشياطينِ  
مازلتُ حتى عذبتُ بيعةً منْ أضرَّ بالمسلمين والدينِ

وحدث محمد بن جرير ، قال : أنشدني عبيد الله بن يعقوب  
هذا البيت وحده لدعبل ، يجوبه المتوكل ، وما سمعت له غيره فيه ،  
[ من الوافر ] :

ولستُ بقائلٌ بدعا ولكن لأمرٍ ما تعبدك العبيدُ  
قال : يرميه في هذا البيت بالآبنة .

وحدث محمد بن جرير قال : كنت مع دعبن بالصيمرة ، وقد جاءنا نعي  
المعتصم ، وقيام الواثق ، فقال لي دعبل : أمعك ما تكتب فيه ؟ قلت : نعم ،  
فأخرجت قرطاسا ، فأملئ علي بديها [ من البسيط ] :

الحمد لله لا صبرٌ ولا جلدٌ ولا عزاءٌ إذا أهلُ البلا رقدوا  
خليفةٌ مات لم يحزن له أحدٌ وآخر قام لم يفرح به أحدٌ  
وكان المأمون قد تطلب دعبلا ، وجدَّ في ذلك وهو طائر على وجهه ، حتى  
دسَّ إليه قوله [ من الكامل ] :

علمٌ وتحكيمٌ وشيبٌ مفارقٌ أطميسُ ريعان الشباب الرائقِ  
وإمارةٌ في دولةٍ ميمونةٍ كانت على اللذات أشغبَ عائقِ

نَمَوْا ابن شكلة بالعراق وأهله فَهَقَّا إليه كلُّ أُخْرَقٍ مَائِقٍ (١)  
 أَنَّى يَكُونُ وَلَا يَكُونُ ولم يكنْ يرثُ الخلافةَ فاسقٌ عن فاسقٍ (٢)  
 إن كان إبراهيم مضطلعا بها فلنصلحن من بعده لمخارق  
 ولما قرأها المأمون ضحك ، وقال : قد صفحت عن كل ما هجانا به إذ  
 قرن إبراهيم بمخارق في الخلافة وولاه عهده ، ثم إنه كتب إلى دعبل أمانا ،  
 فلما دخل وسلم عليه تبسم في وجهه ، وقال أنشدني :

\* مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ \*

فَجَزَع ، فقال له : لك الأمان ، فلا تخف ، وقد رويتها ، ولكنني أحب سماعها  
 من قبك ، فَأَنشَدَهُ إِيَّاهَا إلى آخرها والمأمون يبكي ، حتى اخضلت لحينه  
 بدمعه ، ثم إنه أحسن إليه وانسرت به ، حتى كان أول داخل إليه ، وآخر  
 خارج من عنده ، ثم عاد إلى خبائثه ، وشاعت له أبيات بعدها أيضا ، بهجو  
 بها المأمون . .

وحدث دعبل قال : دخلت على علي بن موسى الرضى ، فقال : أنشدني  
 مما أحدثت ، فَأَنشَدْتُهُ [من الطويل] :

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلُ وَحْيٍ مُقْفَرُ الْعَرَاصَاتِ

(١) في الأصل «ابن شكلة» محرفا عما أثبتناه ، والبيت ساقط من الأغاني  
 وابن شكلة : إبراهيم بن المهدي عم المأمون ، وكان قد خرج عليه وطلب  
 الخلافة لنفسه ، وكان يحسن الغناء ويحيده . ثم أخذه المأمون وعفا عنه ،  
 ومخارق : مغن معروف

(٢) في الأغاني

« أَنَّى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَأَنَّ »

حتى انتهيت إلى قولي فيها :

إِذَا وَتَرُوا مَدُّوْا إِلَى وَتَرِيهِمْ أَكْثَرًا عَنِ الْأَوْتَارِ مُنْقَبِضَاتٍ  
قال : فبكي عنده حتى أغشى عليه ، فأومأ إلى خادم كان على رأسه أن أسكت  
فسكت ، فكث ساعة ثم قال لي : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت  
فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الأولى ، وأومأ الخادم أيضاً إلى أن أسكت ،  
فسكت ، ثم مكث ساعة أخرى ثم قال لي : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها ،  
فقال : أحسنت أحسنت ، ثلاث مرات ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضرب  
باسمه ، ولم تكن دفعت إلى أحد بعد ، وأمر لي من في منزله بجلي كثير أخرجه  
إلى الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة ، اشتراها مني الشيعة ،  
فحصل لي مائة ألف درهم ، فكان أول مال اعتقده .

ثم إن دعبلا استوهب من علي بن موسى الرضى رضى الله عنهما ثوبا قد لبسه  
ليجعله في أكفانه ، فخلع جبة كانت عليه فأعطاه إياها وبلغ أهل قم خبرها  
فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم ، فلم يفعل ، فخرجوا عليه في طريقه  
فأخذوها غصبا ، وقالوا له : إن شئت أن تأخذ المال فافعل ، وإلا فأنت أعلم ،  
فقال لهم : إني والله لا أعطيكم إياها طوعا ، ولا تنفعكم غصبا ، وأشكركم إلى الرضى ،  
فصالحوه على أن أعطوه ثلاثين ألف درهم وفردكم من بطانتها ، فرضى بذلك .

وحدث دعبل قال : لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدي ،  
وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة ، فاني لفي ذلك إذ  
سمعت والباب مردود على قائل يقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أأبج  
يرحمك الله ؟ فاقشعر بدني من ذلك ، ونالني أمر عظيم ، فقال لي : لا ترع فاني  
رجل من إخوانك من الجن من ساكني اليمن طرأ علينا طارئ من أهل العراق  
فأنشدنا قصيدتك \* مدارس آيات . . إلى آخرها \* فأحببت أن أسميها منك ،

قال : فأنشدته إياها ، فبكى حتى خر ثم قال : يرحمك الله ألا أحدثك بحديث في نيتك ويعينك على التمسك بمذهبك ؟ قلت : بلى ، قال : مكثت حيناً أسمع بجعفر بن محمد رهما الله تعالى ، فصرت إلى المدينة المنورة فسمعتة يقول : حدثني أبي عن أبيه عن جده رضى الله عنهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « على وشيعته هم الفارزون » ثم ودعنى لينصرف فقلت : يرحمك الله ! إن رأيت أن تخبرنى باسمك فافعل ، قال : أنا ظبيان بن عامر .

وحدث إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : بويج إبراهيم بن المهدي ببغداد وقد قل المال عنده ، وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوباش الناس وأوغادهم ، فاحتبس عليهم العطاء ، فجعل إبراهيم يسوؤهم وهم لا يرون لوعده حقيقة ، إلى أن خرج رسوله إليهم يوماً وقد اجتمعوا وضجوا فصراح إليهم بأنه لا مال عنده ، فقال قوم من غوغاء أهل بغداد : أخرجوا إلينا خليفتنا ليغنى أهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاءهم ولأهل هذا الجانب مثلها ، قال إسحاق : فأنشدنى دعبل بعد أيام [ من السريع ] :

يَا مَعْشَرَ الْأَجْنَادِ لَا تَقْنَطُوا      وَارْضُوا بِمَا كَانُوا لَا تَسْخَطُوا (١)  
فَسَوْفَ تُعْطَوْنَ حَنِينَةً      يَلْتَذُّهَا الْأَمْرَدُ وَالْأَشْمَطُ  
وَالْمُعْبِدَاتُ لِقُودِكُمْ      لَا تَدْخُلُ الْكَيْسَ وَلَا تُرْبَطُ  
وَهَكَذَا يَرْزُقُ قُوَادَهُ      خَلِيفَةُ - مُصْحَفُهُ الْبَرَبَطُ

ودخل عبد الله بن طاهر على المأمون فقال له : أى شيء تحفظ يا عبد الله لدعبل ؟ قال : أحفظ أبياتاً له فى أهل بيت أمير المؤمنين ، قال : هاتها ، فأنشده عبد الله قوله [ من البسيط ] :

(١) فى الأصل « ألا مَعْشَرَ الْأَجْنَادِ » ولا يستقيم به وزن البيت ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني ( ١٨ - ٤٣ )

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لَأَيَّامِ الصَّبَابَاتِ أَيْلَمَ أَرْقُلُ فِي أَنْوَابِ لَذَاتِي  
 أَيَّامِ غُصْنِي رَطِيبٌ مِنْ لِيَاتِهِ أَصْبُو إِلَى غَيْرِ جَارَاتٍ وَكُنَاتٍ  
 دَعُ عَنْكَ ذِكْرَ زَمَانٍ فَاتٍ مَطْلَبُهُ وَاقْدِفْ بِرَجْلِكَ عَنْ مَتْنِ الْجَهَالَاتِ  
 وَاقْصِدْ بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَائِلُهُ نَحْوَ الْهُدَاةِ بَنَى بَيْتَ الْكَرَامَاتِ  
 فقال المأمون : إنه وجد والله مَقَالًا فقال ، ونال ببعيد ذكرهم مالا يناله في  
 وصف غيرهم ، ثم قال المأمون : لقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك  
 السفر عليه فقال فيه [ من الطويل ] :

أَلَمْ يَأْنِ لِلْسُّفَرِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا إِلَى وَطَنِ قَبْلَ الْمَمَاتِ رُجُوعُ  
 قَقْلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقِ عِبْرَةٍ نَطَقَنْ بِمَا ضُمْتُ عَلَيْهِ ضُلُوعُ  
 تَبَيَّنَ فَكَمْ دَارٍ تَفَرَّقَ شَمْلُهَا وَشَمْلُ شَتَيْتِ عَادَ وَهُوَ جَمِيعُ  
 كَذَلِكَ اللَّيَالِي صَرَفْنُ كَمَا تَرَى لِكُلِّ أَنَاثٍ جَدْبَةٌ وَرَبِيعُ<sup>(١)</sup>  
 ثم قال المأمون : ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات تُصَبِّعُنِي وَهَجِيرَايَ  
 ومُسْلِقِي حَتَّى أَعُودَ .

ومن شعره بهجو [ من مجزوء الخفيف ] :

رَفَعَ الْكَلْبُ فَاتَّضَعُ لَيْسَ فِي الْكَلْبِ مُصْطَنَعُ  
 بَلَغَ الْغَنَايَةَ الَّتِي دُونَهَا كُلُّ مَا ارْتَفَعُ  
 إِنَّمَا قَصْرُ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا طَارَ أَنْ يَقَعَ  
 لَعَنَ اللَّهُ نَخْوَةَ صَارَ مِنْ بَعْدِهَا ضَرَعُ

ومن شعره بهجو أيضاً [ من البسيط ] :

(١) في مطبوعة بولاق \* طوال الليالي صرفهن كما ترى \* وقد أثبتنا  
 ما في الأغاني ، إذ كان كل ما هنا مأخوذاً عنه

سُمْتُ الْمَدِيحَ رَجُلًا دُونَ مَا لَهْمُ      رَدُّ قَبِيحٍ وَقَوْلٌ لَيْسَ بِالْحَسَنِ  
فَلَمْ أَفْزُ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلْتُ      رَجُلُ الْبَعُوضَةِ مِنْ فَحَّارَةِ اللَّابَنِ  
ومنه قوله فيمن استشفع به في حاجة فاحتاج إلى شفيع يشفع له [من السريع]:  
يَا عَجَبًا لِلْمُرْتَجِي فَضْلَهُ      لَقَدْ رَجَا مَا لَيْسَ بِالنَّافِعِ  
جئنا به يَشْفَعُ في حاجة      فاحتاج في الأذن إلى شافع  
وحدث دعبيل قال : خرجت إلى الجبل هارباً من المعتصم ، فكنيت أسير  
في بعض طريقى والمُكَّارِى يسوق بى بغلاً تحتى وقد أتعبنى تعباً شديداً ، فتغنى  
المكاري بقول [من الكامل] :

لَا تَعْتَجِبِ يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ      ضَجَّكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى  
فقلت له وأنا أريد أن أتقرب إليه ليكف ما يستعمله من الحث للبغل لثلا  
يتعبنى : تعرف لمن هذا الشعر يا قتي ؟ قال : لمن ناك أمه وغرم درهمين ، فما أدرى  
من أى أموره أعجب : أمن هذا الجواب ، أم من قلة الغرم على عظم الجناية .  
وحدث على بن عبدالله بن مسعدة قال : قال لى دعبيل وقد أنشدته قصيدة  
بكر بن خارجة في عيسى بن البراء النصرانى [من الرجز] :

رُئِنَا لَهُ فِي خَصْرِهِ مَعْقُودٌ      كَأَنَّهُ مِنْ كَيْدِي مَقْدُودٌ  
والله ما أعلم أنى حسدت أحداً كما حسدت بكراً على قوله \* كأنه من كيدى  
مقدود \* وكان بكر هذا وراقاً ضيقاً عيشه معاقراً للشراب في منازل الخمارين  
وحاناتهم وكان طيب الشعر مليحاً مطبوعاً حسناً ماجناً خليعاً ، وكانت الحمرة قد  
أفسدت عقله في آخر عمره ، فصار يهجو ويمدح بالدرهم والدرهمين ونحو هذا ، فاطرح  
وحدث بعض الكوفيين قال : حضرنا دعوة ليحيى بن أبى يوسف القاضي  
وبتنا عنده ومنت ، فما أنبهنى إلا ضياح بكر يستغيث من العطش ، فقلت له : مالك ؟  
قم فاشرب فالدار ملاءى ماء ، قال : أخاف ، قلت : من أى شئ ؟ قال : فى الدار

كلب كبير فأخاف أن يظنني غزالا فيثب على ويقطعني ويأكلني ، فقلت له :  
خرب الله بيتك ! أنت والله بالخنازير أشبه منك بالغزلان ، قم فاشرب إن كنت  
عطشانا وأنت آمن ، وكان عقله قد فسد من كثرة الشرب .

وحدث أحمد بن عثمان الطبري قال : سمعت دعبل بن علي يقول : لما هاجبت  
أبا سعد الخزومي أخذت . هي جوزاً ودعوت الصبيان فأعطيتهم منه وقلت لهم :  
صيحوا به قائلين [من مجزوء الخفيف] :

يا أبا سعد قوصره زاني الأخت والمرّة  
لو تراه مجيباً خلته عقد قنطرة  
أوترى الأير في آسته قلت ساق بمقطره

فصاحوا به فقلبتّه

ولأبي سعد الخزومي يهجو دعبلا ، وكان قد دعاه إلى بيته ، وأضافه  
[ من المنسرح ] :

لدعبل منّة يَمْنُ بها فلمستُ حتى المات أنساها  
أدخلنا بيته فأكرمنا ودسّ امراته فنكناها

وحدث أبو سعد الخزومي ، واسمه عيسى بن خالد الوليد ، قال : أنشدت  
المأمون قصيدتي الدالية التي ردّدتُ فيها على دعبل قوله [من الكامل] .  
ويسومني المأمونُ خُطة عاجز أو ما رأي بالأمس رأسَ مُحمّدٍ  
وأول قصيدتي [من الكامل] :

أخذَ المشيبُ من الشباب الأغيذ والتائباتُ من الأنامِ بمرصَدٍ  
ثم قلت له : يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أجيئك برأسه ، فقال : لا ، هذا  
رجل قد فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا ، فأما قتله فلا حجة فيه  
وكان الرشيد قد غنى بقول دعبل :



\* لا تعجبي يا سلم من رجل ..... الأبيات \*

فطرب لها وسأل عن قائلها ، فقيل : لدعبل غلام نشأ من خِزاعة فأمر له بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه ومركب من مراكبه ، وجهازه ذلك مع خادم من خدمه إلى خِزاعة ، فأعطاه الجائزة وأشار عليه بالمسير إليه ، فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس فجلس ، واستنشد الشعر ، فأنشده إياه ، فاستخسنته وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنياً ، فكان أول من حرضه على قول الشعر ثم إنه ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله بأقبح مكافأة وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت رضى الله عنهم وهجا الرشيد [من البسيط] :

وليسَ حيٍّ من الأحياء تعلمه	من ذى يمانٍ ولا بكرٍ ولا مضرٍ
إلا وهم شركاء في دمائهم	كما تشارك أيسارٌ على جزرٍ
قتلٌ وأسْرٌ وتحريقٌ ومنهبة	فعلُ الغزاة بأرض الروم والتجزرِ
أرى أُميةً معدوِّرين إن قتلوا	ولا أرى لبني العباس من عُدُرٍ
أربع بطوس على القبر الزكي إذا	ما كنتَ تربع من دير إلى وطر <sup>(١)</sup>
قبران في طوس خيرُ الناس كلهم	وقبر شرهم ، هذا من العبرِ
ما ينفعُ الرّجس من قرب الزكي ولا	على الزكي بقرب الرّجس من ضرر <sup>(٢)</sup>
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت	له يداه ، فخذ ما شئت أو قدّر

يعنى قبر الرشيد وقبر موسى الكاظم ، ولعمري لقد هذا هذا ، ولنفسه ظلم وأذى

(١) في مطبوعة بولاق \* . . . من دين على وطر \* وأثبتنا ما في الأغاني

(٢) في مطبوعة بولاق \* ما ينفع الرّجس من قبر الزكي . . \* وقد أثبتنا

ما في الأغاني ، وهو أتم مقابلة مع عجز البيت

وحدث أبو حفص النحوي مؤدب آل طاهر ، قال : دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو يبغداد [من المنسرح] :  
 جئتُ بلا حُرْمَةٍ وَلَا سَبَبٍ إِلَيْكَ إِلَّا بِجُرْمَةِ الْأَدَبِ  
 فاقضِ ذِمَّامِي فَأَنْتَى رَجُلٌ غَيْرُ مُلِحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ  
 قال: فانتقل عبد الله ودخل إلى الحرم ووجه إليه بصره فيها ألف درهم ،  
 وكتب إليه معها [من الكامل] :

أَعْجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرْنَا وَلَوْ أَنْتَظَرْتَ كَثِيرَهُ لَمْ يَقِلْ  
 فَخَذِ الْقَلِيلَ وَكَنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسَلْ وَنَكُونُ نَحْنُ كَأَنَّكَ لَمْ تَفْعَلْ  
 وكان دعبل قد قصد مالك بن طوق ومدحه فلم يرض ثوابه فخرج عنه وقال  
 فيه [من السريع] :

إِنَّ ابْنَ طُوقٍ وَبَنِي تَغْلِبَ لَوْ قُتِلُوا أَوْ جُرْحُوا قَصْرَهُ  
 لَمْ يَأْخُذُوا مِنْ دِيَةِ دَرَاهِمَا يَوْمَا وَلَا مِنْ أَرْشِهِمْ بَعْرَهُ  
 دِمَاؤُهُمْ لَيْسَ لَهَا طَالِبٌ مَطْلُوءَةٌ مِثْلُ دَمِ الْعَذْرَةِ  
 وَجُوهُهُمْ بَيضٌ وَأَحْسَابُهُمْ سَوْدٌ وَفِي آذَانِهِمْ صَفْرَهُ  
 وقال فيه أيضا [من السريع] :

سَأَلْتُ عَنْكُمْ يَا بَنِي مَالِكٍ فِي نَازِحِ الْأَرْضَيْنِ وَالْدَانِيَةِ  
 طَرًّا فَلَمْ نَعْرِفْ لَكُمْ نَسَبَةً حَتَّى إِذَا قُلْتُ بَنِي الزَّانِيَةِ  
 قَالُوا فَدَعْ دَارًا عَلَى يَمْنَةٍ وَتِلْكَ هَادَارُهُمْ ثَانِيَةِ

فبلغت الأبيات مالكا، فطلبه، فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس  
 ابن محمد بن علي العباسي ، وكان قد بلغه هجاء دعبل وعبد الله بن عيينة نزارا  
 فأما ابن عيينة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه ، وأما دعبل فإنه حين  
 دخل البصرة بعث إليه فقبض عليه ، ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه فحلف

بالطلاق على جحدها وبكل يمن تبرىء من الدم أنه لم يقلها ، وأن عدواً له قالها - إنما أبو سعد الخزرجي أو غيره - ونسبها إليه ليغري بدمه ، وجعل يتضرع إليه ، ويقبل الأرض ويبكي بين يديه فرق له ، فقال : أما إذا أعفيتك من القتل فلا بد أن أشهرك ، ثم دعا له بالعصى فضربه حتى سلخ ، وأمر به فألقى على قفاه وفتح فيه ، فرد سلحه فيه ، والمقارع تأخذ رجله ، وهو يحلف أن لا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله ، فما رفعت عنه حتى بلع سلحه كله ، ثم خلاه فهرب إلى الأهواز ، وبعث مالك بن طوق رجلاً حصيفاً قد أمداه وأعطاه سماً وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس ، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة ، فضرب ظهر قدمه بـكاز لها زج مسموم ، فمات من الغد ، ودفن بتلك القرية ، وقيل : بل حمل إلى السوس فدفن فيها .

وكانت ولادته في سنة ثمان وأربعين ومائة . ووفاته في سنة ست وأربعين ومائتين .

ولما مات - وكان صديق البحتري ، وكان أبو تمام قد مات قبله - رثاها البحتري بقوله [ من الكامل ] :

قد زاد في كلني وأوقدَ لوعتي      منوى حبيب يوم مات ودعبل  
أخوى لا تزل السماء مخيلة      تفشا كما بساء مزن مُسبل  
جدث على الأهواز يبعد دونه      مسرى النعى ورمّة بالموصل<sup>(١)</sup>  
ودعبل — بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة .

(١) في الأصل « ورمشه بالموصل » محرفاً عما أثبتناه ، وانظر هذه الأبيات في هبة الأيام ( ٥٠ ) ، ثم انظرها في خمسة أبيات ، في أخبار أبي تمام ( ٢٧٤ - ٢٧٥ ) وفي الموازنة ( ٤٢ ) ولا توجد هذه الأبيات في ديوان البحتري .

١١٦ — ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والافلاس بالرجل شاهد المقابلة البيت من البسيط ، وَيُعْزَى لِأَبِي ذُلَامَةَ .

يحكى أن أبا جعفر المنصور سأل أبا ذُلَامَةَ عن أشعر بيت قالته العرب في المقابلة ، فقال : بيت يلعب به الصبيان ، قال : وما هو على ذاك ؟ قال : قول الشاعر ، وأنشده البيت .

قال ابن أبي الأصبع : لا خلاف في أنه لم يقل قبله مثله ، فانه قابل بين أحسن وأقبح ، والدين والكفر ، والدنيا والافلاس ، وهو من مقابلة ثلاثة بثلاثة وكلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ .

وأحسن من بيت أبي ذُلَامَةَ قول المتنبي [ من الطويل ] :

فلا الجودُ يفي المالَ والجدُّ مقبلٌ ولا البخلُ يبقَى المالَ والجدُّ مدبرٌ

ومن المقابلة قول النابغة الجعدي [ من الطويل ] :

ففى تمّ فيه ما يسرُّ صديقَهُ على أن فيه ما يسوء الأعداء

وقول الفرزدق [ من الطويل ] :

وإنا لنمضي بالآ كف رماحنا إذا أرعشت أيديكم بالمعاليق

وقول عبد الله بن الزبير الأسدي [ من الوافر ] :

فردّ شعورهنّ السود بيضاً ورّدّ وجوههنّ البيض سوداً

وقول أبي تمام [ من البسيط ] :

يا أمةً كان قبح الجور يسخطها دهرًا فأصبح حسن العدل يرّضها

وقول البحتري [ من الخفيف ] :

فإذا حاربوا أذلّوا عزيزاً وإذا سالموا أعزّوا ذليلاً

وقول يزيد بن محمد المهلبى لسليمان بن وهب [ من الطويل ] :

فمن كان لآثام والذلّ أرضه فأرضكم للأجر والعزّ معقل

وقول العباس بن الأخنف [ من السريع ] :  
 اليومُ مثلُ الحولِ حتى أرى وجهك والساعةُ كالشهرِ  
 لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثني عشر .  
 ولمؤلفه من أبيات [ من السريع ] :  
 لو كان ذا الكاشح في بلدتي لم يستطع يومضني ومضاً<sup>(١)</sup>  
 وكنت في العز ساء له وكان لي من ذل أرضا  
 وحسن في المقابلة قول الشريف الموسوي [ من البسيط ] :  
 ومنظرٍ كان بالسراء يضحكي ياقرب ما عاد بالضراء يبكي  
 وقول أبي عبد الله الغواص [ من البسيط ] :  
 جمل الرئيس وحق الله يضحكنا وفعله وإله الناس يبكي  
 وقول ابن شمس الخلقة [ من الرمل ] :  
 طالت الشقوة للمرء إذا قصر الرزق وطال العمرُ  
 وقول السري الرفاء [ من مجزوء الرجز ] :  
 وصاحب يقدح لي نار السرور بالقدح  
 في روضة قد ليست من لؤلؤ الظل سبج  
 والجو في ممسك طرازه قوس قرح  
 يبكي بلا حزن كما يضحك من غير فرح  
 وقوله وقد شرب ليلة في زورق [ من الطويل ] :  
 ومعتدل يسقى إلى بكأسه وقد كاد ضوء الصبح بالليل يفتك

(١) في مطبوعة بولاق « لو كان ذاك الكاشح » بزيادة الكاف التي  
 تختل بها الوزن .

وقد حجب الغيمُ السماءَ كأنما يُزَرُّ عليها منه ثوبٌ ممسكٌ  
ظللنا نبتُ الوجدَ والكأسَ دوائرُ ونهتكُ أَسْتَارَ الهوى قَرَّتْكَ  
ومجلسنا في المَاءِ يهوى ويرتقى وإبريقنا في الكأسِ يبكي ويضحك  
وقول التمام الحداد المصري [من المنسرح]:

أما ترى الغيثَ كلما ضحكتُ كئِمْ الزهرِ في الرياضِ بكى  
كلحبٌ يبكي لديه عاشقه وكلما فاض دَمْعُهُ ضحكاً  
وما أحسن قول الأَرَجَانِي وأرشقه [من مخلع البسيط]:

شبتُ أنا والتحي حبيبي حتى برغمي نسألتُ عنه  
وابيضُ ذاك السوادُ مني واسودَ ذاك البياضُ منه

14

وما أصنى قول الصفي الحلبي [من الطويل]:

مليحٌ يغيرُ الغصنَ عند اهتزازهِ ويخجلُ بدرَ التِّمِّ عندَ شُرُوقهِ  
فما فيه معنى ناقصٌ غيرُ خَصَرٍ ولا فيه شيءٌ باردٌ غيرُ ريقهِ

وما أشرق قول الشمس التلمساني [من الطويل]:

فكم يتجافى خصرُهُ وهو ناحلٌ وكم يتحالي ريقُهُ وهو باردُ  
وكم يدعى صوناً وهذِي جفونهُ بفترتها للعاشقين تواعدُ

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي [من البسيط]:

أزورهم وسوادُ الليل يشفعُ لي وأنثى وبياض الصبح يغري بي  
وقد أخذه بعضهم أخذاً مليحاً، فقال [من الكامل]:

أقلّ النهارَ إذا أضاء صباحهُ وأظْلُ أنتظر الظلامَ الدامساً  
فالصبحُ يشْتَبِي فيقبلُ ضاحكاً والليلُ يَرْتَبِي لي فيدير عابساً

والمتنبي أخذ معنى بيتيه من مصراع بيت لابن المعتز، وهو قوله [من

البسيط]:

لَا تَلْقَ إِلَّا بَلِيلَ مَنْ تَوَاعَدُهُ      فَالْشَّمْسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادُ  
إِلَّا أَنْ ابْنَ الْمُعْتَرِجِ هَجَنَ هَذَا الْمَعْنَى بِذِكْرِ نَمَامَةِ وَقَوَادٍ ، وَأَبُو الطَّيِّبِ سَبَكَهُ  
أَحْسَنَ سَبِكٍ وَأَبْدَعَهُ ، فَصَارَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَمِيسٍ مِنْ شُعْرَاءِ الْمَغَارِبَةِ [ مِنْ الْكَامِلِ ] :  
بَاتَتْ لَهُ الْأَهْوَاءُ أَدَمَ سَابِقًا      وَغَدَتْ بِهِ الْأَيَّامُ أَشْهَبَ كَابِي  
فَأَحْسَنَ مَا شَاءَ ، لِمُقَابَلَتِهِ الْأَدَمَ بِالْأَشْهَبِ ، وَالسَّابِقَ بِالْكَابِي ، عَلَى أَنَّهُ  
مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْخِصَالِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
[ مِنْ الطَّوِيلِ ] :

وَقَدْ كُنْتُ أُسْرَى فِي الظَّلَامِ بِأَدَمٍ      فَهَا أَنَا أَغْدُو فِي الصَّبَاحِ بِأَشْهَبِ  
وَفِي بَيْتٍ كُلِّ مِنْهُمَا زِيَادَةٌ عَلَى الْآخَرِ .  
وَمِنْ مُقَابَلَةِ سِتَّةِ بَسْتَةٍ مَا أَوْرَدَهُ الصَّاحِبُ شَرَفَ الدِّينِ مُسْتَوْفَى إِرْبَلٍ ، وَهُوَ  
[ مِنْ الطَّوِيلِ ] :

عَلَى رَأْسِ عَبْدِ تَاجٍ عَزِيزِيْنَهُ      وَفِي رِجْلِ حَرَ قَيْدِ ذُلٍّ يَشِينُهُ  
حَكَى غَرَسَ الدِّينِ الْأَرْبَلِيَّ ، أَنَّ الصَّاحِبَ الْمَذْكُورَ لَمَّا أَنْشَدَ لَغَيْرِهِ هَذَا  
الْبَيْتَ ، قَالَ هُوَ بَدِيهَا [ مِنْ الطَّوِيلِ ] :

تَسْرِ لَيْثِيًّا مُكْرَمَاتٌ تَزِينُهُ      وَتَبْكِي كَرِيمًا حَادِثَاتٌ تَهِينُهُ  
وَمِنْ مُقَابَلَةِ خَمْسَةِ بِخَمْسَةِ قَوْلِ الْقَائِلِ فِي ذِي أُبْنَةِ [ مِنْ الْكَامِلِ ] :  
يَأْتِي إِلَى الْأَحْرَارِ يَجْلِسُ فَوْقَهُمْ      وَيَنَامُ مِنْ تَحْتِ الْعَبِيدِ وَيُؤَوِّي  
وَمِنْ مُقَابَلَةِ خَمْسَةِ بِخَمْسَةِ قَوْلِ النَّمِيرِيِّ الْغُرْنَاطِيِّ [ مِنْ الْكَامِلِ ] :  
هَنَ الْبَدْوُ رُتْغِيرَتْ لَمَّا رَأَتْ      شَعْرَاتِ رَأْسِي آذَنْتْ بِتَغْيِيرِ  
رَاحَتِ تَحِبُّ دُجَى شَبَابٍ مُظْلَمٍ      وَغَدَتْ تَعَافِ ضَحَى مُشِيدٍ نِيرِ

وأبو دلامة<sup>(١)</sup> اسمه زند بن الجون ، وأكثر الناس يصحف اسمه ، ويقول : ترجمة أبي دلامة زيد بالياء التحتية ، وهو خطأ ، وإنما هو بالنون ، وهو كوفي أسود ، مولى لبني أسد ، وكان أبو دلامة عبداً لرجلٍ منهم ، يقال له : قضا قض (٢) ، فأعتقه وأدرك آخر أيام بني أمية ، ولم يكن له فيها نباهة ، ونبغ في أيام بني العباس ، فاقطع إلى السفاح والمنصور والمهدى ، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبيون مجالسته ونواذره ، ولم يصل لأحد من الشعراء ما وصل لأبي دلامة من المنصور خاصة . وكان أبو دلامة فاسد الدين رذى المذهب ، مرتكباً للمحارم مجاهرآ بذلك . وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله . وكان أول ما حفظ من شعره وأسنت له الجائزة به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور ، وذكر قتله أبا مسلم ، وفيها يقول [ من الطويل ] :

أبا مسلم خوفتنى القتلَ فانتحى عليك بما خوفتنى الأسدُ الورْدُ

أبا مسلم ما غير اللهُ نعمةً على عبده حتى يغيرها العبدُ

وأنشدها المنصور في محفل من الناس ، فقال له : احتكم ؟ فقال له : عشرة آلاف درهم . فأمر له بها . فلما خلا به قال له : أما والله لو أعديتها لقتلتك . وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يلتقوا السيوف في المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي ، فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شرّ حال ، وجهي في وسطى ، وسيفي في استى ، وقد صبغت بالسواد ثيابي ، ونبتت كتاب الله وراء ظهري ، فضحك منه وأعفاه ، وحذره من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع منك هذا أحد ، وفي ذلك يقول أبو دلامة

(١) تجد ترجمة أبي دلامة في الأغاني (٩ - ١٢٠)

(٢) في الأغاني « قضا قض » بفاءين



[من الطويل]:

وَكُنَّا نَرْجِيْ مَنْحَةً مِنْ إِمَامِنَا فَجَاءَتْ بِطُولٍ زَادَهُ فِي الْقَلَانِسِ  
 تَرَاهَا عَلَى هَامِ الرِّجَالِ كَأَنَّهَا دَنَانُ يَهُودٍ جُلَّتْ بِالْبِرَانِسِ  
 وَحَدَّثَ الْجَاهِظُ ، قَالَ : كَانَ أَبُو دَلَامَةَ وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ — أَوْ  
 السَّفَاحِ — فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي حَاجَتَكَ . قَالَ أَبُو دَلَامَةَ : كَلْبٌ صِيدَ . قَالَ : أَعْطُوهُ  
 إِيَّاهُ . قَالَ : وَدَابَّةٌ أَتَصِيدُ عَلَيْهَا . قَالَ : أَعْطُوهُ . قَالَ : وَغَلَامٌ يَقُودُ الْكَلْبَ .  
 قَالَ : أَعْطُوهُ غَلَامًا . قَالَ : وَجَارِيَةٌ تَصْلُحُ لَنَا الصَّيْدَ وَتُفْعِمُنَا مِنْهُ . قَالَ : أَعْطُوهُ  
 جَارِيَةً . قَالَ : هَؤُلَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِيَالٌ فَلَا بَدَّ مِنْ دَارٍ يَسْكُنُونَهَا . قَالَ :  
 أَعْطُوهُ دَارًا تَجْمَعُهُمْ . قَالَ : وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ضَيْعَةٌ فَمِنْ أَيْنَ يَعْيشُونَ ؟ قَالَ :  
 قَدْ أَقْطَعْتُكَ مَائَةَ جَرِيْبٍ عَامِرَةٍ ، وَمَائَةَ جَرِيْبٍ غَامِرَةٍ . قَالَ : وَمَا الْغَامِرَةُ ؟ قَالَ :  
 مَا لَا نَبَاتَ فِيهِ مِنَ الْأَرْضِ . قَالَ : قَدْ أَقْطَعْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَمْسَ مِائَةِ أَلْفِ  
 جَرِيْبٍ غَامِرَةٍ مِنْ فِيا فِي بَنِي أَسَدٍ ، فَضَحْكَ وَقَالَ : اجْعَلُوا الْمَائَتَيْنِ كُلَّهَا عَامِرَةً .  
 قَالَ : فَأَذِنَ لِي أَنْ أَقْبَلَ يَدَكَ . قَالَ : أَمَا هَذِهِ فَدَعِهَا فَإِنِّي لَا أَفْعَلُ . قَالَ : وَاللَّهِ  
 مَا مَنَعَتْ عِيَالِي شَيْئًا أَقْلَ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ مِنْهَا ! .

قَالَ الْجَاهِظُ : فَانْظُرْ إِلَى حَذَقِهِ بِالسَّأَلَةِ وَلَطْفِهِ فِيهَا ، حَيْثُ ابْتَدَأَ بِكَلْبٍ  
 فَسَهَّلَ الْقَضِيَّةَ ، وَجَعَلَ يَأْتِي بِمَا يَلِيهِ عَلَى تَرْتِيبٍ فَكَاهَا ، حَتَّى نَالَ مَا لَوْ سَأَلَهُ  
 بِدِيَّةٍ لَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ .

وَحَدَّثَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدَى قَالَ : دَخَلَ أَبُو دَلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ ، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَتَهُ  
 الَّتِي أَوَّلَهَا [ مِنْ الْبَسِيطِ ]

إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجَدَّ الْبَيْنِ فَانْتَجِعُوا وَزَوْدُكَ خَبَالًا ، بَنَسْ مَا صَنَعُوا (١)

(١) فِي الْأَصْلِ «بَانَ الْخَلِيْطُ أَجْدَالِيْنَ» وَمَا ثَبَتْنَاهُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الْأَغَانِي

إلى أن قال فيها يهجو وجهه :

لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى      لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرُّفْعُ  
مَازَلْتُ أُخْلِصُهَا كَسْبِي فَتَأْكُلُهُ      دُونِي وَدُونَ عِيَالِي ثُمَّ تَضْطَجِعُ  
شَوْهَاءَ مَشْنِيَّةٍ فِي بَطْنِهَا بِحَرٍّ      وَفِي الْمَقَاضِلِ مِنْ أَوْصَالِهَا فَدَعُ (١)  
ذَكَرْتُهَا بِكِتَابِ اللَّهِ حَرَمْتَنَا      وَلَمْ تَكُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَرْتَدِعُ (٢)  
فَاخْرَجْتَ نَطْمَتٌ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مَغْضَبَةٌ      أَنْتِ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ يَا لُكْعُ (٣)  
أَخْرَجْ لَتَبْعٍ لَنَا مَالًا وَمَزْرَعَةً      كَمَا بَلَّغْنَا مَالًا وَمُزْدَرِعُ  
وَإِخْدَعُ خَلِيفَتَنَا عَنَّا بِمَسْأَلَةٍ      إِنَّ الْخَلِيفَةَ لِلسُّؤَالِ يَنْخَدِعُ  
فَضَحَكَ الْمَنْصُورُ ، وَقَالَ : أَرْضَوْهَا عَنهُ ، وَاجْعَلُوا لَهَا سِتْمَاءَةً جَرِيبَ غَامِرَةٍ  
وِغَامِرَةٍ ، فَقَالَ : أَنَا أَقْطَعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ جَرِيبَ غَامِرَةٍ فِيمَا بَيْنَ  
الْحَيْرَةِ وَالنَّجْفِ ، وَإِنْ شِئْتَ زِدْتُكَ ، فَضَحَكَ وَقَالَ : اجْعَلُوهَا كُلَّهَا غَامِرَةً .  
وَشَهِدَ أَبُو دِلَامَةَ لَجَارَةٍ لَهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى الْقَاضِي ، عَلَى أَنَّهَا نَازَعَهَا فِيهِ  
رَجُلٌ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الشَّهَادَةِ قَالَ لَابْنِ أَبِي لَيْلَى : اسْمِعْ مَا قُلْتُ قَبْلَ أَنْ آتِيكَ ،  
ثُمَّ اقْضُ بِمَا شِئْتُ قَالَ هَاتِ : فَأَنْشَدَهُ [ مِنَ الطَّوِيلِ ] :  
إِنَّ النَّاسَ غَطَوْنِي تَغْطِيتَ عَنْهُمْ      وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ  
وَإِنْ حَفَرُوا بَرَى حَفَرْتَ بَثَارَهُمْ      لِيَعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تَلِكِ النَّبَائِثُ (٤)

(١) في مطبوعة بولاق « في بطنها بخل » وفي الأغاني « في بطنها بخل »  
وكلاهما تحريف ما أثبتناه ، والبجر - بفتحين - أن يعظم البطن ، وتخرج  
السرة ويغلظ أصلها .

(٢) في الأغاني \* ولم تكن بكتاب الله تنتفع \*

ولكل منهما معنى صحيح

(٣) اخر نطمت : غضبت

(٤) النبائث : جمع نبیثة ، وهي تراب البر أو النهر أو ما حول أحدهما  
من التراب .

فأقبل القاضي على المرأة ، وقال : أتبيعيني الاتان ؟ قالت : نعم ، قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم ، قال : ادفعوها إليهما ، ففعلوا ، وأقبل على الرجل فقال : قد وهبتها لك . وقال لأبي دلالة : قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له ووهبت ملكي لمن رأيت ، أرضيت ؟ قال : نعم ، وانصرف . ودخل أبو عطاء السبدي يوما إلى أبي دلالة ، فاحتبسه ، ودعا بطعام وشراباً فأكلا وشربا ، وخرجت إلى أبي دلالة صبية له ، فحملها على كتفه ، فبالت عليه ، فنبذها عن كتفه ، ثم قال [ من الوافر ] :

بَلَّاتٍ عَلَى لَأَ حَيِّيتِ ثَوْبِي      قِيلَ عَلَيْكَ شَيْطَانُ رَجِيمٍ<sup>(١)</sup>  
فَمَا وَلَدَتْكَ مَرْيَمُ أُمُّ عِيسَى      وَلَا رَبَّكَ لَقَمَانُ الْحَكِيمِ

ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له : أجزيا أباعطاء ، فقال [ من الوافر ] :

صَدَقْتَ أَبَادُ لَامَةً لَمْ تَلِدْهَا      مُطَهَّرَةٌ وَلَا فَحْلٌ كَرِيمٌ  
وَلَكِنْ قَدْ حَوَّيْتَهَا أُمُّ سُوءٍ      إِلَى لَبَاتِهَا ، وَأَبُّ لَيْمٍ

فقال له أبو دلالة : عليك لعنة الله ! ما حملك على أن بلغت بي هذا كله ؟ والله لا أنزعك بيت شعر أبدا ، فقال له أبو عطاء : يكون الذي من جهنك أحب إليّ ثم غدا أبو دلالة إلى المنصور فأخبره بقصة ابنته ، وأنشده الأبيات ، ثم اندفع فأنشده بعدها [ من البسيط ] :

لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ      قَوْمٌ لَبِيلَ اقْعَدُوا يَا آلَ عَبَّاسٍ  
ثُمَّ ارْتَقُوا فِي شُمَاعِ الشَّمْسِ كُلُّكُمْ      إِلَى السَّمَاءِ فَانْتُمْ أَكْرَمُ النَّاسِ<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ مَوَّاهُ الْقَائِمِ الْمَنْصُورَ رَأْسَكُمْ      فَالْعَيْنُ وَالْأَنْفُ وَالْأَذْنَانِ فِي الرَّاسِ  
فاستحسنها ، وقال : بأي شيء تحب أن أعينك على قبح ابنتك هذه ؟

(١) في مطبوعة بولاق \* بللت على ثوبي لاحتيت \*

(٢) في الأغاني « فأنتم أطهر الناس »

فأخرج خريطة قد خاطها من الليل ، وقال : تملأ لي هذه دراهم ، فوسعت أربعة آلاف درهم  
ولما توفي أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس يُعزُّونه  
فأنشأ أبو دلامة يقول :

أُسميت بالأنبار يا ابنَ مُحَمَّدٍ	لم تستطع عن عُقرِها تحويلاً (١)
وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِ أَهْلِ كُلِّهِمْ	ويلاً وعَوْلاً في الحياة طَوِيلاً
فَلْتَبْكِينَ لَكَ السَّمَاءُ بِعَبْرَةٍ	ولتَبْكِينَ لَكَ الرَّجَالُ عَوِيلاً (٢)
ماتَ النَّدَى إِذْ مُتَّ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ	فَجَعَلْتَهُ لَكَ فِي التُّرَابِ عَدِيلاً
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ	فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مَنْ سَأَلْتُ بُخِيلاً
أَلِشَقَوْنِي أُخِرْتُ بَعْدَكَ لَلَّتِي	تَدَعُ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِيلاً
فَلَا حَلِفَ يَمِينٍ حَقٍّ بَرَّةً	بِاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بَعْدَكَ سَوِيلاً

فأبكى الناسَ قوله ، وغضب المنصور غضباً شديداً وقال : لئن سمعتك تنشده  
هذه القصيدة لأقطعن لسانك ، فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس كان  
لي مكرماً ، وهو الذي جاءني من البدو كما جاء الله عز وجل بإخوة يوسف عليه  
السلام إليه ، فقل أنت كما قال يوسف ، (لا تريبَ عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو  
أرحم الراحمين) فسُرِّي عن المنصور ، وقال : قد أقلناك يا أبا دلامة فسل حاجتك ،  
فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً

#### (١) في مطبوعة بولاق

\* لم تستطع عن غيرها تحويلاً \*

وليس بشيء ، و أثبتنا ما في الأغاني

(٢) في الأغاني \* فلتبكين لك النساء بعبرة \*

وهو أتم لمقابلته بالرجال في عجز البيت

وهو مريض ولم أقبضها ، فقال المنصور: ومن يعلم ذلك ؟ قال: هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا : صدق يا أمير المؤمنين فنحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيب : [ يا سليمان <sup>(١)</sup> ] ادفع إليه وسيرّه إلى هذا الطاغية <sup>(٢)</sup> يعني عبد الله بن عليّ ، وكان قد خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، أعينك بالله أن أخرج معهم فإنني والله لمشؤم ، فقال له المنصور : امض فإن يُمنّي يغلب شؤمك فأخرج ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحبُّ لك أن تجرب ذلك مني على مثل هذا العسكر فاني لا أدري أيهما يغلب يُمنك أو شؤمي إلا أني بنفسي أدرى وأوثق وأعرف وأطول تجربة ، فقال : دعني من هذا فمالك من الخروج بدّ ، قال : فاني أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت وكنت سببها ، فان شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل ، فاستفرغ <sup>(٣)</sup> المنصور ضحكاً ، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة

وحدث أبو دلامة قال : أتى بي إلى المنصور أو إلى المهدي وأنا سكران ، فحلف ليخرجني في بعث حرب ، فأخرجني مع روح بن عدى بن حاتم <sup>(٤)</sup> المهلبى لقتال الشّراء ، فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحقّ فرسك ومعى سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه مني ، فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ولأخذنك بالوفاء بشرطك ، ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلى ودعا له بغيرهما فاستبدل به ، فلما حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع <sup>(٥)</sup>

(١) زيادة عن الأغاني

(٢) في مطبوعة بولاق « هذه الطاغية » وأثبتنا ما في الأغاني

(٣) في الأغاني « فاستغرب »

(٤) في الأغاني « روح بن حاتم المهلبى » بإسقاط عدى

(٥) في مطبوعة بولاق « وزالت عنه حلاوة الطمع » مخرفاً ، وما أثبتناه

موافق لما في الأغاني

قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما ، فقال :  
هات ، فأنشدته [ من الكامل ] :

إِنِّي اسْتَجَرْتُكَ أَنْ أَقْدَمَ فِي الْوَعْيِ      لِنَطَاعِنِي وَتَنَازُلِ وَضِرَابِ  
فَهَبِ السُّيُوفَ رَأَيْتُهَا مَشْهُورَةً      فَتَرَكَتُهَا وَمَضَيْتُ فِي الْهَرَابِ  
مَاذَا تَقُولُ لِمَا يَجِبُ وَلَا يُرَى      مِنْ وَارِدَاتِ الْمَوْتِ فِي النِّشَابِ (١)

فقال : دع عنك هذا وستعلم ، فبرز رجل من الخوارج يطلب المبارزة ، فقال : اخرج إليه يا أبا دلامة ، فقلت : أنشدك الله أيها الأمير في دمي ، فقال : والله لتخرجن ، قلت : أيها الأمير إنه أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وأنا والله جائع ماتنبعث مني جارحة من الجوع فرلى بشيء آكله ثم أخرج ، فأمرلى برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت من الصف ، فلما رآني الشاري أقبل نحوي وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فافعل وعيناه تقيدان ، فأسرع إلى ، فقلت : على رسلك يا هذا كما أنت ، فوقف ، فقلت : أقتل من لا يقاتلك ؟ قال : لا ، قلت : أفستحل أن تقتل رجلا على دينك ؟ قال : لا ، قلت : أفستحل ذلك قبل أن تدعو من يقاتلك إلى دينك ؟ قال : لا فاذهب عني إلى لعنة الله ، فقلت : لأفعل أو تسمع مني ، قال : قل ، قلت : هل كان بيننا عداوة قط أو ترة أو تعلم بين أهلي وأهلك وترا ؟ قال : لا والله ، قلت : ولا أنا والله لك إلا على جميل ، وإني لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين بدينك

(١) روى هذا البيت في الأغاني

ماذا تقول لما يجي وما يرى      من واردات الموت في النشاب  
ووقع في مطبوعة بولاق  
ماذا تقول لمن يجي ، ولا يرى      لما درأت الموت في النشاب  
وأثبتناه كما ترى

وأريد الشر لمن أَرَادَهُ لك ، قال : يا هذا جزاك الله خيراً فانصرف ، قلت : إن  
معي زاداً وأريد أن آكله وأريد مواكلك لتأكد المودة بيننا ونرى أهل  
العسكريين هو أنهم علينا ، قال : فافعل ، فتقدمت إليه حتى اختلقت أعناق  
دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها وجعلنا نأكل ، والناس قد غلبوا ضحكاً ، فلما  
استوفينا ودّعني ، ثم قلت له : إن هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة تدبني  
لك فتتعب وتتعبني ، فان رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل ، قال : قد فعلت ، ثم انصرف  
وانصرفت ، فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرني فقل لخيرى يكفيك قرنه ،  
قال : ثم خرج آخر يريد البراز ، فقال : اخرج إليه ، فقلت [ من البسيط ] :  
إني أعوذ بروح أن يُقدمني إلى القتال فتخزي بي بنو أسد  
إن البراز إلى الأقران أعلمه مما يُفرق بين الروح والجسد  
قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها وأصبحت لجميع الخلق بالرصد  
إن المهلب حب الموت أوثكم وما ورثت اختيار الموت عن أحد  
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها لكتها خلقت فرداً فلم أجسد  
فضحك وأعفاني

وعزم موسى بن داود على الحج فقال لأبي دلامة : احجج معي ولك عشرة  
آلاف درهم ، فقال : هاتها ، فدفعت إليه ، فأخذها وهرب إلى السواد ، فجعل  
ينفقها هناك ويشرب الخمر ، وطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشى قوات الحج ،  
فخرج فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دلامة<sup>(١)</sup> خارجاً من قرية إلى قرية أخرى  
وهو سكران ، فأمر بأخذه وتقييده وطرحه في الحمل بين يديه ، ففعل به ذلك ،  
فلما سار غير بعيد أقبل أبو دلامة على موسى وناداه بقوله [ من البسيط ] :

(١) في مطبوعة بولاق « فاذا هو بأبي دلامة » وحذفنا القاء وفاقا لما

يا أيُّهَا النَّاسُ قُولُوا أَجْمَعِينَ مَعًا صَلَّى الْإِلَهِ عَلَى مُوسَى بْنِ دَاوُدَ  
 كُلُّنَا دِيْبَا جَتِي خَدْيِهِ مَنْ ذَهَبَ إِذَا بَدَا لَكَ فِي أَنْوَابِهِ السُّودَ  
 إِنِّي أَعُوذُ بِدَاوُدَ وَأَعْظُمُهُ مِنْ أَنْ أَكَلَفَ حِجًّا يَا ابْنَ دَاوُدَ (١)  
 أَنْبَيْتُ أَنْ طَرِيقَ الْحَجِّ مَعْطَشَةٌ مِنْ الشَّرَابِ وَمَا شُرْبِي بِتَصْرِيدِ (٢)  
 وَاللَّهِ مَا فِيَّ مِنْ أَجْرٍ فَتَطْلِبُهُ وَلَا الثَّنَاءَ عَلَى دِينِي بِمَحْمُودٍ  
 فَقَالَ مُوسَى : أَلْقُوهُ لَعْنَهُ اللَّهُ عَنِ الْحَمْلِ وَدَعُوهُ (٣) يَنْصَرِفُ ، فَأَلْقَى وَعَادَ إِلَى  
 قَصْفِهِ بِالسَّوَادِ حَتَّى نَفَدَتِ الْعَشْرَةُ آلَافَ (٤) .

وَدَخَلَ أَبُو دِلَامَةَ يَوْمًا عَلَى الْمَنْصُورِ فَأُشْدِه [ مِنْ الْوَافِرِ ] :  
 رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَقَصَيْتَ دَيْنِي  
 وَكَانَ بِنَفْسَجِي الْخَزْ فِيهَا وَسَاجٌ نَاعِمٌ فَأَتَمَّ زَيْنِي  
 فَصَدَّقَ يَا فَدَتَكَ النَّفْسُ رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَاكَ عَيْنِي  
 فَأَمْرٌ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : لَأَعُدَّتْ تَتَحَلَّمُ عَلَى ثَانِيَةٍ فَأَجْعَلَ حَلْمَكَ أَضْغَانًا وَلَا أَحَقَّقَهُ  
 ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَمَضَى فَشَرِبَ فِي بَعْضِ الْحَانَاتِ فَسَكَرَ وَانْصَرَفَ وَهُوَ تَمَلُّقُ فَلَاقِيهِ  
 الْعَسَسُ فَأَخَذَ فَقِيلَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ فَقَالَ [ مِنْ الرِّجْزِ ] :  
 دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي الْعَبَّاسِ مَا خَتَمَ الطِّينُ عَلَى الْقُرْطَاسِ (٥)  
 إِذَا اصْطَبَحْتَ أَرْبَعًا بِالْكَاسِ فَقَدْ أَدَارَ شَرْبُهَا بِرَاسِي  
 فَهَلْ بَمَا قُلْتُ لَكُمْ مِنْ بَاسٍ ؟

- (١) فِي مَطْبُوعَةِ بُولَاق «عَنْ أَنَّ أَكَلَفَ» وَمَا أَثْبَتْنَاهُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الْأَغَانِي  
 (٢) فِي الْأَغَانِي «خَبَرْتُ أَنَّ طَرِيقَ الْحَجِّ»  
 (٣) فِي مَطْبُوعَةِ بُولَاق «وَدَعُوهُ فَيَنْصَرِفُ» وَحَذَفْنَا الثَّنَاءَ وَفَاقًا لِمَا فِي الْأَغَانِي  
 (٤) الصَّوَابُ عَرَبِيَّةٌ أَنْ يَقُولَ «عَشْرَةُ الْآلَافِ» وَالْكَوْفِيُّونَ يَجِيزُونَ  
 «الْعَشْرَةُ الْآلَافِ» فَأَمَّا مَا فِي الْأَصْلِ نَحْطًا  
 (٥) فِي مَطْبُوعَةِ بُولَاق «فَأَخْتَمَ الطِّينُ» مُحَرَّفًا ، وَمَا أَثْبَتْنَاهُ مُوَافِقٌ لِمَا  
 فِي الْأَغَانِي ، وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ «مَا خَتَمَ الطِّينُ - الْخِ» مَعْنَى الدَّوَامِ



فأخذه ومضوا به فخرقوا أثوابه وساجه، وأتوا به إلى المنصور، وكان يؤتى بكل من أخذه العنفس، فيحبسه مع الدجاج في بيت، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته مرة فلا يجيبه أحد، وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج ورثاء الديكة، فلما أكثر قال له السجان: ما شأنك؟ قال: ويلك! من أنت؟ وأين أنا؟ قال: في الحبس، وأنا فلان السجان، قال: ومن حبسني؟ قال: أمير المؤمنين. قال: ومن خرّق طيلسائي؟ قال: الحرس، فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس، ففعل، فكتب إلى المنصور [من الوافر]:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدَتِكَ نَفْسِي	تَعَلَّمْتُ حُبْسَتِي وَخَرَقْتُ سَاجِي
أَمِنْ صَهْبَاءٍ صَافِيَةِ الْمَزَاجِ	كَأَنَّ شَمَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ
وَقَدْ طَبَخْتُ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى	لَقَدْ صَارَتْ مِنَ النُّظْفِ النَّضَاجِ
تَبَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَهِيهَا	إِذَا بَرَزْتُ تَرَقُّقُ فِي الزَّجَاجِ
أَقَادَ إِلَى السَّجُونِ بِغَيْرِ جُرْمٍ	كَأَنِّي بَعْضُ عَمَالِ الْخَرَاجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُبْسْتُ لَكَانَ سَهْلًا	وَلَكِنِّي حُبْسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
وَقَدْ كَانَتْ تَحْصِرُنِي ذُنُوبِي	بَأْتِي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَأَقِيتُ شَرًّا	لَخَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

فدعا به، وقال له: أين حبست يا أبا دلامة؟ فقال: مع الدجاج، قال: فما كنت تصنع؟ قال: أقوى معهم حتى أصبحت، فضحك وخلي سبيله، وأمر له بجائزة. فلما خرج قال له الربيع: إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين، أما سمعت قوله: \* وقد طبخت بنار الله \* يعني الشمس، فأمر برده. ثم قال له: يا خبيث، شربت الخمر؟ قال: لا. قال: أفلم تقل: \* طبخت بنار الله \* تعنى الشمس. قال: لا، والله ما عنيت إلا نار الله المؤصدة التي تطلع على فؤاد الربيع، فضحك وقال: خذها يا ربيع، ولا تعاود التعرض له.

ولما قدم المهدي من الرّي ، دخل عليه أبو دلامة ، فأنشأ يقول [من الكامل] :

إني نذرتُ لنّ لقيتُكَ سالماً      بقرى العراق وأنت ذو وفر  
لتصلينَّ على النبيِّ محمّدٍ      ولتلاّنَ ذرّاهما حجري

فقال : صلى الله على النبي محمد وسلم ، وأما الدراهم فلا ، فقال له : أنت أكرم من أن تفرق بينها ، ثم تختار أسهلها ، فضحك ، وأمر بأن يملأ حجره دراهم .

ودخل أبو دلامة على أم سلمة زوج السفاح بعد موته ، فعزاها به وبكى ، فبكت معه ، فقالت أم سلمة : لم أجد أحداً أصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة قال : ولا سواء (١) يرحمك الله ! لك منه ولد ، وما ولدت أنا منه قط ، فضحكت ، ولم تكن ضحكت منذ مات السفاح إلا ذاك الوقت ، وقالت له : لو خدعتُ الشيطان لأضحكته .

ودخل يوماً على المهدي ، وهو يبكي ، فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة ، وأنشد لنفسه فيها [من الطويل] :

وكنا كزوج من قَطَّاً في مفازةٍ      لدى خَفَضِ عيشٍ مونيّ ناصِرٍ رعدٍ  
فأفردني ريب الزمان بصرفهٍ      ولم أر شيئاً قطُّ أوحش من فردٍ

فأمر له بطيب وثياب ودنانير ، وخرج ، فدخلت أم دلامة على الخيزران وأعلمتها أن أبا دلامة قديمات ، فأعطتها مثل ذلك ، وخرجت . فلما التقى المهدي والخيزران عرفا حيلتهما ، فجيلا يضحكان لذلك ويعجبان منه .

(١) في مطبوعة بولاق «ولاسواي يرحمك الله» مجرّفاً وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

وحدث المديني قال : دخل أبودلامة على المهدي وعنده جماعة من بني هاشم فقال المهدي له : أنا أعطى الله تعالى عهداً ، لئن لم تهجّ واحداً ممن في البيت لأضربنّ عنقك ، فنظر إليه القوم ، وغمزوه بأن عليهم رضاه . قال أبودلامة : [ فعلمت <sup>(١)</sup> ] أنى وقعت ، وأنها عزمة من عزماته ، ولا بد منها ، فلم أر أحداً أحقّ بالهجاء منى ، ولا أدعى إلى السلامة من هجأى نفسى ، فقلت : [ من الوافر ] :

إلا أبلغُ لذيكَ أبا دُلامةٍ      فليس من الكرام ولا كرامه  
إذا لبس العمامة قلت قرداً      وخنزيراً إذا وضع العمامة <sup>(٢)</sup>  
جمعت دمامةً وجمعت لؤماً      كذلك اللؤم تتبعه الدمامة  
فإن تك قد أصبت نعيم دُنيا      فلا تفرح فقد دنت القيامة  
فضحك القوم ، ولم يبق منهم أحد إلا أجازه .

وخرج المهدي وعلى بن سليمان إلى الصيد . فسمح لهما قطيع من ظباء ، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، فرمى المهدي سهماً فصرع ظبياً ، ورمى على بن سليمان فأصاب كلباً فقتله ، فقال فى ذلك أبودلامة [ من مجزوء الرمل ] :

قد رمى المهدي ظبياً      شكّ بالسهم فؤاده  
وعلى بن سليمان      رمى كلباً فصاده  
فهنيئاً لهما كلُّ امرئ      يأكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبودلامة وأمر له بمجازة . ولقب على بن سليمان بصائد الكلب ، فعلق به .

(١) زيادة عن الأغاني

(٢) فى الأغاني « كان قرداً وخنزيراً إذا »

وتوفيت حمادة بنت عيسى ، وحضر المنصور جنازتها . فلما وقف على حفرتها قال لأبي دلالة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال : بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى ، يُجاء بها الساعة فتدفن فيها ، فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه .

وحدث الهيثم بن عدي قال : حجت الخيزران ، فلما خرجت صاح أبو دلالة : جعلى الله فداك ! الله فى أمرى ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قالوا : أبو دلالة ، قالت : اسأله ما أمره . قال : أدنوني من محلها ، فأدنى ، فقال : أيها السيدة ، إني شيخ كبير وأجرك فى عظيم . قالت : فهُ ؟ قال : تهبين لى جارية من جواريك تؤنسنى وترفق بى وترينحني من عجوز عندي قد أكلت رفدى ، وأطالت كدى ، فقد عاف جلدى جلدها ، وتمنيت بُعدها ، وتشوقت فَقَدها . فضحكت ، وقالت : سوف آمر لك بما سألت ، فلما رجعت تلقاها وأذكرها وخرج معها إلى بغداد وأقام حتى سَم ، ثم دخل على عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع إليها رقعة قد كتبها إلى الخيزران فيها [ من مجزوء الرمل ] .

أبلغى سيدتى بالله يا أم عبيدة  
أنها أرشدتها الله وإن كانت رشيده  
وعدتنى قبل أن تحرج للحج وليده  
فتأتيت وأرسلت بعشرين قصيده  
كلما أخلقن أخلفت لها أخرى جديده  
ليس فى بيتى لتمهيد فراشى من قعيده  
غير عجفاء عجوز ساوياً مثل القديده  
وجهها أقبح من حوت طرى فى عصيده  
ما حياتى مع أنثى مثل عرسى بسعيده

فلما قرئت عليها الآيات ضحكت ، واستعادت قوله : \* وجهها أفتح من  
حوت إلى آخره \* وجعلت تضحك ، ودعت بجارية من جواربها فأنقته . فقالت  
لها : خذى كل مالك فى قصرى ، ففعلت ، ثم دعت بخادم وقالت له : سلمها إلى أبى  
دلامة . فانطلق الخادم بها فلم يصبه فى منزله . فقال لامرأته : إذا رجع فادفعيها إليه  
وقولى له : تقول لك السيدة أحسن صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها . فقالت  
له : نعم . فلما خرج دخل إليها ابنها دلامة فوجد أمه تبكى ، فسألها عن خبرها  
فأخبرته وقالت : إن أردت أن تبرئى يوما من الدهر فاليوم ، قال قولى : ماشئت  
فانى أفعله ، قالت : تسخل عليها فتعلمها أنك مالكها فتطوؤها وتحرمها عليه ، وإلا  
ذهبت بعقله وجفائى وجفائك ، ففعل ودخل على الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه  
وخرج ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ فقالت : فى ذلك البيت  
فدخل إليها شيخ محطم ذاهب فمديده إليها وذهب ليقبها ، فقالت له : مالك  
ويك تنح عنى وإلا لطمتك لكمة دقت بها أنفك . فقال : أبهذا أوصتك السيدة ؟  
فقالت : إنها بعثت بى إلى فتى من خاله وهيئته كيت وكيت ، وقد كان عندى آتناً  
ونال منى حاجته ، فلم أنه قد دهى من أم دلامة وابنها ، فخرج إلى دلامة فلطمه  
وتلبب به وحلف أنه لا يفارقه إلى المهدي ، فمضى به متلبياً حتى وقف على باب  
المهدي . فعرف خبره . وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة ، فأمر بادخله فلما دخل  
قال له : مالك ويك ؟ قال : عمل هذا الخبيث ابن الخبيثة ما لم يعمله ولد بأبيه ولا  
يرضىنى إلا أن تقتله . فقال : ويك ! فما فعل بك ؟ فأخبره الخبر . فضحك حتى  
استلقى على قفاه ثم جلس . فقال له أبو دلامة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ فقال  
على بالسيف والنطع . فقال له دلامة : قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي ،  
قال : هات . قال : هذا الشيخ أضفق الناس وجهاً ، وهو ينك أمى منذ أربعين  
ما غضبت نكت أنا بجاريته مرة واحدة فغضبى وضع بى ماترى ، فضحك المهدي  
أشد من ضحكه الأول . ثم قال : دعها له وأنا أعطيك خيراً منها . قال : على أن

تجباها لى بين السماء والأرض وإلا ناكها والله كما ناك هذه ، فتعهد المهدي إلى أبي دلامة أن لا يعاود دلامة مثل فعله ، وحلف أنه إن عاود قتله ، وأمر له بجارية أخرى كما وعده .

ودخل أبو دلامة على المهدي وسلمة الوصيف واقف ، فقال : إني قد أهديت لك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لأحد مثله ، فان رأيت أن تشرفني بقبوله ، فأمر بإدخاله إليه ، فخرج أبو دلامة وأدخل فرسه الذي كان تحته ، فاذا هو برذون؟ محطم أعجف هرم ، فقال له المهدي : أى شيء ويملك هذا ، ألم ترعهم أنه مهر فقال له : أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائماً ، تسميه الوصيف ، وله ثمانون سنة ، وهو بعد عندك وصيفاً ، فان كان سلمة وصيفاً فهذا مهر ، فجعل سلمة يشتمه والمهدي يضحك . ثم قال لسلمة : ويحك ! إن لهذه منه أخوات ، وإن أتى بمثلها في محفل يفضحك ، فقال أبو دلامة : إني والله يا أمير المؤمنين لأفضحنه فليس في مواليك أحد إلا وقد وصلني غيره ، فاني ما شربت له الماء قط ، قال : فقد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص منك ، قال : قد فعلت على أن لا يعاود ، قال : أفعل ، ولولا أني ما أخذت منه شيئاً قط ما استعملت معه مثل هذا ، ففضى سلمة فحملها إليه وسامه إياها .

وجاء دلامة يوماً إلى أبيه وهو في محفل من جيرانه وعشيرته جالسا فجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة ، فقال لهم : إن شيخى كما ترون قد كبر سنه ، ودق عظمه ، وبنا إلى حياته حاجة شديدة ، ولا أزال أشير عليه بالشئ يسك رمقه ويبقى قوته فيخالفني ، وإني أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته ، فأسعفوني بمسألته معي ، فقالوا : نفعل وجبا وكرامة ، ثم أقبلوا على أبي دلامة بالسنتهم ، فتناولوه بالعتاب حتى رضى ابنه وهو ساكت ، فقال : قولوا لهذا الخبيث فليقل ما يريد ، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببليّة ، فقالوا : قل ، فقال : إن أبي ما يقتله إلا كثرة الجماع ،

فَتَعَاوَنُونِي<sup>(١)</sup> عَلَيْهِ حَتَّى أَخْصِيهِ فَلَنْ يَقْطَعَهُ عَنْ ذَلِكَ غَيْرِ الْخِصَاءِ فَيَكُونُ أَصْحَحَ لِحَسَمِهِ وَأَطْوَلَ لِعَمْرِهِ، فَعَجِبُوا مِمَّا آتَى بِهِ، وَعَامُوا أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَعْثُبَ بِأَبِيهِ وَيُخْجَلَّهُ حَتَّى يَشْبَعَ ذَلِكَ عَنْهُ وَيَرْتَفِعَ لَهُ بِهِ ذِكْرٌ، فَضَحِكُوا مِنْهُ، ثُمَّ قَالُوا لِأَبِي دَلَامَةَ: قَدْ سَمِعْتَ فَأَجِبْ. قَالَ: قَدْ سَمِعْتُمْ أَنْتُمْ وَعَرَقْتُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِخَيْرٍ، قَالُوا: فَمَا عِنْدَكَ فِي هَذَا؟ قَالَ: قَدْ جَعَلَتْ أُمُّهُ حَكِيمًا بَيْنِي وَبَيْنَهُ. فَقَوْمُوا بِنَا إِلَيْهَا، فَقَامُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَدَخَلُوا إِلَيْهَا، وَقَضَى أَبُو دَلَامَةَ الْقِصَّةَ عَلَيْهَا وَقَالَ: قَدْ حَكَمْتُكَ فَأَقْبَلْتَ عَلَى الْجَمَاعَةِ فَقَالَتْ: إِنْ ابْنِي هَذَا أَبْقَاهُ اللَّهُ فَدَنْصَحْ أَبَاهُ وَبِرَّهِ وَلَمْ يَأَلْ جِهْدًا وَمَا أَنَا إِلَى بَقَاءِ أَبِيهِ بِأَحْوَجَ مِنِّي إِلَى بَقَائِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ تَقَعْ بِهِ تَجَرِبَةٌ وَلَا جَرَتْ بِمَثَلِهِ عَادَةٌ وَلَا أَشْكُ فِي مَعْرِفَتِهِ بِذَلِكَ فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ أَوَّلًا فَلْيُخْصِصْهَا، فَإِذَا عَوَفَى وَرَأَيْنَا ذَلِكَ قَدْ أَثَرَّ عَلَيْهِ أَثَرًا مَحْمُودًا اسْتَعْمَلَهُ أَيْضًا أَبُوهُ، فَجَعَلَ أَبُوهُ يَضْحَكُ مِنْهُ، وَخَجَلَ ابْنُهُ دَلَامَةَ، وَانْصَرَفَ الْقَوْمُ يَضْحَكُونَ وَيَعْجَبُونَ مِنْ خُبْنِهِمْ جَمِيعًا وَاتَّفَقُوا فِي ذَلِكَ الْمَذْهَبِ.

وَكَانَ عِنْدَ الْمَهْدِيِّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ قَدْ جَاءَهُ مَسْلَمًا، فَأَتَى الْمَهْدِيَّ بَعْلِجًا، فَأَمَرَ الْمَرْوَانِيَّ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَأَخَذَ السَّيْفَ وَقَامَ فَضَرَبَهُ فَنَبَا عَنْهُ، فَرَمَى بِهِ الْمَرْوَانِيَّ وَقَالَ: لَوْ كَانَ مِنْ سَيُوفِنَا مَا نَبَا، فَسَمِعَهَا الْمَهْدِيُّ فغَاظَهُ حَتَّى تَغْيِيرَ وَجْهَهُ وَبَانَ فِيهِ، فَقَامَ يَقْطِينُ فَأَخَذَ السَّيْفَ وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعِيهِ ثُمَّ ضَرَبَ الْمَلِجَ فَرَمَى بِرَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ هَذِهِ السُّيُوفَ سَيُوفُ الطَّاعَةِ وَلَا تَعْمَلُ إِلَّا فِي أَيْدِي الْأَوْلِيَاءِ، وَلَا تَعْمَلُ فِي أَيْدِي أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ، ثُمَّ قَامَ أَبُو دَلَامَةَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ حَضَرَنِي بَيْتَانِ أَفَأَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ، فَأَنشَدَهُ [مِنْ الْخَفِيفِ]:

أَبْهَذَا الْإِمَامُ سَيْفُكَ مَاضٍ وَبِكَفِّ الْوَلِيِّ غَيْرُ كَهَامٍ  
فَإِذَا مَا نَبَأَ بِكَفِّ عَلَمَنَا أَنَّهُ كَفُّ مُبْغِضٍ لِلْإِمَامِ

فَقَامَ الْمَهْدِيُّ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَسُرَى عَنْهُ، وَأَمَرَ حُجَّابَهُ بِقَتْلِ الْمَرْوَانِيِّ، فَقَتَلَ  
وَقَالَ ابْنُ النَّطَّاحِ: دَخَلَ أَبُو دَلَامَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَتَهُ فِي بَقْلَتِهِ

(١) هَكَذَا بِحَذْفِ نَوْنِ الرَّفْعِ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيمِ نَاصِبٍ أَوْ جَازِمٍ

المشهورة يهجوها ويند كرمها يها، فلما أنشده قوله [من الوافر] :

أَتَانِي خَائِبٌ يَسْتَأْمُنُنِي عَرِيقًا فِي الْخَسَارَةِ وَالضَّلَالِ  
فَقَالَ تَبِيعُهَا قُلْتُ ارْتَبِطُهَا بِحُكْمِكَ إِنْ بَيْعِي غَيْرُ غَالِي  
فَأَقْبَلَ ضَاحِكًا نَحْوِي سُرُورًا وَقَالَ أَرَأَيْكَ سَهْلًا ذَا جَمَالِ  
كَلَّمْتُ إِلَى نِيْلُوْبِي خِدَاعًا وَمَا يَذْرى الشَّقَى لِمَنْ يُخَالِي  
فَقُلْتُ بَارِئِينَ فَقَالَ أَحْسِنِ إِلَى فَنَ مِثْلَكَ ذُو سَجَالِ  
فَأَتْرَكْتُ حَمْسَةً مِنْهَا لِعَلْمِي بِمَا فِيهِ يَصِيرُ مِنَ الْخَبَالِ

فقال له المهدي : لقد أفلت من بلاء عظيم ، فقال : والله يا أمير المؤمنين  
لقد مكنت شهرا أتوقع صاحبها أن يردّها علي ، قال : ثم أنشده [من الوافر] :

فَأَبْدَلَنِي بِهَا يَا رَبَّ طَرْفًا يَكُونُ جَمَالُ مَرْكَبِهِ جَمَالِي

فقال المهدي لصاحب دوابه : خيره بين مركبين من الاصطبل ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ، إن كان الاختيار إلى وقعت في شرمن البغلة ، ولكن مرّه أن  
يختار لي ، فقال : اختر له

وأخبار أبي دلالة كثيرة ، وقد أثبتنا منها طرفا صالحا .  
وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائة ، رحمه الله تعالى !

\*\*\*

١١٧ — كَالْقَيْسِ الْمُعْطَفَاتِ بَلِ الْأَسْهُمُ مَبْرِيَّةٌ بَلِ الْأَوْتَارِ  
البيت للبحتري ، من قصيدة من الخفيف <sup>(١)</sup> يمدح بها أبا جعفر بن حميد  
ويستوهبه غلاما ، ومنها قوله :

أَبْكَاءَ فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ وَسَلُّوًا بِرِزْنَبٍ عَنِ نَوَارِ

(١) اقرأها في الديوان (٢ - ٣٤ مصر)

شاهد مراعاة  
النظير



لَاهِنَاكَ الشَّغْلُ الْجَدِيدُ بِحُزْوَى      عَنْ رُسُومِ بَرَامَتَيْنِ قَفَارِ  
مَا ظَنَنْتُ الْأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمَحِّي      فِي صُدُورِ الْعُشَّاقِ نَحْوَ الدِّيَارِ (١)  
إِلَى أَنْ قَالَ مِنْهَا فِي وَصْفِ النُّوقِ :  
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خَضْنَ غَمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِ  
وَبَعْدَهُ الْبَيْتُ ، وَالْقَصِيدَةُ طَوِيلَةٌ ، يَقُولُ مِنْهَا فِي تَشْكِيهِ مِنَ الْغَلَامِ الْأَجِيرِ  
وَيَسْأَلُ مَخْدُومَهُ فِي هَيْبَتِهِ غَلَامًا وَيَصِفُهُ :

قَدْ مَلَيْتَاكَ يَا غَلَامُ فَعَادِ      بِسَلَامٍ أَوْ رَائِحٍ أَوْ سَارِي  
سَرَقَاتٍ مَنِيَّ خُصُوصًا ، فَهَلَا      مِنْ عَدُوٍّ أَوْ صَاحِبٍ أَوْ جَارِ (٢)  
أَنَا مِنْ يَاسِرٍ وَسَعْدٍ وَفَتَحَ      لَسْتُ مِنْ عَامِرٍ وَلَا عَمَارِ  
لَا أَحِبُّ النَّظِيرَ يُخْرِجُهُ الشَّمُّ إِلَى الْإِحْتِجَاجِ وَالْإِفْتِخَارِ  
فَإِذَا رُعْبُهُ بِنَاحِيَةِ السَّوْ      طَ عَلَى الذَّنْبِ رَاغِي بِالْفِرَارِ  
مَا بَارِضُ الْعِرَاقِ يَا قَوْمُ حُرٍّ      يَشْتَرِيَنِي مِنْ خِدْمَةِ الْأَحْرَارِ (٣)  
هَلْ جَوَادٌ بِأَبْيَضٍ مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ مَحْضُ الْجُدُودِ مَحْضُ النَّجَارِ  
لَمْ يَرُمْ قَوْمَهُ السَّرَايَا وَلَمْ يَغْزُهُمْ غَيْرُ جَحْفَلٍ جَرَّارِ (٤)  
فَحَوْتَهُ الرَّمَا حَ أَغْيَدَ مَجْدُو      لَا قَصِيرَ الزُّنَارِ وَافِي الْأَزَارِ (٥)  
فَوْقَ ضَعْفِ الصُّغَارِ إِنْ وَكِلَ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَدُونَ كِبَرِ الْكِبَارِ (٦)

(١) فِي الْأَصْلِ « فَيْكَ تَحْيَى » وَمَا أُثْبِتْنَاهُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الدِّيَوَانِ  
(٢) فِي الْأَصْلِ « سَرَوْا نَائِي عَنِّي » وَلَمْ تَتَجَهَّ لَهَا عِنْدَنَا ضَبِطٌ ، وَمَا أُثْبِتْنَاهُ  
مُوَافِقٌ لِمَا فِي الدِّيَوَانِ

(٣) فِي الدِّيَوَانِ « يَفْتَدِيَنِي » فِي مَكَانٍ يَشْتَرِيَنِي  
(٤) فِي الدِّيَوَانِ « لَمْ يَرِعْ قَوْمَهُ السَّرَايَا » وَلِمَا هُنَا وَجْهٌ  
(٥) فِي الْأَصْلِ « تَوَجَّهَتْ الرِّيَّاحُ » مُحَرَّفًا عَمَّا أُثْبِتْنَاهُ مُوَافِقًا لِمَا فِي الدِّيَوَانِ  
(٦) فِي الدِّيَوَانِ « وَدُونَ كَيْدِ الْكِبَارِ » وَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا هُنَا

لك من ثَغْرِهِ وَخَدَّيْهِ مَا شَتَّتَ مِنَ الْأَقْجَوَانِ وَالْجُلْتَانِ  
وَكَاثِنَ الذِّكَاةِ يَبْعَثُ مِنْهُ فِي سَوَادِ الْأُمُورِ شَعْلَةً نَارَ  
يَا أَبَا جَعْفَرٍ وَمَا أَنْتَ بِالْمَدِّ عَوْ إِلَّا لِكُلِّ أَمْرٍ كِبَارٍ  
وَلَمَعَرَى الْجُودِ بِالنَّاسِ لَنَا مِنْ سِوَاهُ بِالثَّوْبِ وَالْدِّينَارِ  
وَقَلِيلُهُ إِلَّا لَدَيْكَ بِهَذَا الْفَجْجِ أَخَذَ الْغُلَمَانُ بِالْأَشْعَارِ (١)

ومعنى البيت أنه يصف إبلا أثحلها السرى بحيث صارت من الهزال كالقسي أيات في وصف  
الإبل بالنحول بل السهام بل الأوتار

وقد تداول الشعراء هذا المعنى ، وتجاوزوا أطرافه ، فمن ذلك قول الشريف  
الموسوى [ من الكامل ] :

هَنَّ الْقَسَى مِنَ النُّحُولِ فَإِنْ سَمَا خَطْبُ فِهْنٍ مِنَ النَّجَاءِ الْأَسْهَمِ  
وقد أخذه ابن قلاقس فقال أيضاً [ من الكامل ] :

خُوصٌ كَأَمْثَالِ الْقَسَى نَوَاحِلًا وَإِذَا سَمَا خَطْبُ فِهْنٍ سِهَامُ  
وقال أيضاً [ من الوافر ] :

طَرَحْنَا الْعَجْزَ عَنْ أَعْجَازِ عَيْسٍ نُوَشَّحُهَا عَلَى الْحَزَمِ الْحِزَامَا  
وَنَدْفَعُ بِالسَّرَى مِنْهَا قِسِيًا فَتَقْدِفُ بِالنَّوَى مِنْهَا سِهَامَا  
وقال ابن خفاجة أيضاً [ من الطويل ] :

وَقَدْ مَا بَرَتْ مِنْهَا قِسِيَا يَدُ السَّرَى وَفَوْقَ مِنْهَا فَوْقَهَا الْمَجْدُ أَسْهَمَا  
وقال ابن النبيه [ من الخفيف ] :

إِنَّ خَوْضَ الظَّلَمَاءِ أَطْيَبُ عِنْدِي مِنْ مَطَايَا أُمَسَتْ تَشْكِي كَلَالَةَ  
فَهِيَ مِثْلُ الْقَسَى شَكْلًا وَلَكِنْ هِيَ فِي السَّبْقِ أَسْهَمٌ لَا تَحَالَةَ

والشاهد في البيت : مراعاة النظير ، ويسمى : التناسب ، والتوافق ،  
والإتلاف ، والمؤاخاة ، وهو : جمع أمر وما يناسبه مع إلغاء التضاد لتخرج المطابقة  
فهو هنا قصد المناسبة بالأسهم والأوتار لما تقدم من ذكر القسي ، وهذه المناسبة  
هنا معنوية لا لفظية كما في قول مبيار [ من الخفيف ] :

ومُتِيرِ سِيَانِ عَيْنَاهُ وَالْأَبْرِيقُ فَتَكَأُ وَلِحْظُهُ وَالْمُدَامُ

والأبريق هنا السيف سمي بذلك لبريقه ، وكان يصح أن يقال سيان عيناه  
والصمصام أو الهندي ، فاختار الأبريق لمناسبته لفظاً للمدام ، إذ الأبريق يطلق  
على إناء الحجر ، وليس هذا من المعنى في شيء ، وإنما هو مراعاة مجرد اللفظ

ومن أحسن ماورد في مراعاة النظير قول ابن خفاجة يصف فرسا وهو

آيات في  
مراعاة النظير

[ من السريع ] :

وَأَشَقَرُ تَضَرَّمَتْهُ الْوَغَى بِشُعْلَةٍ مِنْ شُعْلِ الْبَاسِ

مَنْ جَلَنَارٍ نَاضِرٍ خَدُّهُ وَأُذُنُهُ مِنْ وَرَقِ الْآسِ

تَطْلُعُ لِلْفَرْقِ فِي وَجْهِهِ حَبَابَةٌ تَضْحَكُ فِي الْكَاسِ

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة .

وقول ابن الساعاتي من آيات في وصف الثلج [ من الكامل ] :

السُّحْبُ رَايَاتٌ وَلَمْعُ بُرُوقِهَا بَيْضُ الطُّبَى وَالْأَرْضُ طَرْفُ أَشْهَبِ

وَالنَّدَى قَسَطَلُهُ وَزَهْرُ شَمُوعِنَا صُمُّ الْقَنَا وَالْفَحْمُ نَبْلُ مُذْهَبِ

وما أبدع قول بعضهم في آل النبي صلى الله عليه وسلم [ من الكامل ] :

أَنْتُمْ بَنُو طَهَ وَنِ وَالضُّحَى وَبَنُو تَبَارَكَ وَالْكِتَابِ الْمُحَكَّمِ

وَبَنُو الْأَبَاطِحِ وَالْمَشَاعِرِ وَالصَّفَا وَالرُّكْنِ وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَزَمَزَمِ

فانه أحسن في المناسبة في البيت الأول بين أسماء السور ، وفي الثاني بين

الجهات الحجازية ، وما أعجب قول السلاحي [ من الكامل ] :

أوما ترى طرر البروق توسطت      أفقاً كأن المزن فيه شئوف  
واليوم من خجل الشقيق مضرج      خجل ومن مرض النسيم ضعيف  
والأرض طرس والرياض سطوره      والزهر شكل بينها وجروف

وقوله في وصف النارينج والسماريات في نهر طلعت عليه الشمس [من الوافر]

تنشط للصبح أبا على      على حكم المني ورضا الصديق  
ينهر للرياح عليه درع      يذهب بالغروب وبالشروق  
إذا اصفرت عليه الشمس صبت      على أمواجه ماء الخلوق  
وقفت به فكم خد رقيق      يغازلني على قد رقيق  
وجمر شب في الأغصان حتى      أضع الماء في وهج الحريق  
فهم الخيل في ميدان تبر      يصاغ لها كرات من عقيق

وقوله أيضاً في وصف الحب [من البسيط]:

الحب كالدهر يعطينا ويرتجع      لا اليأس يصرفنا عنه ولا الطمع  
صحبته والصبا تغري الصبا بهي      والوصل طفل غرير والهوى يقع  
أيام لا النوم في أجفاننا خلس      ولا الزيارة من أحبابنا لمع  
إذا الشبيبة سئني والهوى فرسى      ورايتي اللهو واللذات لي شيع

وما أحسن قول السرى الرفاء [من الوافر]:

وغيم مرهفات البرق فيه      عوار والرياض بهما كواسي  
وقد سللت جوش الفطرفيه      على شهر الصيام سيوف باس  
ولاح لنا الهلال كشطر طوق      على لبات زرقاء اللباس

وبديع قول أبي طالب البغدادي النحوي من أبيات [من البسيط]:

ومهم نيرت فيه والبساط دم      والجو نفع وهامات الرجال ربا

وقول أبي خنيفة الاسترابادى غاية هنا ، وهو [من السريع] :

هَلْ عَثَرْتُ أَقْلَامُ خَطِّ الْعَذَارِ      فِي مَشْقِهَا فَالْخَالُ نَضْحُ الْعِمَارِ  
أَوْ اسْتَدَارَ الْخَطُّ لَمَّا غَدَتْ      نُقْطَتُهُ مَرَكَزَ ذَلِكَ الْمَدَارِ  
وَرِيقُهُ الْخَمْرُ فَهَلْ ثَغَّرَهُ      دُرُّ حَبَابِ نَظْمَتِهِ الْعَقَارِ  
وقوله وهو بديع [من البسيط] :

أَنَا الرَّمْيُ بِسَهْمِ اللَّحْظِ إِذْ رَشَقْنَا      فَلَمْ تَدْرَعْ مِنْ أَصْدَاغِهِ الْحَاقَا  
وقول أبي علي الحسن الباخري والد صاحب دمية القصر [من الطويل] :  
وَذِي زَجَلٍ وَالِي سِهَامِ رُهَا مِه      وَوَلِي قَالَتِي قَوْسُهُ فِي انْهَزَامِهِ  
أَلَمْ تَرَ خَدَّ الْوَرْدِ مُدْمِي لَوْقَعَا      وَأَنْصَلَهَا مَخْضُوبَةٌ فِي كَامِهِ  
وما أحسن قول الحسين بن علي النخعي من قصيدة [من الكامل] :  
رَوْضٌ إِذَا جَرَّتِ الرِّيحُ مَرِيضَةً      فِي زَهْرِهِ اسْتَشْفَتْ بِهِ مَرْضَاهَا  
وَإِذَا تَقَابَلَتِ النَّدَامَى وَسَطُهُ      سَكَرَ الصِّحَاةُ كَمَا صَحَا سَكَرَاهَا  
وما أزهق قول بعضهم يرثى فقيهاً حنيفاً [من الخفيف] :

رَوْضَةُ الْعِلْمِ قُطْبِي بَعْدَ بَشْرِ      وَالْبَسِي مِنْ بِنَفْسِجِ جِلْبَابَا  
وَهِيَ النَّائِجَاتُ مَنْشُورَ دَمْعٍ      فَشَقِيقُ النِّعَانِ بَانَ وَغَابَا

ولأبي العصب الملحي [من مجزوء الرمل] :

ذَرَقْتُ عَيْنُ الْغَمَامِ      فَاسْتَهَلْتُ بِسَجَامِ  
وَبِكِي الْأَبْرِيقِ فِي الْكَأِ      سِ بَدَمْعٍ مِنْ مُدَامِ  
فَاسْقِنِي دَمْعًا بَدَمْعٍ      مِنْ مُدَامٍ وَغَمَامِ  
وَاعْصِ مِنْ لَامِكٍ فِيهِ      لَيْسَ ذَا وَقْتِ الْمَلَامِ

ولأبي العلاء المعري [من البسيط] :

دَعَّ البِرَاعَ لِقَوْمٍ يَفْخَرُونَ بِهَا      وَبِالطَّوَالِ الرُّدَيْنِيَّاتِ فَافْتَخِرْ  
فَهِنَّ أَقْلَامُكَ اللَّاتِي إِذَا كَتَبْتَ      مَجْدًا أَتَتْ بِمَدَادٍ مِنْ دَمٍ هَدَرَ  
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْوَأَوَاءِ الدَّمَشْقِيِّ [من البسيط] :

سَقِيًّا لِيَوْمٍ غَدَا قَوْسُ الْغَمَامِ بِهِ      وَالشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ وَالْبَرْقُ خُلَاسُ  
كَأَنَّهُ قَوْسُ رَامٍ وَالْبُرُوقُ لَهُ      رَشَقُ السَّهَامِ وَعَيْنُ الشَّمْسِ بِرَجَاسُ  
وَمَا أَبْدَعَ قَوْلَ السَّلَامِيِّ [من الطويل] :

وَقَدْ خَالَطَ الْفَجَرَ الظَّلَامُ كَمَا التَّقَى      عَلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ وَرَدَتْ وَأَدْهَمُ  
وَعَهْدِي بِهَا وَاللَّيْلُ سَاقٍ وَوَصَلْنَا      عَقْرًا وَقَوْهَا الْكَأْسُ أَوْ كَأْسُهَا الْفَمُ  
وَلِبَعْضِ شَعْرَاءِ الذَّخِيرَةِ [من الطويل] :

بِدَارٍ سَقَتَهَا دَيْمَةٌ إِثْرَ دَيْمَةٍ      فَمَالَتْ بِهَا الْجُدْرَانُ شَطْرًا عَلَى شَطْرٍ  
فَمِنْ عَارِضٍ يَسْقَى وَمِنْ سَقْفٍ مَجْلَسٍ      يَغْنَى وَمِنْ بَيْتٍ يَمِيلُ مِنَ السَّكْرِ  
وَمِنْ الْغَايَاتِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْبَدِيعِ الْهَمْدَانِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ يَصِفُ فِيهَا  
طَوْلَ السَّرِيِّ [من الطويل] :

لَكَ اللَّهُ مِنْ عَزَمِ أَجُوبٍ جَبُوبُهُ      كَأَنِّي فِي أَجْفَانِ عَيْنِ الرَّدَى كَحُلُ  
كَأَنَّ السَّرِيَّ سَاقٍ كَأَنَّ الْكَرَى طَلًّا      كَأَنَّهَا شَرِبَتْ كَأَنَّ الْمَنَى قَلُّ  
كَأَنَّا جِيَاعٌ وَالْمَطِيُّ لَنَا فَمُ      كَأَنَّ الْفَلَاحَ زَادَتْ كَأَنَّ السَّرِيَّ أَكَلُ  
كَأَنَّ يَنَابِيعَ الثَّرَى تُدِي مَرَضِعَ      وَفِي حَجَرِهَا مَنَى وَمِنْ نَاقَتِي طِفْلُ  
كَأَنَّا عَلَى أَرْجُوْحَةٍ فِي مَسِيرِنَا      لِيُغَوِّرَ بِنَا تَهْوِي وَنَجِدَ بِنَا تَعْلُو  
وَمِنْهَا فِي الْمَدِيحِ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْ حَسَنِ الْمُنَاسِبَةِ [من الطويل] :

كَأَنَّ فِي قَوْسٍ لِبَنَانِي لَهُ يَدٌ      مَدِيحِي لَهُ نَزَعٌ بِهِ أَمَلِي نَبْلُ  
كَأَنَّ دَوَاتِي مُطْفِئٌ حَبَشِيَّةً      بِنَانِي لَهَا بَعْلٌ وَنَقَشِي لَهَا نَسْلُ

كأن يدي في الطرس غواص لجة بها كلى دُرُّ به قيمتى تفلو  
وله أيضاً في قريب منه يمدح الممدوح في القصيدة قبله ، وهو الملك خلف  
ابن أحمد صاحب سجستان [من الطويل] :

وليل كذ كراه كعناه كاسمه كدين ابن عباد كادبار فائق  
شققنا بأيدي العيس برّ دَظلامه وبتنا على وعد من السير صادق  
ترج بنا الأسفار في كل شاهق وترى بنا الآمال في كل خالق  
كأن مطايانا شفقار كأنما تمدُّ إليهنّ الفلّا كف سارق  
كأن نجوم الليل نظارة لنا تعجب من آمالنا والهوائق  
كأن نسيم الصبح فرصة آيس كأن سراي القبيظ خجلة وامق  
ومن الغرب هنا قول ابن الرومي يصف أينقاً [من البسيط] :

تطوى الفلّا وكأنّ الآل أردية وتارة وكأنّ الليل سيجان  
كأنها في ضحّا ضيح الضحى سفن وفي الغمار من الظلماء حيتان  
وما أرتق قول ابن رشيّق [من الطويل] :

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم  
أحاديث تروى بها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم  
ومن المستحسن في هذا النوع قول ابن زيلاق في غلام معه خادم يحرسه

[من الطويل] :

ومن عجب أن يحرسوك بخادم وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر  
عذارك ريجان وثغرك جوهر وخدامك ياقوت وخالك عنبر  
وما أبدع قول ابن مطروح [من مجزوء المتقارب] :

وليلة وصل خلّت فيا عاذلى لا تسلّ

لبسنائيب العناقِ مَزْرَرَةٌ بالقبل

ومثله قول العباد السمامسى (١) [من مجزوء الكامل]:

شَقَّتْ عَلَيْكَ يَدَ الْأَسَى ثَوْبَ الدَّمُوعِ إِلَى الذُّيُولِ

وعجيب قول ابن الخشاب في المستضيء وأجاد [من الكامل]:

وَرَدَّ الْوَرَى سِلْسَالَ جُودِكَ فَارْتَوَوْا وَوَقَفْتَ دُونَ الْوَرْدِ وَقَفَّةَ حَائِمٍ

ظَمَانٍ أَطْلَبُ خَفَةَ مِنْ زَحْمَةٍ وَالْوَرْدُ لَا يَزْدَادُ غَيْرَ تَزَاحِمٍ

وقول ابن شرف في اجتماع البعوض والذباب والبراغيث في مجلس، مخاطبا

لصاحبه يستهزئ به [من الكامل]:

لَكَ مَجْلَسٌ كَمَلْتُ سِتَارَتَنَا بِهِ لَهْوٌ، لَكِنْ تَحْتَ ذَاكَ حَدِيثٌ

غَنَى الذَّبَابُ وَظَلَّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَرْقُصُ الْبَرْغُوثُ

ومن النهايات هنا قول القاضي عبدالرحيم الفاضل [من الكامل]:

فِي خَدِّهِ فَنَحْ كَمُطْفَةِ صُدْغِهِ وَاخْطَالُ حَبَّتِهِ وَقَلْبِي الطَّائِرُ

وقول مجير الدين بن تميم [من الكامل]:

لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُنِي وَقَدْ حَمَى الْوَعَى فِي مَوْقِفٍ مَا الْمَوْتُ عَنْهُ بِمَعَزَلٍ

لَتَرَى أَنَايِبَ الْقَنَاةِ عَلَى يَدَيَّ تَجْرِي دَمًا مِنْ تَحْتَ ظِلِّ الْقَسْطَلِ

وقد أغرب الأديب بدر الدين حسن الزغاري بقوله [من الطويل]:

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغَرَّ لَمَّا تَجَمَّعَتْ وَقَدْ فَرَّقَتْ عَنَا الْهَبُومَ بِجَمْعِهَا

نِيَاقٌ وَوَجْهُ الْأَرْضِ قَعْبٌ وَثَلَجُهَا حَلِيبٌ وَكَفَ الرِّيحُ حَالِبٌ ضَرَعُهَا

والباب واسع، ولا بد من مراعاة الاختصار هنا.

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة هنا ما نصه

« قوله السمامسى » كذا في نسخة وفي أخرى الساماني ».



\*\*\*

شاهد الارصاد  
أو التسهم

١١٨ — إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

البيت لعمر بن معدى كرب الزبيدى ، من قصيدة (١) من الوافر ،  
وأولها :

أمن ربحانة الداعى السميع      يؤرقنى وأصحاب هجوع  
سبأها الصمة الجشمى غصباً      كأن بياض غرنها صديق  
وحالت دونها فرسان قيس      تكشف عن سواعدها الدروع

وبعد البيت ، وبعده :

وصله بالزمان فكل أمر      سمالك أو سموت له ولوع

وهى طويلة .

قال المدائنى : حدثنى رجل من قریش قال : كنا عند فلان القرشى ، فجاءه  
رجلٌ بجمارية ، فغنته [ من السريع ] :

بالله يا ظبي بنى الحارث      هل من وفى بالعهد كالتاكث

وغنّته أيضاً بغناء ابن سريج [ من المنسرح ] :

(١) اقرأها فى الأصمعيات (٤٣ - ٤٥ أوربة) وليست الأبيات التى رواها  
المؤلف هنا متوالية فى رواية الأصمعيات ، وليس البيت الثانى فيها بهذه  
الالفاظ ، وقد روى ابن قتيبة فى الشعراء المطلع ، ثم روى أربعة أبيات فيها  
بيت الشاهد والذى بعده . وقد روى صاحب الأغانى (١٤ - ٣٣) أربعة  
أبيات من أول القصيدة بترتيب المؤلف ها هنا ، وآخرها بيت الشاهد ، ولكن  
الأغانى لا يروى الشعر على ترتيبه فى كلام قائله ، وإنما يرويه على ترتيب الغناء

يا طولَ ليلي وبتُّ لم أنمِ وسادىَ الهمُّ مُبطنٌ سقمي  
فأعجبتَه ، واستامَ مولاها فاشتط عليه فأبى شراءها ، وأعجبت الجارية  
بالفتى ، فلما امتنع مولاها من البيع إلا بشطط قال القرشي : فلا حاجة لنا في  
جارتك ، فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتها ، تقول :  
\* إذا لم تستطع شيئا فدعه \* البيت .  
قال : فقال الفتى القرشي : أفأنا لا أستطيع شراءك ؟ والله لأشتريتك بما  
بلغت ، قالت الجارية : فذلك أردت . قال القرشي : إني لا أخيبك ، وابتاعها  
من ساعته .

والشاهد فيه : الارصاد ، ويسميه بعضهم التسهم ، وهو : أن يجعل قبل  
العجز من الفقرة أو البيت ، ما يدل على العجز إذا عرف الروي — وهو الحرف  
الذي تبنى عليه أواخر الأبيات أو الفقر — ويجب تكراره في كل منها فإنه  
قد يكون منها ما لا يعرف منه العجز لعدم معرفة حرف الروي كقول البحتری  
[ من الطويل ] :

أَحَلَّتْ دمي من غير جرم وحرَّمت بلا سبب يوم اللقاء كلامي  
فليس الذي قد حلت بمخلل وليس الذي قد حرمت بحرام  
فانه لو لم يعرف أن القافية مثل سلام وكلام لربما توهم أن العجز بمحرم ،  
وقول جنوب أخت عمر وذى الكَلْب [ من المتقارب ] :  
وخرق تجاوزت مجهوله بوجناء حرف تشكَّى الكلالا  
فكنت النهار به شمسه وكنت دجى الليل فيه الهلالا  
والقول فيه كالذى قبله

(١) رول ابن حجة في البحث التسهم من خزانة الأدب (١٥٧) كثيرا من  
الشواهد التي ذكرها المؤلف هنا

ومما اختير من شواهد هذا النوع قول الراعي [من الوافر]:  
 وإن وُزِنَ الحصى فوزَنتُ قومي وجدتُ حصى ضريريتهم وزينا  
 وقد حكى أن عمر بن أبي ربيعة الخزومي جلس إلى ابن عباس رضي الله  
 عنهما فابتدأ ينشده:

\* تشطُّ غداً دارُ جيراننا \*

فقال ابن عباس رضي الله عنه:

\* وللدارُ بعدَ غداً أبعْدُ \*

وكان كذلك ولم يسمع غير الشطر الأول.  
 وكذلك يحكى عن عدى بن الرِّقاع أنه أنشد في صفة الظبية وولدها [من  
 الكامل]:

\* تُزجى أغْنٌ كأنَّ إبرة رَوْقِهِ \*

وغفل الممدوح عنه فسكت، وكان جرير حاضراً ف قيل له: ما تراه يقول؟  
 فقال جرير:

\* قلم أصابَ من الدواة مدادها \*

وأقبل عليه الممدوح فقال كما قال جرير لم يغادر حرفاً  
 ومنه قول الخنساء [من المتقارب]:

ببيض الصفاح وسمر الرماح فبالبيض ضرباً وبالسمروخزا  
 وقول دعبل [من الرمل]:

وإذا عاندنا ذو قوّة غضب الروح عليه فخرج

فعلى أيماننا يجرى الندى وعلى أسيافتنا تجري المهبج

ومن جيده قول بعضهم [من الطويل]:

ولو أننى أعطيتُ من دهرى المنى وما كل من يُعطى المنى بمسدد

لقلت لأيام مضين ألا أرجعي      وقلت لأيام أتين ألا أبمدى  
وما أحسن قول البحترى [ من الكامل ] :

أبكيكما دمعاً ولو أتى على      قدّر الجوى أبكى بكيكما دماً  
وحدث إبراهيم بن أبي محمد البزدي قال : كنت عند المأمون يوماً وبحضرته  
عريب فقالت له على سبيل الودع : يا سلعوس ، وكانت جوارى المأمون يلقبني  
بذلك عبثاً ، فقلت [ من الطويل ] :

وقل لعريب لا تكوني مسلعه      وكوني كتعريف وكوني كؤنسه  
فقال المأمون :

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن      هنالك شيء ، إن ذا منك وسوسه  
فقلت : كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول ، وعجبت من ذهن  
المأمون وطبعه وفطنته  
ولؤلؤه من أبيات [ من الكامل ] :

ليس التقدم بالزمان مقدماً      أحداً ولا التأخير فيه يؤخراً  
فلكل عصر مستجد تبع      ولكل وقت مقبل إسكندر  
ومدح أبو الرجاء الأهوازي صاحب ابن عباد لما ورد الأهواز بقصيدة منها  
[ من السريع ] :

إلى ابن عباد أبي القاسم الـ      صاحب إسماعيل كافي الكفاة  
فاستحسن جمعه بين اسمه ولقبه وكنيته واسم أبيه في بيت واحد ، ثم ذكر  
وصوله إلى بغداد وملكه إياها فقال :

\* ويشرب الجندُ هنيئاً بها \*

فقال له ابن عباد : أمسك أمسك ، أتريد أن تقول :

\* من يعد ماء الرى ماء الفراء \*

فقال : هكذا والله أردت ، وضحك

وعمر<sup>(١)</sup> بن معدى كرب هو : أبو عبد الله ، وقيل : أبو ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عاصم<sup>(٢)</sup> بن عمرو بن زبيد ، ينتهي نسبه لقحطان ، ويكنى أبا ثور ، وأمّه وأُم أخيه عبد الله امرأة من جرهم<sup>(٣)</sup> فيما ذكر ، وهى معدودة من المنجيات ، وعن أبي عبيدة قال : عمرو بن معدى كرب فارس اليمى ، وهو مقدم على زيد الخليل فى الشدة والبأس

ترجمة  
عمرو بن  
معدى كرب  
الزبيدي

وعن زيد بن قحيف الكلبي قال : سمعت أشياخنا يزعمون أن عمرو بن معدى كرب كان يقال له مائق بنى زبيد ، فبلغهم أن خثعم تريد لهم ، فتأهبوا لهم وجمع معدى كرب بنى زبيد ، فدخل عمرو على أخته فقال لها : أشبعيني إني غدا آتى الكتبية ، فجاء معدى كرب فأخبرته ابنته فقال : هذا المائق يقول ذلك ؟ قالت : نعم ، قال : فسليه ما يشبعه ، فسأله فقال : فرق من ذرة وعنز رباعية ، قال : وكان الفرق يومئذ ثلاثة أصع ، فصنع له ذلك وذبح العنز وهياً الطعام ، قال : فجلس عمرو عليه فسلبته جميعاً ، وأنتهم خثعم الصباح ، فلقوهم ، وجاء عمرو فرمى بنفسه ثم رفع رأسه فاذا لواء أبيه قائم ، فوضع رأسه ثم رفعه فاذا هو قد زال ، فقام كأنه سرحة محرقه فتلقى أباه وقد انهزموا ، فقال له : انزل عنها ، فقال : إليك يا مائق ؟ فقال له بنوز بيد : خله أيها الرجل وما يريد فان قتل كفيت مؤنته وإن ظهر فهو لك ، فألقى إليه سلاحه ثم ركب فرمى خثعم بنفسه حتى خرج من

(١) تجد ترجمة عمرو بن معدى كرب الزبيدي فى الشعراء لابن قتيبة (٢١٩) وفى الأغاني (١٤ : ٢٥ - ٤١) وفى خزانة الأدب للبغدادى (١ - ٤٢٢ و ٣ - ٤٦٠)

(٢) فى الأغاني « ابن عاصم »

(٣) فى الأغاني « من جرهم » وهو الصواب .

بين أظهرهم ، ثم كرع عليهم ، وفعل ذلك مرارا ، وحملت عليهم بنوزيد ، فانهزمت  
خشعهم وقهروا فليل له يومئذ : فارس بن زبيد

وكان من خبر إسلام عمرو بن معدى كرب الزبيدي ما حكاه المدائني عن  
أبي اليقظان عن جويرية بن أسماء ، قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من  
غزاة تبوك يريد المدينة ، فأدرك عمرو بن معدى كرب الزبيدي في رجال من  
بنى زبيد ، فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسك عنه حتى  
أوذن به ، فلما تقدم ورسول الله يسير قال : حياك إلهك أبيت اللعن ، فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين  
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، فأمن بالله يؤمنك الله يوم الفزع الأكبر » فقال عمرو  
ابن معدى كرب : وما الفزع الأكبر ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه فزع  
ليس كما تحسب وتظن ، إنه يصاح بالناس صيحة لا يبقى حي إلا مات إلا ماشاء  
الله تعالى من ذلك ، ثم يصاح بالناس صيحة لا يبقى ميت إلا نشر ، ثم تلج تلك  
الأرض بدوى تنهد منه الأرض وتخر منه الجبال وتنشق السماء انشقاق القبطية  
الجديدة ماشاء الله من ذلك ، ثم تبرز النار فينظر إليها حمراء مظلمة قد صار لها  
لسان في السماء ترمى بمثل رؤوس الجبال من شرر النار ، فلا يبقى ذو روح إلا  
انخلع قلبه وذكر ذنبه ، أين أنت يا عمرو ؟ فقال : إني أسمع أمرا عظيما ، فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عمرو أسلم تسلم » فأسلم وبايع لقومه على الاسلام  
وذلك منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ، وكانت في رجب  
سنة تسع

وعن أبي عبيدة قال : لما ارتد عمرو بن معدى كرب مع من ارتد عن  
الاسلام من منحج استجاش فروة<sup>(١)</sup> النبي صلى الله عليه وسلم فوجه إليهم خالد

(١) فروة : هو فروة بن مسيكة المرادي ، وكان قد قدم معه عمرو بن  
معدى كرب على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم  
(١٦ — معاهد ٢)

ابن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما: إذا اجتمعتم فعلى بن أبي طالب أميركم وهو على الناس، ووجه عليا رضى الله عنه، فاجتمعوا بكسر من أرض اليمن، فاقتتلوا وقتل بعضهم ونجا بعض، فلم تزل جعفر وزيد وأدد بنو (١) سعد العشيرة بعدها قليلة (٢) يروى أنه لما بلغ عمر وبن معدى كرب قرب مكانهم أقبل في جماعة من قومه، فلما دنا منهم قال: دعوني حتى آتى هؤلاء القوم فاني لم أسمَ لأحد قط إلا هابني، فلما دنا منهم نادى: أنا أبو ثور، أنا عمرو بن معدى كرب فابتدره علي وخالد وكلاهما يقول لصاحبه: خلني وإياه، ويفديه بأبيه وأمه، فقال عمر واذ سمع قولهما: العرب تفزع مني، وأراني هؤلاء جزراً، فانصرف عنهما ثم رجع إلى الإسلام، وفي هذا الوجه وقعت الصمصامة (٣) إلى آل سعيد، وكان سبب وقوعها إليهم أن رجلاً بنت معدى كرب، وهي المعنية أول القصيدة، سبيت يومئذ فأفداها (٤) خالد، وأثابه عمرو الصمصامة، فصار إلى أخيه سعيد فوجد سعيد جريحاً يوم قتل عثمان رضى الله عنه حين حصر (أى فى الدار) وقد ذهب السيف والغمدة، ثم وجد الغمد، فلما قام معاوية جاءه أعرابي بالسيف بغير غمد، وسعيد حاضر، فقال سعيد: هذا سيفي، فنجح الأعرابي مقالته، فقال سعيد: الدليل على أنه سيفي أن تبعث إلى غمده فتغمده فيكون كفافه، فبعث معاوية إلى الغمد فأتى به من منزل سعيد فإذا هو عليه، فأقر الأعرابي أنه أصابه يوم الدار، فأخذ سعيد منه وأثابه، فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدي من البصرة

== الله عليه وسلم فروة على صدقات من أسلم منهم، وأمره أن يدعو الناس ويتألفهم وأنه إذا وجد القرصة ينتهزها ويفزو المشركين.

(١) فى مطبوعة بولاق «وأود بن سعد العشيرة» وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني

(٢) فى مطبوعة بولاق «قبيلة» وأثبتنا ما فى الأغاني

(٣) الصمصامة: سيف عمرو بن معدى يسكرب

(٤) فى الأغاني «ففداها خالد»

[ فلما كان بواسط <sup>(١)</sup> ] فأرسل إلى آل سعيد فيه ، فقالوا : إنه للسبيل ، فقال :  
خمسون سيفاً قاطعاً أغنى من سيف واحد ، فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه  
وعن الشعبي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرض لعمر بن معدى كرب  
في الفء ألفين فقال له : يا أمير المؤمنين ألف ههنا ، وأوماً إلى شق بطنه  
الأيمن ، وألف ههنا ، وأوماً إلى شق بطنه الأيسر ، فما يكون ههنا ؟ وأوماً إلى  
وسط بطنه ، فضحك عمر من كلام عمرو رضوان الله تعالى عليهما ، وزاده  
خمسائة .

وقال أبو اليقظان : قال عمرو بن معدى كرب : لو سرت بظعينة وحدى على  
مياه معد كلنا ما خفت أن أغلب عليها ما لم يلتقى حراها وعبداها ، فأما الحران  
فعمار بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان فأسود بنى عبس  
- يعنى عنترة - والسليك بن السلكة ، وكلهم لقيت ، فأما عامر بن الطفيل  
فسريع الطعن على الصوت ، وأما عتيبة بن الحرث فأول الخليل إذا غارت وآخرها  
إذا آبت ، وأما عنترة فقليل النبوة شديد الكلب ، وأما السليك فبعيد الغارة  
كاليث الضاري

وعن قيس أن عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص : إني قد  
أمددتك بألفى رجل عمرو بن معدى كرب وطليحة بن خويلد وهو طليحة  
الأسدى ، فشاورهما في الحرب ولا تولهما شيئاً

وعنه قال : شهدت القادسية ، وكان سعد على الناس ، فجاء رستم فجعل يمر  
بنا وعمرو بن معدى كرب الزبيدى يمر على الصفوف ويحضر الناس ويقول :  
يا معشر المهاجرين ، كونوا أسداً ، أعنى عباساً <sup>(٢)</sup> فانما الفارسي تيس بعد أن

(١) زيادة عن الأغاني

(٢) في الأغاني « كونوا أسداً أعنى ثابتة »



يلقى ببرك<sup>(١)</sup>، قال : وكان مع رستم أسوار لا تسقط له نشابة ، قليل له : يا أبا ثور اتق ذلك ، فانا لنقول له ذلك إذ زماه رمية فأصاب فرسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه وسلبه سوارى ذهب كاتا عليه ، وقباء ديباج ، قال غير قيس :  
ورجع بسلبه وهو يقول [ من الرجز ] :

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون      أضربهم ضرب غلام مجنون

\* يال زبيد إنهم يموتون \*

وفي رواية عن أبي زيد أن عمراً شهد القادسية ، وهو ابن مائة وست سنين وقيل : بل ابن مائة وعشر ، ولما قتل العليج عبر نهر القادسية<sup>(٢)</sup> هو وقيس ابن مكشوح المرادي ، ومالك بن الحارث الأشتر ، وكان عمرو آخرهم ، وكانت فرسه ضعيفة ، فطلب غيرها ، فأتى بفرس فأخذ بعكوة<sup>(٣)</sup> ذنبه وأخلده<sup>(٤)</sup> إلى الأرض ، فألقى الفرس ، فردده وأتى بآخر ، ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع ، فقال هذا على كل حال أقوى من ذلك ، وقال لأصحابه : إني حامل وعابر الجسر ، فان أسرعتم بمقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقد عقرني القوم وأنا قائم بينهم ، وقد قتلت وجردت ، وإن أبطأتم وجدتموني قتيلا بينهم وقد قتلت وجردت ، ثم انغمس فحمل في القوم ، فقال بعضهم : يا بني زبيد على ما تدعون صاحبكم؟ والله ما نرى أن تدركوه حياً ، فحملوا ، فانهوا إليه وقد صرع عن فرسه ، وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها ، وإن الفارس

(١) في مطبوعة بولاق « بعد أن يلقى نيزكه » وأثبتنا ما في الأغاني

(٢) في الأصل « عبر نهر القادسية » وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

(٣) في الأصل « بعكدة ذنبه » وما أثبتناه موافق لما في الأغاني ،

والعكوة - بضم العين ، وتفتح - أصل الذنب

(٤) في الأغاني « وأجلده به »

ليضرب الفرس فلا تقدر أن تتحرك من يده ؛ فلما غشنا رُمى الأعجمي بنفسه  
وخلّى فرسه فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور ، كدتم والله تفقدوني ؛ قالوا : أين  
فرسك ؟ قال : رمى بنشابة فشب فضرعني وعار<sup>(١)</sup>

وعن أبان بن صالح قال : قال عمرو بن معدى كرب يوم القادسية : أزموا  
خراطين الفيلة السيوف فانه ليس لها مقتل إلا خراطينها ، ثم شد على رستم وهو  
على الفيل فضرب فيه فجذم<sup>(٢)</sup> عرقوبه فسقط وحمل رستم على فرس ، وسقط  
من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار فخازه المسلمون ، وسقط رستم بعد ذلك عن  
فرسه فقتله وانهمزم المشركون . وقيل : إن الخرج سقط عليه فقتله

وعن الشعبي قال : جاءت زيادة من عند عمر يوم القادسية فقال عمرو بن  
معدى كرب لطليحة : أما ترى أن هذه الزعانف<sup>(٣)</sup> تزد ولا تزد ، انطلق بنا  
إلى هذا الرجل حتى نكلمه ، فقال : هيهات ، والله لا ألقاه في هذا أبداً ، فلقد  
لقيني في بعض فجاج مكة فقال : يا طليحة ، أقتلت عكاشة ؟ فتوعدني وعيداً  
ظننت أنه قاتلي ، ولا آمنه ، قال عمرو : ولكنني ألقاه ، قال : أنت وذاك ، فخرج  
إلى المدينة ، فقدم على عمر رضي الله عنه وهو يُعَدِّي الناس ، وقد جَنَنَ لعشرة

(١) في الأصل « وغار » بالغين معجمة - وهو تحريف ما أثبتناه ، ويقال  
عار الفرس والسكلب - بالعين مهملة - إذا ذهب وانقلت

(٢) في الأصل « فجزم » بالزاي محرفاً

(٣) في الأصل « أما ترى هذه الزعانف تزد ولا تزد » وفيه تحريف في  
موضعين ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني ، والزعانف : جمع زعنفة - بكسر  
الزاي والنون بينهما عين ساكنة - وأصلها القطعة من الثوب ، ثم تطلق على  
الردل من الناس ، وأراد بهذه العبارة أن الخليفة قد منح أراذل الناس من  
المقاتلة ولم يمنحهما .

عشرة ، فأقعد عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقيم عمرو ، فأقعد معه تكلمة عشرة (١) حتى أكل مع ثلاثين ، ثم قام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لي مائة كل في الجاهلية منعني منها الاسلام ، وقد صررت في بطني صرتين وتركتهما هواء فسد ، فقال : عليك حجارة من حجارة الجرة فسد بها يا عمرو ، إنه بلغني أنك تقول : إن لي سيفاً يقال له : الصمصامة ، وعندى سيف اسمه المصمم (٢) وإني إن وضعته بين أذنك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك .

وحدث يونس وأبو الخطاب ، قالا : لما كان يوم فتح القادسية ، أصاب المسلمون أسلحة ، وتيجاناً ، ومناطق ، ورقاباً ، فبلغت مالا عظيماً ، فعزل سعد الحرس ، ثم فض البقية . فأصاب الفارس ستة آلاف ، والراجل ألفان . وبقي مال دثر (٣) ، فكتب إلى عمر رضى الله عنه بما فعل ، فكتب إليه [ أن رد على المسلمين الحرس ، وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الواقعة ، ففعل ، فأجراهم مجرى من شهد ، وكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه ] (٤) أن فض ما بقي على حملة القرآن ، فأتاه عمرو بن معدكرب ، فقال له سعد : ما معك من كتاب الله؟ فقال عمرو : إني أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن ، قال : مالك في هذا المال نصيب ، وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمي ، وصاحب جباية بشر (٥)

(١) في الأصل « ولم يقيم عمرو فأقعد مع عشرة » وهي محرفة عما أثبتناه موافقا لما في الأغاني

(٢) في الأغاني « أسميه المصمم »

(٣) دثر - بفتح الدال وسكون الاء المثناة - كثير

(٤) هذه الزيادة ساقطة من الأصل ، وهي في الأغاني عن يونس وأبي

الخطاب اللذين أسند المؤلف الرواية إليهما

(٥) في الأصل « بشر بن ربيعة الخثعمي صاحب جباية بشر » محرفاً وساقط

الواو ، وأثبتنا ما في الأغاني

فقال : ما معك من كتاب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فضحك القوم ، ولم يعطه شيئاً ، فقال عمرو في ذلك [ من البسيط ] :

إِذَا قُتِلْنَا وَلَا يَبْكِي لَنَا أَحَدٌ      قَالَتْ قَرِيْشٌ أَلَا تِلْكَ الْمَقَادِيرُ  
نُعْطَى السُّوْيَةَ مِنْ طَعْنٍ لَهُ نَفَذٌ      وَلَا سُوْيَةَ إِذْ تُعْطَى الدَّنَانِيرُ  
وَقَالَ بَشْرُ بْنُ رَبِيعَةَ [ من الطويل ] :

أَنْتَحْتُ بِيَابَ الْقَادِسِيَّةِ نَاقَتِي      وَسَعْدُ بْنُ وَقَاصٍ عَلَى أَمِيرٍ  
وَسَعْدُ أَمِيرٌ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ      وَخَيْرٌ أَمِيرٌ بِالْعِرَاقِ جَرِيرٌ  
وَعِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَوَافِلُ      وَعِنْدَ الْمُتَنِّىِ فَضَةٌ وَحَرِيرٌ  
تَذَكَّرْ هَذَاكَ اللَّهُ وَقَعَ سَيُوفُنَا      بِيَابِ قَدِيسٍ وَالْمَكْرُ عَسِيرٌ  
عَشِيَّةً وَذَ الْقَوْمُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ      يُعَارِ جَنَاحِي طَائِرٍ فَيَطِيرُ  
إِذَا مَا فَرَّغْنَا مِنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ      دَلَفْنَا لِأُخْرَى كَلْجِبَالٍ تَسِيرُ  
تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا وَاجِهِينَ كَأَنَّهُمْ      جَمَالٌ بِأَحْمَالٍ لَهْنٌ زَفِيرُ

فكتب سعدٌ إلى عمر رضى الله عنه بما قال لهما وما رَدَا عليه ، وبالقصيدتين ، فكتب أن أعطهما على بلائهما ، فأعطى لكل واحد منهما ألفى درهم .

وعن ابن قتيبة أن سعداً كتب إلى عمر رضى الله عنه يُثْنِي على عمرو ابن معدى كرب ، فسأل عمر عمراً عن سعد ، فقال : هو لنا كالأب ، أعرابي في نمرته ، أسد في تامورته ، يقسم بالسوية ، ويعدل في القضية ، وينفر<sup>(١)</sup> في السرية ، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة ، فقال عمر رضى الله عنه : لشدة ما تقارضتا الثناء .

(١) في الأصل «وينعر» محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في الشعراء لابن قتيبة الذي نقل عنه المؤلف .

وجاء رجل وعمر بن معدى كرب واقف بالكناسة على فرس له ، فقال :  
لأنظرن ما بقي من قوة أبي ثور ، فأدخل يده بين ساقه وبين السرج ، ففطن  
عمر ، فضمها عليه وحرك فرسه فجعل الرجل يعدو مع الفرس ، لا يقدر أن ينزع  
يده ، حتى إذا بلغ منه قال : يا ابن أخي ، مالك ؟ قال : يدي تحت ساقك ، فخلني  
عنه ، وقال : يا ابن أخي إن في عمك لبقية بعد .

وكان عمرو - مع شجاعته ومواقفه - مشهوراً بالكذب ، فحدث المبرد قال :  
كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظهرها يتناشدون الأشعار ويتحدثون ،  
ويتذاكرون أيام الناس . فوقف عمرو إلى جانب خالد بن الصقعب النهدي ،  
فأقبل عليه يحدثه ، ويقول : أغرت على بني نهد ، فخرجوا إلى مسترعين  
بخالد بن الصقعب يقدمهم فطعنته طعنة فوق ، وضربته بالصمصامة حتى فاضت  
نفسه ، فقال له الرجل : يا أبا ثور إن مقتولك الذي تذكره هو الذي تحدثه ، فقال :  
اللهم غفرًا ! إنما أنت محدث فاستمع ، إنما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لترهب  
هذه المحدثية (١)

وقال محمد بن سلام : أثبت العرب إلا أن عمرا كان يكذب ، قال : وقلت  
لخلف الأحمر ، وكان مولى للأشعريين ، وكان يتعصب لليمانية : أكان عمرو  
يكذب ؟ قال : كان يكذب باللسان ويصدق بالفعل

وعن زياد مولى سعد قال : سمعت سعداً يقول - وبلغه أن عمرو بن معدى كرب  
وقع في الحمر ، وأنه قد دله - : لقد كان له موطن صالح يوم القادسية عظيم (٢)  
الغناء شديد النكابة للعدو ، فقليل له : فقيس بن مكشوح ؟ فقال : هذا أبذل لنفسه  
من قيس ، وإن قيساً لشجاع

(١) يريد بالمحدثية العدنانيين من العرب أبناء معد بن عدنان

(٢) في الأصل « عظيم الغناء » بالعين مهملة ، وهو محرف عما أثبتنا

وعن أبي محمد المرهبي قال : كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير فسمعه يحدث قال : قدم عيينة بن حصن الكوفة ، فأقام بها أياماً ، ثم قال : والله مالى بأبى ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط ، يعنى بأبى ثور عمرو بن معدى كرب ، أسرج لى يا غلام ، فأسرج له فرساً أنثى من خيله ، فلما قربها إليه ليركبها ، قال له : ويحك ! أرايتنى ركبت أنثى فى الجاهلية فأركبها فى الاسلام ، فأسرج لى حصاناً فأسرجه ، فركبه وأقبل إلى محلة بنى زبيد . فسأل عن محلة عمرو بن معدى كرب ، فأرشد إليها ، فوقف ببابه ، ونادى : أى أبا ثور أخرج إلينا ، فخرج إليه مؤتزراً كأنما كسر وجبر ، فقال : انعم صباحاً أبا مالك . قال : أو ليس قد أبدلنا الله بهذا السلام عليكم ! قال : دعنا مما لا نعرف ، انزل فان عندى كبشاً شناعاً<sup>(١)</sup> فنزل فعمد إلى الكبش فذبجه ، ثم كشط جلده عنه ، وعضاه<sup>(٢)</sup> وألقاه فى قدر جماع وطبخه حتى إذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فترد فيها وألقى القدر عليها ، فقعدا فأكلاه ، ثم قال له : أى الشراب أحب إليك : اللبن ، أم ما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية ؟ قال : أو ليس قد حرمها الله عز وجل علينا فى الاسلام ؟ قال : أنت أكبر سناً أم أنا ؟ قال : أنت ، قال : أفأنت أقدمُ إسلاماً أم أنا ؟ قال : أنت ، قال : فانى قد قرأت ما بين دفتى المصحف ، فوالله ما وجدت لها تحريماً ، إلا أنه قال ( فهل أنتم منتهون ) فقلنا : لا ، فسكت وسكتنا ، فقال له : أنت أكبر سناً وأقدم إسلاماً ، فجاء بها ، فجلسا يتنادمان ويشربان ويندكران أيام الجاهلية حتى أمسيا ، فلما أراد عيينة

(١) فى الأصل « كبشا ساخا » وفى الأغاني « كبشا سياحا » وأحسبهما جميعاً محرفين عما أثبتناه ، فانه يقال : بكر شناع - بزنة ثمان - إذا كان فتياً ، والشناع والشناحى والشناحية - بتخفيف الياء - الجسم الطويل من الابل .

(٢) عضاه - بتشديد الضاد - قطعه أجزاء

الانصراف قال عمرو بن معدى كرب : ولئن انصرف أبو مالك بغير حياءٍ  
إنها لو صمّ علىّ ، فأمر بناقة له أرْحَبِيَّةٌ كأنها جبيرة لجين ، فارتحلها وحمله  
عليها ، ثم قال : يا غلام ، هات المزود ، فجاء بمزود فيه أربعة آلاف درهم ،  
فوضعها بين يديه ، فقال : أما المالُ فوالله لا قبلته ؛ قال : فوالله إنه لمن  
حباء عمر بن الخطاب. رضى الله عنه ، فلم يقبله عينه ، وانصرف ، وهو يقول  
[ من الطويل ] :

جزيتَ أبا ثورٍ جزاءَ كرامةٍ      فنعمَ الفتى المزدانُ والمتضيفُ  
قريتَ فأكرمْتَ القرى وأفدتنا      خبيةً علمٍ لم تكن قطُّ تُعرفُ<sup>(١)</sup>  
وقلتَ حلالٌ أن تُديرَ مدامةً      كلونِ انعقاقِ البرقِ والليلِ مسدُفُ  
وقدّمتَ فيها حجةً عربيةً      تردّ إلى الانصافِ من ليس ينصفُ  
وأنتَ لنا والله ذى العرشِ قدوةً      إذا صدّنا عن شربها المتكلفُ  
نقولُ أبو ثورٍ أحلَّ حرامها      وقولُ أبى ثورٍ أسدُّ وأعرفُ<sup>(٢)</sup>  
وغزا عمرو بن معدى كرب هو وأبى المرادى فأصابوا غنائم ، فادّعى أبى  
أنه قد كان مسانداً ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً ، وبلغ عمرّاً أنه يتوعّده ، فقال  
عمرو فى ذلك قصيدة أولها [ من الوافر ] :

أعاذلُ شكنتى بدنًى وزُحى      وكلّ مقلّصٍ سلسِ القيادِ<sup>(٣)</sup>  
أعاذلُ إنما أفنى شبابى      وأقرحُ عاتقى ثقلُ النّجادِ<sup>(٤)</sup>

- (١) فى الأغاني « تحية علم » وأراه محرفاً عما هنا  
(٢) فى الأصل « تقول أبانور أحل حرامها » وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني  
(٣) فى الأصل « أعاذل سكنتى » محرفاً وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني  
(١٤ - ٣٣ ) والشعراء لابن قتيبة ( ٢٢٢ )  
(٤) روى ابن قتيبة عجز هذا البيت

\* ركوبى فى الصريح إلى المنادى \*

تَمَنَّانِي لِيَلْقَانِي أَبِي ُ      ووددت وأينا منى ودادى  
 ولولا قيتنى ومعى سلاخى      تكشف شحم قلبك عن سواد  
 أريد حياته ويريد قتلى      عذيرك من خليلك من مراد (١)  
 وهذا البيت كان يتمثل به على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا أعطى الناس  
 ورأى ابن ملجم قاتله الله

وكان سبب موت عمرو بن معدى كرب ما حكاه ابن قتيبة وغيره قالوا :  
 كانت مغازى العرب إذ ذاك الرى ودمسقى فخرج عمرو مع شباب من منحج حتى  
 نزل الخان الذى دون روضة ، فتعدى القوم ثم ناموا وقام كل رجل منهم لقضاء  
 حاجته ، وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يجترئ أحد أن يدعوهم وإن أبطأ ، فقام  
 الناس للرحيل وترحلوا إلا من كان فى الخان الذى فيه عمرو ، فلما أبطأ صحننا به :  
 يا أبا ثور ، فلم يجبنا ، وسمعنا عازنا شديدا (٢) ومراسا فى الموضع الذى دخله ، فقصدناه  
 وإذا به محمرا عيناه مائلا شدة مقلوبا فحملناه على فرس ، وأمرنا غلاما شديدا  
 الذراع فارتدفه ليعدل ميله ، فمات بروضة ، ودفن على قارعة الطريق ، فقالت  
 امرأته الجعفية ترثيه [ من الطويل ]

لقد غادر الركب الذين تحملوا      بروضة شخصا لا ضعيفا ولا عمرا  
 فقل لزبيد بل لمنحج كلها      فقد تم أبا ثور سنانكم عمرا  
 فان تجزعوا لا يغنى ذلك عنكم      ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا

(١) فى الأغاني « أريد حيا » وهو المعروف فى رواية هذا البيت  
 (٢) العاز - بفتح العين واللام جميعا - قلق وخفة وهلع المريض والأسير  
 والحريص والمحتمض وفعله من باب فرح ، وهو عاز كفرح أى قلق ، والمراس  
 - بكسر الميم - الشدة ومعالجة الأمر



شاهد للمشكلة ١١٩ — قالوا اقترح شيئاً نُجِدُ لك طبخه قلت اطبخوا لي جبةً وقيصا

البيت من الكامل ، وقائله أبو الرعمق ، يروى أنه قال : كان لي إخوان أربعة ، وكنت أنادهم أيام الأستاذ كافور الإخشيدى ، فجاءني رسولهم في يوم بارد ، وليست لي كسوة تحصنني من البرد ، فقال : إخوانك يقرأون عليك السلام ويقولون لك : قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشتبه علينا ما نطبخ لك منها ، قال : فكتبت إليهم [ من الكامل ] :

إخواننا قصدوا الصبوح بسحرة فآتي رسولهم إلى خصوصاً

قالوا اقترح شيئاً نُجِدُ لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقيصا

قال : فذهب الرسول بالرقعة ، فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر في كل صرة عشرة دنائير ، فلبست إحدى الخلع وصرت إليهم

والشاهد فيه : المشكلة ، وهى : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا ، وهى هنا قوله اطبخوا فانه أراد خيطوا فذكر خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام

ومثل البيت قول ابن جابر الأندلسي [ من الكامل ] :

قالوا اتخذ دهنًا لقلبك يشفه قلت ادهنوه بخدها المتورد

وذكرت باشتهاء أبي الرعمق قول بعضهم [ من الخفيف ] :

قال لي عودى غداة أتوني ما الذى تشتهيه واجتهدوا بي

قلت مُعْلَى فيه لسان وشاة قطعوه فيه بصنع عجيب

وأضيفت إليه كبِدُ ح سود فقيت فوقها عيون الرقيب

وقول الآخر [ من الكامل ] :

عندى لكم يوم التواصل فرحة يا معشر الجلساء والندماء

من أمثلة  
المشاكلة

أشوى قلوب الحاسدين بها وألسنة الوشاة وأعين الرقباء  
ومن أمثلة المشاكلة قول عمرو بن كلثوم في معلقته [من الوافر] :  
ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا  
أراد : فنجازيه على جهله ؛ فجعل لفظة « فنجهل » موضع « فنجازيه »  
لأجل المشاكلة .

ومثل الأول ما حكى عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، أنه كان يشرب  
في منزله ، وعنده ماني الموسوس ، فقال عبيد الله [من الوافر] :  
أرى غيماً تؤلفه جنوبٌ وأحسب أن ستأتينا بهطل  
فحزمُ الرأي أن تأتى برطل فتشربه وتأتيني برطل  
فقال : ما هكنا قال الشاعر ، وإنما هو :

أرى غيماً تؤلفه جنوبٌ أراه على مساءتنا حريصاً  
فحزمُ الرأي أن تأتى برطل فتشربه وتكسوني قيصاً

ترجمة أبي  
الرقعمق

وأبو الرقعمق <sup>(١)</sup> هو أحمد بن محمد الأنطاكي الشاعر المشهور ، ذكره  
الشمالي في اليتيمة فقال : هو نادرة الزمان ، وجملة الاجسان ، ممن تصرف بالشعر  
[الجزل <sup>(٢)</sup>] في أنواع الجد والهزل ، وأحرز قصبات الفضل ؛ وهو أحد المداح  
المجيدين ، والشعراء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج <sup>(٣)</sup> بالعراق . ومدح ملوك  
مصر ووزراءها : فمن غرر شعره قوله بمدح الوزير يعقوب بن كلثوم ؛  
[من الخفيف] :

(١) تجد ترجمة أبي الرقعمق في يتيمة الدهر (١ - ٢٦٩ مصر)

(٢) زيادة عن اليتيمة

(٣) في الأصل « كابن الحجاج » وقد أثبتنا ما ورد في اليتيمة

قد سمعنا . قاله واعتذاره      وأقلناه ذنبه وعشاره  
والمعاني لمن عنيت ولكن      بك عرّضت فاسمعي يا جارة  
منها :

سحرتني الحاظه وكذا كل مليح عيونه سحاره  
ما على مؤثر التباعد والاعراض لو أثر الرضا والزيارة  
وهي طويّلة، وأكثر شعره جيد على هذا الأسلوب. مثل صريع الدلاء والقصار.  
ومن شعره على طريق ابن حجاج قوله [ من مجزوء الكامل ] :

كتب الحصيد إلى السرير      أن الفصيل ابن البعير  
فلا تمنع جاراتي      سنتين من أكل الشعير  
لاهم إلا أن تطير      ر من الهزال مع الطيور  
ولا أخبرك قصتي      فلقد سقطت على الخبير<sup>(١)</sup>  
إن الذين تصافعوا      بالقرع في زمن القشور  
أسفوا على لأنهم      حضروا ولم أك في الحضور  
لو كنت ثم لقل هك      من أخذ بيد الضرب  
ولقد دخلت على الصديق البيت في اليوم المطير  
متشمرًا متبخترًا      للصفع بالدلو الكبير  
فأردت حين تبادروا      دلوى فكان على المدير<sup>(٢)</sup>  
يا للرجال تصافعوا      فالصفع مفتاح السرور

(١) في البيتمة « فلقد وقعت على الخبير » وما هنا أقرب إلى قولهم في المثل  
« على الخبير بها سقطت »

(٢) في الأصل « فأردت حين تبادروا » وما أثبتناه موافق لما في البيتمة  
ويقتضيه عجز البيت

هو في المجالس كالبخو ر وكالقلائد في النحور<sup>(١)</sup>  
وله قصيدة طويلة مشهورة أولها [ من مجزوء الرجز ] :  
وقوقتي وقوقتي هدية في طبق<sup>(٢)</sup>  
أما ترون بينكم تيساً طويل العنق  
وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

\* \* \*

شاهد المزاجية

١٢٠ — إذا ما نبى النأهى فلجّ بي الهوى  
أصاحت إلى الواشى فلجّ بها الهجر  
البيت للبحترى ، من قصيدة<sup>(٣)</sup> من الطويل في الفتح بن خاقان ، أولها  
متى لاح برقٌ أو بدا طللٌ قفرُ جرى مُستَهْلٌ لا بطيء ولا ترزُ  
وما الشوق إلا لوعةٌ بعد لوعةٍ وغزُر من الآماق تتبعها غزُرُ  
فلا تذكرَا عهدَ التصابي فانه تقضى ولم يشعر به ذلك العصر<sup>(٤)</sup>  
إلى أن يقول فيها :  
هل العيش إلا أن تساعفنا النوى بوصل سعاد أو يساعدنا الدهرُ  
إلى أن يقول فيها :

(١) في اليتيمة روى هذا البيت :

هو في المجالس كالبخو ر فلا تملوا من بخورى

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله وقوقتي إلخ » هو كالذى قبله من قبيل المجون الذى قد يؤتى فيه بالفاظ خالية من المعانى « اهـ

(٣) أقرأها في الديوان ( ١ - ٢١٧ )

(٤) في الديوان \* تقضى ولم يشعر به ذلك العصر \* وهو أرق

على أنها ما عندها لمُوَاصِلٍ وصالٌ ولا عنها المصطبر صبرٌ  
وبعد البيت ، وهى طويلة يقول منها فى المخلص :  
لعمرك ما الدنيا بناقصة الجدا إذا بقى الفتح بن خاقان والقطر (١)  
ومعنى أصاغت استمعت ، والواشى : النمام الذى يشى حديثه ويزينه  
والشاهد فيه : المزاوجة ، وهى : أن يزواج المتكلم بين معنيين فى الشرط  
والجزاء ، فهنا زواج بين نهى الناهى وإصاغتها إلى الواشى الواقعين فى الشرط  
والجزاء فى أن يترتب عليهما لجأج شئ .  
ومثله قوله أيضا [ من الطويل ] :  
إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها (٢)  
فزواج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين فى الشرط والجزاء فى ترتب  
فيضان شئ عليهما .

من أمثلة  
المزاوجة

ومن المزاوجة قول أبى تمام [ من المتقارب ] :  
وكنا جميعاً شريكى عنانٍ رضيعى لبانٍ خليلي صفاء  
وفى معنى صدر البيت قول أبى نواس [ من البسيط ] :  
دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاهُ وَدَاوِيَّ بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاهِ  
وقول ابن زريق البغدادى [ من البسيط ] :  
لَا تَعْذِلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُوَلِّعُهُ قَدْ قُلْتُ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ  
وقول ابن شرف القيروانى [ من الكامل ] :  
قُلْ لِلْعَذُولِ لَوَاطَلْتُ عَلَى الَّذِي عَايَنْتُهُ لَمَنَّاكَ مَا يَعْنِينِي (٣)

(١) الجدار برنة الفتى - الخبر ، والقطر - بفتح فسكون - المطر

(٢) احتربت : أراد حازبت

(٣) فى الأصل « أعناك ما يعنينى » وعندنا أنه محرف عما أثبتناه

أتصدّئني أم للغرام تردّئني وتلومني في الحب أم تغرييني  
دعني فليست معاقباً بجنايتي إذ ليس دينك لي ولالك ديني  
وقول الصابي [ من الخفيف ] :  
أيها اللائم المضيق صدرى لاتلمني فكثرة اللوم تغري  
قد أقام القوام حجة عشقي وأبان العذار في الحب عذري

\*\*\*

١٢١ — قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم شاهد الرجوع

البيت من البسيط، وهو أول قصيدة لزهير<sup>(١)</sup> بن أبي سلمى، يمدح بها  
هرم بن سنان، وبعده :

لا الدار غيرها بعد الأنيس ولا بالدار لو كلمت ذا حاجة صمم  
دار لأسماء بالغميرين مائلة كالوحي ليس لها من أهلها أرم<sup>(٢)</sup>  
يقول منها في مدحه :

إن البخيل ملوم حيث كان ولكن الجواد على علاقته هريم

(١) إقرأها في الديوان (ص ١٤٥ طبع دار الكتب)

(٢) الغمر - بفتح فسكون - اسم موضع، وقد ثناه باعتبار ناحيته أو  
أنه ضم إليه مكاناً يجاوره فغلب اسم هذا على ذلك، وكثيراً ما يفعل الشعراء  
ذلك لأحد هذين الوجهين. والمائل، هنا : الذهاب الذي لا يرى له شخص، وليس  
بها أرم : أي ليس بها أحد، وتقول : ليس بهذه الدار أحد، ولا أرم، ولا  
عريب، ولا ديسح - بزنة سكين - ولا كتيع، ولا ديار، ولا نافخ  
ضربة، وابن درستويه يقول : ليس بها أرم، من الأرم - بزنة سيب -  
وهو العلم، والمراد ليس بها ناصب علم.

هو الجوادُ الذي يعطيك نائله      عفوًا ويُظلمُ أحيانًا فيظلمُ  
فإن أتاهُ خليلٌ يومَ مسألةٍ      يقولُ لا غائبٌ مالي ولا حرمٌ  
وهي طويلة.

والأرواح : جمع ريح ، ويجمع على أرياح أيضا ، وريح ، وريح — بكسر  
الراء وفتح الياء — والديم : جمع ديمة ، وهي المطر الدائم في سكون .  
والشاهد في البيت : الرجوع ، وهو العود إلى الكلام السابق ، بالنقض  
والإبطال لنكتة ، فهنا دل صدر البيت على أن تطاول الزمان وتقدم العهد لم  
يعف الديار ، ثم عاد إليه ونقضه في عجز البيت بأنه قد غيرتها الرياح والأمطار<sup>(١)</sup>  
لنكتة ، وهي هنا : إظهار الكآبة والحزن والحيرة والدهش ، كأنه أخبر أولا  
بما لم يتحقق ، ثم رجع إليه عقله وأفاق بعض الافاقة فنقض كلامه السابق .  
ومثله قول الشاعر<sup>(٢)</sup> [ من الطويل ] :

من أمثلة  
الرجوع

ه فافٍ لهذا الدهر لا بلٍ لأهله \*

وقول ابن الطائرية [ من الطويل ] :

أليسَ قليلاً نظرةً إن نظرتها      إليك؟ وكلاً ليسَ منك قليلٌ

وقول أبي البيداء [ من الطويل ] :

(١) هذا قول ذهب إليه أبو عبيدة ، وتبعه عليه جمهرة العلماء ، وكان أبو  
زياد يقول : معنى البيت أن بعض الديار قد عفا ولم يعف بعض آخر  
(٢) مثل هذا من قول الشعراء قول الطهوي :

فلا تبعدن يا خير عمرو بن جندب      بلى إن من زار القبور ليبعدا  
وقول سلامة بن جندل السعدي :

لمن ظل مثل الكتاب المنمق      عفا عهده بين الصليب فطرق  
أكب عليه كاتب بدواته      وحادثه للعين جدة مهرق

ومالى أنتصار إن غداً المدهرُ جائرًا      على ، بلى إن كان من عندك النصرُ  
وقول المتنبي [من الطويل] :

لِجَنِّيَّةٍ أُمُّ غَادِقٍ رَفَعَ السَّجْفُ      لَوْحَشِيَّةٍ ، لَأَمَّا لَوْحَشِيَّةٍ شَنْفُ  
وما أحسن قول أبي بكر الخوارزمي في شمس المعالى قابوس بن وشكمير (١) ،  
صاحب جرّجان [من البسيط] :

لم يبقَ فى الأرض من شىءٍ أَهَابُ لَهُ      فَلَمَّ أَهَابُ انْكَسَارِ الْجَفْنِ ذَى السَّقَمِ  
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلِي ، غَلَطْتُ ، بَلَى      أَهَابُ شَمْسِ الْمَعَالَى أُمَّةَ الْأَمْرِ  
وله فيه أيضاً [من المتقارب] :

إِذَا مَا ظَمُنْتُ إِلَى رِيقِهِ      جَعَلْتُ الْمَدَامَةَ مِنْهُ بَدِيلًا  
وَأَيْنَ الْمَدَامَةُ مِنْ رِيقِهِ      وَلَكِنْ أُعْلِلُ قَلْبًا عَلِيلًا

وبديع قول السراوندى [من الكامل] :

كَالْبَدْرِ بَلْ كَالشَّمْسِ بَلْ كَكَلَيْهِمَا      كَاللَّيْلِ بَلْ كَالغَيْثِ هَطَالِ الْبَيْمِ  
وما أطف قول ابن سناء الملك [من الكامل] :

وَمِلَّةٍ بِالْحَسَنِ يَسْخَرُ وَجْهَهَا      بِالْبَدْرِ يَهْزَأُ رِيقَهَا بِالْقَرْقَفِ (٢)  
لَا أَرْضَى بِالشَّمْسِ تَشْبِيهَا لَهَا      وَالبَدْرِ بَلْ لَا أَرْضَى بِالمَكْتَفَى

وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

وَاللَّهِ لَا كَلِمَتَهَا لَوْ أَنَّهَا      كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْمَكْتَفَى

(١) فى المطبوعتين « بن وشكمير » محرفا

(٢) القرقف - بفتح القافين وسكون الراء بينهما - الخمر



١٢٢ — إذا نزل السماء بأرض قوم رَعِينَاهُ وإن كانوا غَضَابًا

نسب غالب شارحى التلخيص هذا البيت لجرير، وهو من قصيدة (١) من الوافر، أولها:

أقلَى اللومَ عاذِلَ والعتابَا      وقولِي إن أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا  
أَجْدُكَ ماتَكَرَ عهدِ نَجْدٍ      وحيًا طالما انتظروا الايابَا  
بلى فَارْفُضْ دَمْعُكَ غيرَ نَزَرٍ      كما عَيَّنْتَ بالسَّربِ الطَّبَابَا (٢)  
وهاجَ البرقَ ليلةَ أَذْرَعَاتٍ      هوى ما تَسْتَطِيعُ لَهُ طَلَابَا  
وهى طويَلةٌ، والهاء: الغيث.

ونسبه المفضل فى اختياراته لمعاوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء (٣) وساقه فى قصيدة طويَلة أولها:

أَجْدَ القلبُ من سَلَمَى اجْتِنابَا      وأَقْصَرَ بعد ما شَابَتْ وشابَا

(١) اقرأ هذه القصيدة فى ديوان جرير (٦٤) والبيت الرابع ورد أيضا مطلع قصيدة له أخرى (ص ٢٢) وروى العيني أبياتا من هذه الكلمة من أولها وليس فيها البيت الرابع، وانظره بهامش الخزانة (١ - ٩٢)  
(٢) فى الأصل « كما نَحِمْتَ بالسَّربِ الظَّنابَا » وأثبتنا ما فى الديوان والعيني « عَيَّنْتَ » أصله أنهم كانوا يصنعون أوعية الماء من الجلد، فكانوا حين يتمون صنعها أو حين يشترون أحدها يضعون فيه الماء ينظرون هل ينصب منه الماء فهذا هو التعيين، ويقول أحدهم لصاحبه: عين إناءك. والسرب: السيلان، والطباب جمع طبابة - بكسر الطاء فيهما - قال الأصمعي: هى الجلدة التى يغطي بها الخرز، وهى معترضة على موضع الخرز كالاصبع  
(٣) فى الأصل « معوذ » بالذال معجمة وهو تحريف وإيماء سعى معاوية معود الحكماء لقوله فى هذه القصيدة:

اعود مثلها الحكماء بعدى      إذا ما الحق فى الأشيع نابا

وشابَ لِذَاتِهِ وَعَدْلَنَ عَنْهُ      كما أَنْضَيْتُ مِنْ لُبْسٍ ثِيَابًا  
فَإِنْ يَكُ نَبْلَهَا طَاشَتْ وَنَبْلِي      فقد نَزَمِي بِهَا حَقْبًا صِيَابًا<sup>(١)</sup>  
فَتَصْطَادُ الرِّجَالُ إِذَا رَمَتْهُمْ      وَأَصْطَادُ الْحَيَاةِ الْكُهَابًا

منها :

وَكُنْتُ إِذَا الْعَظِيمَةُ أَفْرَعَتْهُمْ      نَهَضْتُ وَلَا أَدْبُ لَهَا دِيَابًا<sup>(٢)</sup>  
بِحَمْدِ اللَّهِ ثُمَّ عَطَاءُ قَوْمٍ      يَفْكَونَ الْغَنَائِمَ وَالرَّقَابَا  
إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ      رَعِينَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا<sup>(٣)</sup>  
بِكُلِّ مَقْصَصٍ عَبْلٍ شَوَاهُ      إِذَا وَضَعْتُ أَعْنَتَهُنَّ ثِيَابًا<sup>(٤)</sup>

ويدل على أن هذا البيت من هذه القصيدة أنه لم يوجد في قصيدة جرير على اختلاف رواة ديوانه .

والشاهد فيه : الاستخدام ، وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره الآخر ، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما ، ثم يراد بالآخر الآخر ، فالأول كما في البيت هنا ، فانه أراد بالسما الغيث ، وبالضمير الراجع إليه من « رعيناه » النبت .

(١) طاشت : عالت وعدلت عن الهدف فلم تصبه . والحقب : جمع حقبة وهي البرهة من الدهر ، وصيابا : جمع صائب ، وهو الذي يصيب الهدف ، وموقع « صيابا » حال من الضمير المجرور في « بها » أى زمى بنبالنا حال كونها صائبة أزمنة متطاولة من الدهر

(٢) في المفضليات « إذا العظيمة أفضعتهم »

(٣) في المفضليات « إذا نزل السحاب »

(٤) في الأصل « إذا وضعت أعنتهن سايابا » وما أثبتناه موافق لما في المفضليات . وثاب : رجع إلى جرى جديد لعتقه وفضله

وجريـر<sup>(١)</sup> هو ابن: عطية بن الخَطَفِيّ، وهو لقبه، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة<sup>(٢)</sup> بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مرة، ينتهي نسبه لتزار، ويكنى أبا حَزْرَةَ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة، وهي المرة الواحدة من الحزر وهو والفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدرّكوا الجاهلية جميعاً، ومختلف في أيهم المقدم، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط

وكان أبو عمرو يشبه جريراً بالأعشى، والفرزدق بزهير، والأخطل بالنابغة وقد حكم مروان بن أبي حفصة بين الثلاثة بقوله [من الكامل]:  
ذهب الفرزدقُ بالفخار، وإِنا حُلُوُ الكلامِ ومِرَّةُ الجريـرِ  
ولقد هجأ فاضَّ أخطلُ تغلبِ وحوى اللهـى بمدحـه المشهور<sup>(٣)</sup>  
كلُّ الثلاثة قد أبرَّ بمدحـه وهجاؤه قد سارَ كلُّ مسيرِ  
فهو كما تراه حكم للفرزدق بالفخار، وللأخطل بالمدح والهجاء، وبجميع فنون الشعر الحرير.

وقال أبو العلاء بن جرير العنبري، وكان شيخاً قد جالس الناس: إذا لم يجيء الأخطل سابقاً فهرُّ سكَّيتُ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكيتا، وجرير يجيء سابقاً ومصلية وسكيتا  
وحدث مولى لبني هاشم قال: امترى أهل المجلس في جرير والفرزدق أيهما

(١) تجد ترجمة جرير في الأغاني (٧: ٣٨ - ٧٧) وفي الشعراء لابن قتيبيه

(٢٨٣)

(٢) في الاصل «بن سلم» وأثبتنا ما في الأغاني

(٣) اللهـي: العطايا.

أشعر ، فدخلت على الفرزدق فساألني عن شيء حتى نادى : يا نوار ، أدركت برنيتك يا نوار ؟ قالت : قد فعلت أو كادت ، قال : فابعثي بدرهم فاشترى لحماً ، ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل ، ثم قال : هات برنيتك ، فشرب قدحاً ثم ناولني ، وشرب آخر ثم ناولني ، ثم قال : هات حاجتك يا ابن أخي ، فأخبرته ، فقال : أعز ابن الخطفي تسألني ؟ ثم تنفس حتى انشقت حيازيمه ، ثم قال : قاتله الله فما أحسن ناحيته (١) ، وأشرد قافيته ، والله لو تركوه لأبكي العجوز على شبابها ، والشابة على أحبابها ، ولكنهم هرؤه فوجدوه عند الهراش نابجا ، وعند الجد قادحا ، ولقد قال بيتا لأن أكون قلته أحبُّ إلى مما طلعت عليه الشمس ، وهو [ من الوافر ] :

إذا غضبت عليك بنو تميم لقيت القوم كلهم غضابا (٢)  
وقال إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدم علينا جرير المدينة ، فحشدنا له ، فبينما نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته ، فجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام آبفا ، ما تريد منه ؟ قال : أخزيه ، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف ، فأقبل جرير علينا ، وقال : من الرجل ؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح ، قال : هذا الخليل بن الطيب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت [ من الطويل ] :

يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العين قرَّت  
فانه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفيقر ذلك بعينك ؟ قال :  
وكان الأحوص يرمي بالابنة ، فأنصرف وأرسل إليه بتمر وفاكة

(١) في الأغاني « فما أحسن ناحيته » ولعله محرف عما هنا ، وناحيته :  
مناجاته يريد أن غزله عذب مستحسن  
(٢) المحفوظ \* رأيت القوم كلهم غضابا \*

وكان راعي الأبل الشاعر يقضى للفرزدق على جرير ويفضله ، وكان راعي الأبل قد ضخم أمره ، وكان من أشعر الناس ، فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال : هل تعجبون لهذا الرجل الذى يقضى للفرزدق على وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم ؟ قال جرير : فضربت رأيي فيه ، ثم خرج جرير ذات يوم يمشى ولم يركب دابة وقال : والله ما يسرنى أن يعلم أحد ، وكان لراعى الأبل والفرزدق وجلسائهما حلقة بالمربد بالبصرة يجلسون فيها ، قال : فخرجت أتعرض إليه لعل ألقاه على حياله حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه ، وما يسرنى أن يعلم أحد ، حتى إذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أحوى محذوف الذنب ، وإنسان يمشي معه يسأله عن بعض النسيب فلما استقبلته قلت : مرحبا بك يا أبا جندل ، وضربت بشاملى على معرفة بغلته ، ثم قلت له : يا أبا جندل ، إن قولك يستمع ، وإنك تفضل الفرزدق على تفضيلا قبيحا ، وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم ، وهو ابن عمى دونك ، ويكفيك عن ذلك إذ ذكرنا أن تقول : كلاهما شاعر كريم ، ولا تحتمل منى ولا منه لأئمة ، قال : فبينما أنا معه وهو كذلك واقفاً على وما ردد على بذلك شيئاً حتى لحق ابنه جندل فرفع كرامانية معه فضرب بها عجز بغلته ، ثم قال : لا أراك واقفاً على كلب من كليب كأنك نخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً ، وضرب البغلة ضربة فرمحتني رحمة وقعت منها قلنسوتي ، فوالله ما عرج على الراعى فيقول سفيه عوى<sup>(١)</sup> يعنى جندلا ابنه ، ولكن لا والله ما عاج على ، فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أعدتها على رأسي ثم قلت [ من الوافر ] :

أجندلُ ما تقولُ بنو نميرِ إذا ما الأثرُ في استِ أيلكِ غاباً

(١) فى الأغاني « فوالله لو يعرج على الراعى لقلت سفيه غوى ، يعنى

جندلا ابنه »

فسمعت الراعى قال لابنه : أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة ، قال جرير : ولا والله ما القلنسوة بأغيظ أمره لى ، لو كان عاج على ، فانصرف جرير غضبان ، حتى إذا صلى العشاء ومنزله فى عليه له قال : ارفعوا لى باطية من نبذ وأنرجوا لى ، فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبذ ، قال : فجعل يهينهم ، فسمعت صوته عجوز فى الدار ، فاطلمت فى الدرجة فنظرت إليه فإذا هو يجبو على الفراش عن يانا لما هو فيه ، فأنحدرت فقالت : ضيفكم مجنون ، رأيت منه كذا وكذا ، وقالوا لها : اذهبي لطيتك فنحن أعلم به وبما يمارس ، فما زال كذلك حتى كان السحر ، ثم إذا هو يكبر ، قد قالها ثمانين بيتا يهجو بنى نمر ، فلما ختمها بقوله :  
فغض الطرف إنك من نمر فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

كبر ، ثم قال : أخزيتك ورب الكعبة ، ثم أصبح حتى علم أن الناس قد أخذوا مجالسهم بالمربد ، وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق ، دعا بدهن فادهن وكف رأسه ، وكان حسن الشعر ، ثم قال : يا غلام أسرج لى ، فأسرج له حصانا ثم قصد مجلسهم حتى إذا كان موقع السلام قال : يا غلام ، ولم يسلم ، قل لعبيد (١) بمثلك نسوتك تكسبهن المال بالعراق ؟ أما والذى نفسى بيده لترجعن إليهن بميرة تسوءهن ولا تسرهن ، ثم اندفع فيها فأنشدها ، فنكس الفرزدق وراعى الابل ، وأزم القوم ، حتى إذا فرغ منها وسار وئب راعى الابل ساعثن فركب بغلته بشروع ، وخلا المجلس ، حتى أوفى إلى المنزل الذى ينزله ثم قال لأصحابه : ركابكم ركابكم فليس لكم هنا مقام ، فضحك والله جرير ، فقال له بعض القوم : ذاك شؤمك وشؤم ابنك ، قال : فما كان إلا ترحلهم فساروا إلى أهلهم سيرا ما ساره أحد ، وهم بالشريف - وهو أعلى دار بنى نمر - فيحلف بالله راعى الابل إنا وجدنا فى أهلنا :

(١) عبید : هو الراعى ، اسمه عبید بن حصين النمرى

\* ففض الطرف إنك من نُمير \*

وأقسم بالله ما بلغه إنسى قط ، وإن جرير لأشيعا من الجن ، فتشاءمت به بنو نمير وسبوه وابنه ، فهم يتشاءمون به إلى الآن  
وحدث أبو عبيدة قال : التقى جرير والفرزدق بمى وهما حاجان فقال  
الفرزدق لجرير [ من الطويل ] :

فإنك لاقٍ بالمنازل من منى فخاراً فخبرنى بمن أنت فآخر

فقال له جرير : لبيك اللهم لبيك ، قال : فكان أصحابنا يستحسنون  
هذا الجواب من جرير ويتعجبون منه

وعن العتبي ، قال : قال جرير : ما عشقت قط ، ولو عشقت لنسيت نسيابا  
فتسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها ، وإني لأروى من الرجز أمثال آثار  
الخليل في الثرى ، ولولا أنى أخاف أن يستفرغنى لأكثرته منه

وعن أبي عبيدة قال : رأت أم جرير وهى حامل به كأنها ولدت حبلا من  
شعر أسود ، فلما خرج منها جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيقتله وفى عنق هذا  
فيخنقه ، حتى فعل ذلك برجال كثيرين ، فانتبهت فزعة فأولت الرؤيا فقيل لها :  
تلدين غلاما أسود شاعرا ذا شدة وشر وشكيمة وبلاء على الناس ، فلما ولدته سمته  
جريرا باسم الحبل الذى رأت أنه خرج منها ، قال : والجرير الحبل -

وحدث بلال بن جرير أن رجلا قال لجرير : من أشعر الناس ؟ قال : قم  
حتى أعرفك الجواب ، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له  
فاعتقلها وجعل يمس ضرعها ، فصباح به : اخرج يا أبت ، فخرج شيخ دميم  
رث الهيئة وقد سال ابن العنز على لحيته ، فقال : أترى هذا ؟ قال : نعم ، قال :  
أو تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبى ، أفندرى لم كان يشرب لبن العنز ؟ قلت :  
لا ، قال : مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن ، ثم قال : أشعر الناس

من فاخر يثمل هذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم به فغلبهم جميعاً  
وحدث المدائني قال : كان جرير من أعق الناس بأبيه ، وكان ابنه بلال  
أعق الناس به ، فراجع جرير بلالا الكلام ، فقال له بلال : الكاذب مني  
ومنك ناك أمه ؟ فأقبلت أمه عليه فقالت له : يا عدو الله ، أتقول هذا لأبيك ؟  
فقال جرير : دعيه فوالله لكأني أسمعها وأنا أقولها لأبي

ونظير ذلك ما حكى عن يونس بن عبد الله الخياط أنه مر به رجل وهو  
يعصر حلق أبيه ، وكان عاقا به ، فقال له : ويحك ! أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلصه  
من يده ، ثم أقبل على الأب يعزيه ويسكنه ، فقال له الأب : أخى لا تلمه ،  
واعلم أنه ابني حقاً ، والله لقد خنقت أبي في هذا الموضع الذي خنقتي فيه ،  
فانصرف الرجل وهو يضحك ولأبيه يقول [ من الرجز ] :

ما زال بي ما زال بي طعن أبي في النسب  
حتى تربيت حتى ساء ظني بأبي

ونشأ ليونس ولد يقال له دحيم فكان أعق الناس به ، فقال يونس  
فيه [ من المنسرح ] :

جلادُ حيمٍ عماية الريب والشك مني والظن في نسي  
ما زال بي الظن والتشكك حتى عقتي مثل ما عقت أبي

وقال يونس بن عبد الله الخياط : جئت يوماً إلى أبي وهو جالس وعنده  
أصحاب له ، فوفقت عليهم لأغيظه وقلت : ألا أنشدكم شعرا قلته بالأمس ؟  
قالوا : بلى ، فأنشدتهم [ من البسيط ] :

يا سائلي من أنا أو من يناسبني أنا الذي لا له أصل ولا نسب  
الكلب يخال فخرأ حين يبصرني والكلب أكرم مني حين ينتسب  
لوقال لي الناس طراً أنت الأمانة ماوهم الناس في ذاك ولا كذبوا



قال : فوثب إلى أبي ليضر بنى ، وعدّوت من بين يديه ، فجعل يشتمني وأصحابه يضحكون  
رجع إلى بقية أخبار جرير

حدث أبو العراف قال : قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بجرين البصرة : اثنياني بلباس أبيكما في الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد في قبة ، وشاور جرير دُهّاة بنى يربوع ، فقالوا له : ما لباس آبائنا إلا الحديد فلبس جرير درعا وتقلد سيفاً وأخذ رمحاً وركب فرساً لعبا بن الحصين يقال له المنحاز ، وأقبل في أربعين فارساً من بنى يربوع ، وجاء الفرزدق في هيئته ، فقال جرير [ من الطويل ] :

ليست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحا كرج وجلاجله (١)  
أعدّ مع الحلى المَلَّابَ فاعمّا جرير لكم بعل وأنتم خلائله (٢)  
ثم رجعا ، فوقف جرير في مقبرة بنى حصن ، ووقف الفرزدق في المربد  
وثني الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده ، فقال [ من الكامل ] :  
مات الفرزدق بعدما جدّعه ليت الفرزدق كان عاش قليلا  
فقال له المهاجر : بئس لعمر الله ما قلت في ابن عمك ! أتتهجو ميتاً ؟ أما والله لو رثيته لكنت أكرم العرب وأشعرها ، فقال : إن رأى الأمير أن يكتمها على فانها سوءة ، ثم قال من وقته البيتين السابقين في ترجمة الفرزدق في شواهد المقدمة ، ثم بكى ، وقال : أما والله إنى لأعلم أنى قليل البقاء بعده ، ولقد كان نجمنا واحداً ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه ، فكان كذلك ، مات بعد سنة

(١) كرج - بزنة سكر - لعبة كهيمة المهر ، ووقع في الأصل « كرجى وخلاخله » واثبتنا ما في النقائض واللسان ( كرج )  
(٢) في النقائض « اعدوا مع الحلى »

قال ابن الجوزي : مات سنة إحدى عشرة ومائة ، وكانت وفاته باليمامة ، وعمره نيفا وثمانين سنة ، وقال ابن قتيبة في المعارف : إن أمه حملت به سبعة أشهر .

\* \*

من شواهد  
الاستخدام

١٢٣ — فسقى الغضا والساكنيه وإن هم

شبهه بين جوانح وقلوب

البيت للبحترى ، وهكذا هو في ديوانه — وإن كان في كثير من نسخ التلخيص ، بل وفي كثير من كتب هذا الفن بلفظ (١) « بين جوانحي وضلوعي » — وهو من قصيدة من الكامل أولها (٢)

كم بالكثيب من اعتراض كثيب وقوام غصن في الثياب رطيب  
تأبى المنازل أن تجيب ومن جوى يوم الديار دعوت غير مجيب  
وبعد البيت ، وهي طويلة

والغضا : شجر معروف ، واحدته غضة ، وأرض غضيانة : كثيرته والشاهد فيه : الاستخدام أيضاً ، فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين إلى الغضا وهو المجرور في الساكنية المكان وهو أرض لبنى كلاب وواد بنجد ، وبالأخر وهو المنسوب في شبهه النار أى أوقدوا في جوانحي نار الغضا ، يعنى نار الهوى التى تشبه نار الغضا ، وخص الغضا دون غيره لأن جمره بطيء الانطفاء وقد استخدم كثير من الشعراء لفظة الغضا فقال ابن أبى حصينة [من الطويل] :

(١) وكذلك هو في خزانة الأدب لابن حجة [ ٦٦ ]

(٢) أقرأها في ديوان البحترى ( ١ - ٥٧ ) وبين البيتين اللذين أنشدها المؤلف من أولها في الديوان بيتان آخران ، وبعدهما قبل البيت المستشهد به بيتان أيضاً ، ورواية بيت الشاهد في الديوان \* فسقى الغضا والنازليه . . . \*

أمثلة  
من استخدام  
الشعراء  
لفظ الغضا

أما والذي حَجَّ الملبُّونَ بيتهُ      فمن ساجدٍ لله فيه وراكعٍ  
لقد جرَّعتني كأسَ ينيٍّ مريَّةٍ      من البُعْدِ سلمى بين تلك الأجارعِ  
وحلَّمتُ بأَ تنافٍ الغضا فكَأَنَّمَا      حشَّتْ نارهُ بين الحشى والأضالعِ  
وقال ابن جابر الأندلسي [ من البسيط ] :

إنَّ الغضا لستُ أنسى أهله فهمُ      شبَّوه بين ضلوعي يومَ بينهم  
جرَّى العقيقُ بقلبي بعد ما رحلوا      ولو جرَّى من دموع العين لم أَلَمِ  
وقال ابن قلاؤس الاسكندري [ من الكامل ] :

حلَّمتُ مطاياهم بملَّتفٍ الغضا      فكأنما شبَّوه في الأكبَادِ  
و بديع قول البدرين لؤلؤ الذهى [ من الكامل ] :  
أحجامة الوادى بشرقٍ الغضا      إن كنتِ مُسعدة الكئيب فرَجِى  
ولقد تقاسمنا الغضا فقصَّوه      فى راحتيكِ وجرَّه فى أضلعي  
ولؤلؤه من قصيدة [ من الطويل ] :

وحقَّكُ إنى للرياح الحاسدُ      فى كلِّ حين بالأحبة فخطرُ  
تمرُّ الصبا عفو على ساكى الغضا      وفى أضلعي نيرانه تتسعُرُ  
فتذكرنى عهدَ العقيق وأدمعى      تساقطه والشئ بالشئ يذكرُ  
ويورث عيني السَّفَحَ حتى ترى به      معالم الأحياب تزهو وتزهَرُ  
ومن الاستخدام البديع قول المعري يرثى فقيها حنفياً [ من الخفيف ]  
وفقيه أفاظه شِدْنَ للعثمان ما لم يشده شعرُ زيادِ  
وقوله أيضاً يصف درعا [ من الخفيف ] :

أمثلة  
من بديع  
الاستخدام

نثرة من ضماها للقنا الخطى عند اللقاء نثر الكعوب  
مثل وشي الوليد لانت وإن كانت من الصنم مثل وشي حبيب

تلك ماذية وما لذباب السيف والصيف عندها من نصيب  
فأستخدم لفظ «الذباب» في معنييه : الأول طرف السيف ، والثاني  
الطائر المعروف .

ولابن جابر الأندلسي فيه [ من البسيط ] :  
في القاب من جبكم بذر أقام به فالطرف يزداد نورا حين يبصره  
تشابه العقد حسنا فوق لبتة والثغر منه إذا ما لاح جوهره  
ومن ظريف الاستخدام قول السراج الوراق [ من السريع ] :  
دع الهويني وانتصب واكتسب واكبح فنفس المرء كداحة  
وكن عن الراحة في معزل فالصفع موجود مع الراحة  
أستخدم الراحة في معنيها : الأول من الاستراحة ، والثاني من اليد  
وبديع قول الصفي الحلي [ من الطويل ] :

لئن لم أبرقع بالحيا وجه عفتي فلا أشبهته راحتي في التكرم  
ولا كنت ممن يكسر الجفن في الوغى إذا أنا لم أغضضه عن رأى محرم  
ومن الاستخدامات البديعة قول ابن نباتة المصري (١) يمدح النبي صلى الله  
عليه وسلم [ من الطويل ] :

إذا لم تقض عيني العقيق فلا رأيت منازلته بالقرب تبهى وتبهر  
وإن لم تواصل عادة السفح مقلتي فلا عاها عيش بمغناه أخضر  
ومنها :

سقى الله أكناف الغضائل الحيا وإن كنت أسقى أدمعا تنحدر

(١) روى ثمانية الأبيات ابن حجة الحموي في خزنة الأدب (٦٨) .  
وروى معها عشره أبيات أخرى

وعيشاً نَضَى عَنْهُ الزمانُ بياضَهُ      وخَلَفَهُ فِي الرَّأسِ بَزْهَرُ وَبَزْهَرُ  
تَغْيِيرَ ذَلِكَ اللَّونِ مَعَ مَنْ أَحْبَهُ      وَمَنْ ذَا الَّذِي يَاعِزُّ لَا يَتَغَيَّرُ<sup>(١)</sup>  
وكان الصبا ليلاً وكنتُ كَحَالمٍ      فَيَا أَسْفَى وَالشَّيْبَ كَالصَّبِيحِ يُسْفِرُ  
يُمَلِّئَنِي تَحْتَ الْعِمَامَةِ كَتَمَهُ      فَيَعْتَادُ قَلْبِي جَسْرُهُ حِينَ أَحْسِرُ  
وتتكرنى لَيْلَى وما خِلْتُ أَنَّهُ      إِذَا وَضَعَ الْمَرْءُ الْعِمَامَةَ يَنْكُرُ<sup>(٢)</sup>

ومن الاستخدام أيضاً قول العلامة عمر بن الوردى رحمه الله تعالى [من  
محزوء الوافر]:

وَرَبُّ غَزَالَةٍ طَلَعَتْ      بِقَلْبِي وَهُوَ مَرَعَاهَا  
نَصَبْتُ لَهَا شَبَاباً مِنْ      لَجَيْنٍ نَمَّ صِدْقَانَهَا  
وَقَالَتْ لِي وَقَدْ صِرْنَا      إِلَى عَيْنٍ قَصْدَانَهَا  
بَذَلْتُ الْعَيْنَ فَاحْكُلْهَا      بِطَلْعَتِهَا وَبَجْرَاهَا  
ومنه قول ابن مليك رحمه الله تعالى [من الطويل]:  
فَكَمْ رَدَّ مِنْ عَيْنٍ وَجَادَ بِمِثْلِهَا      وَلَوْلَا هُمَا ضَاعَتْ وَلَمْ تَكْ تُعَذِّبْ

(١) في الأصل « تغير ذلك اللون » ولا يستقيم به وزن البيت ، وما  
أثبتناه موافق لما في الديوان والخزانة ؛ وعجز هذا البيت من كلام كثير  
عزة ، والبيت بتمامه في كلام كثير :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها      وَمَنْ ذَا الَّذِي يَاعِزُّ لَا يَتَغَيَّرُ  
(٢) يشير بهذا البيت إلى قول سحيم بن وثيل الرياحي :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَاعُ الثَّنَايَا      مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي  
وقد تمثل به الحجاج في خطبته التي خطبها مقدمه الكوفة واليهاء عليها  
من قبل عبد الملك بن مروان .

وقوله من قصيدة أخرى نبوية [ من الكامل ] :

كَمْ رَدَّ مِنْ عَيْنٍ وَجَادَ بِهَاوَكَمْ ضَاءَتْ بِهِ وَسَقَى بِهَا مِنْ صَادِي  
ومنه قول الرشيد الفارقي [ من مجزوء الرمل ] :

إِنَّ فِي عَيْنَيْكَ مَعْنَى حَدَّثَ النَّزْجِسُ عَنْهُ  
لَيْتَ لِي مِنْ غُصْنِهِ سَهْمًا فِي قَلْبِي مِنْهُ  
وقد أخذه الشهاب محمود ولم يحسن الأخذ فقال [ من الرمل ] :  
نَازَعْتُ عَيْنَاهُ قَلْبِي حَبَّةً لَمْ تَكُنْ تَقْبَلُ قَبْلَ الْإِنْقِسَامِ<sup>(١)</sup>  
يَالْقَوِي هَلْ عَلِمْتُمْ قَبْلَهَا أَنَّ لِلْأَعْيُنِ فِي الْقُلُوبِ سَهَامًا

\* \* \*

شاهد  
الف والنشر

١٢٤ — كَيْفَ أَسْلَمُوا وَأَنْتِ حَقِيقٌ وَعَصْنُ

وَعَزَّالٌ خَطَّاءٌ وَقَدَّارٌ وَرَدَّ فَا

البيت من الخفيف ، وهو منسوب<sup>(٢)</sup> لابن حيوس ، ولم أره في ديوانه ،  
ولعله ابن حيوس الإشبيلي .

والحِثْفُ — بكسر الحاء — الرمل العظيم المستدير .

والشاهد فيه : الف والنشر ، وهو : ذكر متعدد على التفصيل أو الأجمال ،  
ثم ذكر مال لكل واحد من آحاد المتعدد من غير تعيين ، ثقة بأن السامع يرد مال كل  
من آحاد المتعدد إلى ما هو له ، ثم الذي على سبيل التفصيل ضربان ؛ لأن النشر  
إما على ترتيب الف ، وإما على غير ترتيبه كما في البيت هنا ، وهو ظاهر .  
وبما جاء على الترتيب قول ابن الرومي [ من الكامل ] :

(١) في الأصل « لم تك تقبل قبل الانقسام » ولا يستقيم به الوزن ، وقد  
قطع همزة الوصل في « الانقسام » للضرورة

(٢) رواه ابن حجة في خزانة الأدب ( ٨٤ ) غير منسوب لأحد .

( ١٨ — مائة ٢ )

من أمثلة  
اللف والنثر

أَرَأَيْتُمْ وُجُوهَهُمْ وَسَيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ مُجُومٌ  
فِيهَا مَعَالِمٌ لِلْهَدَى وَمَصَابِحٌ تَجَلَو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَّاتُ رَجُومٌ  
وقول بعضهم [من البسيط] :

أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي مِنْ وَرْدٍ نَعْمَتِهِ وَوَرْدٍ رَاحَتِهِ أَجْنَى وَأَعْتَرِفُ  
وَمَا أَبْدَعُ قَوْلَ ابْنِ شَرْفِ الْقَبْرِ وَأَنَّى [من البسيط] :

جَاوَزَ عِلْمِيًّا وَلَا تَحْمِلْ بِحَادِثَةٍ إِذَا أَدْرَعْتَ فَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْأَسْلِ  
سَلْ عَنْهُ وَأَنْطِقْ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ تَجِدْ مِلءَ الْمَسَامِعِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمَقَلِ  
وقد أخذه تاج الدين الذهبي فقال [من الكامل] :

بَدْرٌ سَمَاءَ الْمُجْتَلَى ، نَمَرٌ نَمَاً لِلْمُجْتَنَى ، بِحُرَّتِهِ طَمَأَ لِلْمُجْتَدَى  
سَلْ عَنْهُ وَادْنُ إِلَيْهِ وَاسْتَمْسِكْ تَجِدْ مِلءَ الْمَسَامِعِ وَالنَّوَاطِرِ وَالْيَدِ  
وَمَا أَزْهَرَ قَوْلَ الْبَهَاءِ زَهِيرٌ [من الطويل] :

وَلِي فِيهِ قَلْبٌ بِالْغَرَامِ مَقِيدٌ لَهُ خَيْرٌ يَرْوِيهِ طَرْفِي مَظْلَقًا  
وَمَنْ قَرِطَ وَجْدِي فِي لَمَاءِ وَثْقَرِهِ أَعْلَلُ قَلْبِي بِالْعَذِيبِ وَبِالذَّنَقِ  
وَمَا أَحْلَى قَوْلَ ابْنِ نَبَاتَةِ الْمَصْرِى مَعَ زِيَادَةِ التَّوْرِيَةِ [من الخفيف] :  
لَا تَخَفْ عَيْلَةً وَلَا تَخْشَ فَقْرًا يَا كَثِيرَ الْحَاسَنِ الْخِتَالَةِ  
لَكَ عَيْنٌ وَقَامَةٌ فِي الْبَرَايَا تِلْكَ غَزَالَةٌ وَذِي عَسَالَةٍ  
وقوله أيضا [من السريع] ::

سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْمِهِ فَأَنْتَنِي يَعِجِبُ مِنْ إِسْرَافِ دَمْعِي السَّخِي  
وَأَبْصَرَ الْمَسَكَّ وَبَدَرَ الدُّجَى فَقَالَ ذَا خَالِي وَهَذَا أَخِي  
وبديع قول ابن مكنسة [من الرجز] :

وَالسَّكْرُ فِي وَجْنَتِهِ وَطَرْفِهِ يَفْتَحُ وَرَدًّا وَيَغْضُ نَرْجَسًا

وقد جاء الف والنشر بين ثلاثة ، فأكثر ، فمنه قول ابن حيوس  
[ من الكامل ] :

ومقرّطقٍ يَفَنِّي النديمُ بوجهه      عن كأسه الملائى وعن إبريقه  
فعلُ المدام ولونها ومذاقها      من مقلتيه ووجنتيه وريقه  
وقول حمدة الأندلسية [ من الطويل ] :

ولما أبى الواشون إلّا فرأقنا      ومالهمُ عندي وعندك من نارِ  
وشنّوا على أسماعنا كلّ غارةٍ      وقلّ حُماي عند ذاك وأنصاري  
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي      ومن نفسي بالسيف والسيل والنارِ  
وقول ابن نباتة ، وأجاد إلى الغاية [ من البسيط ] :

عَرَّجَ عَلَى حرم المحبوب منتصباً      لقبلة الحسن واعذرتني على السهرِ  
وانظر إلى الخال فوق الثغر دُونَ لَمَى      تجد بلا لآ يُراعى الصبح في السحرِ  
وبديع قول بعضهم [ من المجتث ] :

وَرَدُّهُ وَمَسْكُهُ وَدُرُّهُ      خَدُّهُ وَخَالُهُ وَثَغْرُهُ  
لَحْظُهُ وَجَفْنُهُ وَغَنَجُهُ      سَيْفُهُ وَنَبْلُهُ وَسَحَرُهُ  
غَصْنُهُ وَبَدْرُهُ وَلَيْلُهُ      قَدُّهُ وَوَجْهُهُ وَشَعْرُهُ

ومنه بين أربعة ، وأربعة قول الشاعر [ من البسيط ] :

ثَغْرُهُ وَخَدُّهُ وَنَهْدُهُ وَاحْمَرَّ أُرْدِيهِ      كالطلع والورد والرمان والبلح<sup>(١)</sup>  
ومثله قول الشاب الظريف محمد بن العفيف [ من الطويل ] :

رَأَى جِسْدِي وَالِدَمْعَ وَالْقَلْبَ وَالْحَشَى      فَأَضْنَى وَأَفْنَى وَاسْتَمَالَ وَتَيْمًا

(١) كتب مصحح نسخة خزانة الأدب (ص ٨٣) على هذا البيت ما نصه :  
« قوله : والبلح ، في نسخ والوهج ، وحرر الروي » اهـ .



ولأبي جعفر الأندلسي الغرناطي بين خمسة وخمسة [ من الكامل ] :  
 ملكٌ يَجِيءُ بِخَمْسَةٍ مِنْ خَمْسَةٍ لَقِيَ الْحَسُودَ بِهَا فَبَاتَ لِمَا بِهِ  
 مِنْ وَجْهِهِ وَوَقَارِهِ وَجَوَادِهِ وَحَسَامِهِ بَيْنِيهِ يَوْمَ ضَرَابِهِ  
 قَرُّهُ عَلَى رِضْوَى تَسِيرُهُ بِه الصَّبَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ مِنْ خِلَالِ سَحَابِهِ  
 ولأبن جابر الأندلسي بين ستة وستة [ من الكامل ] :  
 إِنْ شَتَّتَ ظَبِيًّا أَوْ هَلَالًا أَوْ دُجَى أَوْ زَهَرَ غَصْنَ فِي الْكُثَيْبِ الْأَمَلِ  
 فَلَا حَظَّهَا وَلِوَجْهِهَا وَلِشَعْرِهَا وَخَلَدَهَا وَالْقَدْرَ وَالرَّدْفَ اقْصِدِ  
 ولنجم الدين البارزي بين سبعة وسبعة [ من الطويل ] :  
 يَقْطَعُ بِالسَّكِينِ بِطَيْخَةٍ ضَحَى عَلَى طَبَقٍ فِي مَجْلِسٍ لِأَصَاحِبِهِ  
 كَبْدَرٍ بِبَرْقٍ قَدْ شَمْسًا أَهْلَةً لَدَى هَالَةٍ فِي الْأَفْقِ بَيْنَ كَوَاكِبِهِ (١)  
 وسبقه إلى ذلك ابن قلاؤس ، فقال [ من المتقارب ] :  
 أَنَا نَا الْغَلَامُ بِبَطِيخَةٍ وَسَكِينَةٍ أَحْكُمُوهَا صَقَالًا  
 فَقَسَمَ بِالْبَرْقِ شَمْسَ الضُّحَى وَأَعْطَى لِكُلِّ هَلَالٍ هَلَالًا  
 ومثله قول محاسن الشواء ، وأجاد [ من الخفيف ] :  
 وَغَلَامٌ يَحْزُ بِطَيْخَةٍ فِي اللَّوْنِ مِثْلِي وَفِي الْمَذَاقَةِ مِثْلَهُ  
 لِأَنَّا نَسِي غُزِّي عَلَى طَبَقٍ فِي مَجْلِسٍ مَشْرِقٍ يُشَابُهُ أَهْلُهُ  
 قَدْ بَدَرُ شَمْسًا بِأَفْقٍ شَهَدْتُ اللَّيْلَ فِي هَالَةٍ بِبَرْقٍ أَهْلُهُ  
 وقول الآخر [ من الطويل ] :

(١) في مطبوعة بولاق : « كبدري بريق قد شق شمساً أهله »  
 وظاهر أن أحد اللفظين « قد » و « شق » زائد ، وهذا على أن كلا منهما  
 فعل من مضعف الثلاثي ، وسببه : أن في أحد أصولها قد ، وفي آخر شق ،  
 فجمعوا بينهما خطأ ، فإن كان « قد » حرفاً فهو الزائد بعينه ، ووقع في خزنة  
 الأدب ( ٨٣ ) كما أثبتناه .

ولما بدا ما بيننا منية النفس  
توهّمتُ بدرائمٍ قد أهلةً  
يحرزُ بالسكين صفراء كالورسِ  
على أنجم بالبرق من كره الشمسِ  
وقول الآخر [من الكامل] :  
خلناه لما حرزَ البطيخَ في  
بدرًا يقدُّ من الشمس أهلةً  
أطباقه بصقيلة الصفحات (١)  
بالبرق بين الشهب في الهالات  
وقول البديع الدمشقي ، في غلام يقطع بطيخا بسكين ، نصابها أسود  
[من الكامل] :

انظرُ بعينك جوهرًا متلأثًا  
سحرًا لفرط بيانه وجماله  
قرُّ يقدُّ من الشمس أهلةً  
بظلام هجرته وفجر وصاله  
والسابق إلى فتح هذا الباب العسكري حيث يقول [من الوافر] :  
وجامعة لأصناف المعاني  
صلحن لوقت إكثار وقلة  
فن أدم وريحان وتقلي  
فلم ير مثلها سدا لخلة  
فنها ما تشبهه بدورًا  
فان قطعنها رجعت أهلة  
ولا بن مقاتل بين ثمانية وثمانية [من الطويل] :

خدودٌ وأصداغٌ وقد ومقلةٌ  
وثغرةٌ وأرياقٌ ولحنٌ ومعربٌ  
ورودٌ وسوسانٌ وبانٌ ونرجسٌ  
وكأسٌ وجريالٌ وجنكٌ ومطربٌ  
وللصفي الحلبي [من الطويل] :

وظبي يقفر فوق طرفٍ مفوقٍ  
بقوس رمى في النقع وحشاً بأسهم  
كبدر بأفق فوق برقي بكفه  
هلال رمى في الليل جناً بأنجم  
ولبعضهم بين عشرة وعشرة [من البسيط] :

شعر جبين محيّا معطف كقل  
صدغ فم وجنات ناظر ثغر

(١) الصقيلة : المصقولة ، وأراد بصقيلة الصفحات السكين

لَيْلٌ صَبَاحٌ هَلَالٌ بَانَةٌ وَنَقَاً آسٌ أَقَاحٌ شَقِيقٌ نَرْجِسٌ دُرٌّ

ولا بن جابر بين اثني عشر واثني عشر [من الطويل] :

فَرُوعٌ سَنَا قَدْ كَلَامٌ فَمَّ لَمَى حُلَى عُنُقٌ نَغْرٌ شَذَا مَقَلَةٌ خَدٌ  
دُجَى قَرٌ غَصْنٌ جَنَى خَاتَمٌ طَلَا نَجُومٌ رَشَا دُرٌّ صَبَا نَرْجِسٌ وَرْدٌ<sup>(١)</sup>

وجُلُ القصد هنا : أن يكون اللف والنشر في بيت واحد ، خاليا من الحشو وعقادة التركيب ، جامعا بين سهولة اللفظ والمعاني المحترعة .

وابن حيوس<sup>(٢)</sup> بحاء مهملة وياء تحتية مشددة مضمومة وواو ساكنة بعدها سين مهملة — هو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس ، الملقب بمصطفى الدولة ، الشاعر المشهور ، وهو أحد الشعراء الشاميين الحسنين وفحولهم المجيدين ، وله ديوان شعر كبير ، لقي جماعة من الملوك والأكابر ومدحهم وأخذ جوائزهم ، وكان منقطعاً إلى بني مرداس أصحاب حلب ، وله فيهم القصائد الفائقة ، وقصته<sup>(٣)</sup> مع الأمير جلال الدولة وضمصامها نصر بن محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس مشهورة ، فانه كان قد مدح أباه محموداً ، فأجازه ألف دينار ، فلما مات وقام مقامه ولده نصر المذكور قصده ابن حيوس المذكور بقصيدة رائية يمدحه بها ويعزيه عن أبيه ، أولها [من الطويل] :

كفى الدين عزاً ما قضاه لك الدهرُ فمن كان ذا نذرٍ فقد وجب النذرُ

(١) روى كثيراً من هذه الشواهد ابن حجة ، في خزانة الأدب ،

(٨١ — ٨٤) .

(٢) لابن حيوس ترجمة في ابن خلكان (٢ — ٣٧٧) هي التي أخذها

المؤلف هنا .

(٣) في الأصول « وقضيته » وما أثبتناه موافق لما في ابن خلكان .

ترجمة  
ابن حيوس

منها :

صبرنا على حكم الزمان الذي سطا  
غزانا بيمؤسى لا يماثلها الأسى  
تباعدت عنكم حرفة لازهادة  
فلاقيت ظل الأمن ماعنه حاجز  
وطال مقامي في إيسار جميلكم  
وأعجز لي رب السموات وعده  
فجاء أبو نصر بألف تصرمت  
لقد كنت مأمولاً ترجى لمثلها  
ومابى إلى الإلحاح والحرص حاجة  
وإني بآمالى لديكم مخيم  
وعهدك ما أبغى بقولى تصنعاً

على أنه لو لالك لم يكن الصبر  
تقارن نعمى لا يقوم بها الشكر<sup>(١)</sup>  
وسرت إليكم حين مسني الضر  
يصد ، وباب العز مادونه ستر  
فدامت معاليكم ودام لي الأسر  
وأعجز لي رب السموات وعده  
فجاء أبو نصر بألف تصرمت  
لقد كنت مأمولاً ترجى لمثلها<sup>(٢)</sup>  
ومابى إلى الإلحاح والحرص حاجة  
وإني بآمالى لديكم مخيم  
وعهدك ما أبغى بقولى تصنعاً

فلما فرغ من إنشادها قال الأمير نصر : والله لو قال عوض قوله سيخلفها نصر سيضعفها لأضعفها له ، وأعطاه ألف دينار في طبق فضة .

وكان اجتمع على باب الأمير نصر جماعة من الشعراء وامتحده ، وتأخرت صلته عنهم ، ونزل بعد ذلك الأمير نصر إلى دار بولص النضرائي ، وكانت له عادة بغشيان منزله ، وعقد مجلس الأئس عنده ، فأتت الشعراء الذين تأخرت

(١) في الأصل : « تقارب نعمى » محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما في ابن خلكان .

(٢) في الأصل : « لقد كنت مأمولاً ترجى لمثلها » وأثبتنا ما في ابن خلكان ، وهو الذي يقتضيه المعنى .

(٣) في ابن خلكان « وعندك ما أبغى » ولما هنا وجه لا بأس به ، وهو أن تنزل الواو في قوله « وعهدك » على أنها واو اللقم .

جوائزهم إلى باب بولص ، وفيهم ابن الدويذة المعري الشاعر المعروف ، فكاتبوا  
ثلاثة أبيات اتفقوا على نظمها — وقيل : بل نظمها ابن الدويذة المعري المذكور —  
وصيروا الورقة إليه وفيها الأبيات ، وهي [ من الطويل ] :

عَلَى بَابِكَ الْمَحْرُوسِ مِنَّا عِصَابَةٌ      وَمَقَالِيسُ فَاَنْظُرْ فِي أُمُورِ الْمَقَالِيسِ  
وَقَدْ قَنَعَتْ مِنْكَ الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا      بِعُشْرِ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ لَابْنِ حَيُّوسِ  
وَمَا يَبْدُنَا هَذَا التَّفَاوُتُ كُلُّهُ      وَلَكِنْ سَعِيدٌ لَا يُقَاسُ بِمَنْحُوسِ

فلما وقف عليها الأمير نصر أطلق لهم مائة دينار ، وقال : والله لو قالوا « بمثل  
الذي أعطيته لابن حيوس » لأعطيتهم مثله

وكان الأمير نصر سخياً واسع العطاء ، تملك حلب بعد وفاة أبيه محمود سنة  
سبع وستين وأربعمائة ، ولم تطل مدته حتى ثار عليه جماعة من جنده فقتلوه ثانی  
شوال سنة ثمان وستين وأربعمائة

وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بنى مرداس  
فبنى داراً بمدينة [ حلب ] وكتب على بابها من شعره [ من السريع ] :

دَارُ بَنَيْنَاهَا وَعِشْنَا بِهَا      فِي نِعْمَةٍ مِنْ آلِ مَرْدَاسِ  
قَوْمٌ نَفَوْا بُؤْسِي وَلَمْ يَتْرَكُوا      عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ بَاسِ  
قُلْ لِبَنِي الدُّنْيَا لَا هَكَذَا      فَلْيَفْعَلِ النَّاسُ مَعَ النَّاسِ (١)

وقيل : إن الأبيات لابن أبي حصينة (٢) الحلبي ، وهو الصحيح  
وحكى الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق قال : أنشدنا أبو القاسم علي بن

(١) في ابن خلكان : \* فليصنع الناس مع الناس \*

(٢) ابن أبي حصينة : هو الأمير الجليل أبو الفتح ، الحسن بن عبد الله  
ابن عبد الجبار الحلبي ، قاله ابن خلكان .

إبراهيم العلوي من حفظه سنة سبع وخمسمائة ، قال : أخذ الأمير (١) أبو الفتيان ابن حيوس بيدي وقال : أرو عني هذا البيت ، وهو في شرف الدولة مسلم ابن قريش [ من الكامل ] :

أَنْتَ الَّذِي نَفَقَ الشَّاهُ بِسُوقِهِ وَجَرَى النَّدى بِعُرُوقِهِ قَبْلَ الدَّمِ  
وهذا البيت في غاية المدح  
ومن غرر قصائده السائرة قوله :

هُوَ ذَاكَ رُبْعُ الْعَامِرِيَةِ فَارُبْعُ وَأَسْتَسْقِي لِلدَّمَنِ الْخَوَالِي بِالْحَمِي  
وَأَسْأَلُ مَصِيفًا عَافِيًا عَنْ مَرْبَعِ (٢) غُرِّ السَّحَابِ وَاعْتَدِرْ عَنْ أَدْمُعِي  
فَلَقَدْ غَدَوْتُ أَمَامَ دَانَ هَاجِرٍ فِي قُرْبِهِ وَوَرَاءَ نَائِ مَرْمَعِ (٣)  
لَوْ تَخْبِرُ الرُّكْبَانُ عَنِّي حَدَّثُوا عَنْ مُقْلَةٍ عَبْرِي وَقَلْبٍ مُوجِعِ  
رُدِّي لَنَا زَمَنَ الْبَكْشِيْبِ فَإِنَّهُ زَمَنٌ مَتَى يَرْجِعُ وَصَالِكَ يَرْجِعِ  
لَوْ كُنْتُ عَالِمَةً بِأَدْنَى لَوْعَتِي لَرَدَدْتُ أَقْصَى نَيْلِكَ الْمُسْتَرْجِعِ  
بَلْ لَوْ قَنَعْتُ مِنَ الْغَرَامِ بِمُظْهِرٍ عَنْ مُضْمِرِ بَيْنِ الْحَشَى وَالْأَضْلَعِ  
أَعْتَبْتُ إِثْرًا تَعْتَبُ وَوَصَلْتُ غَيْبًا تَجْنُبُ وَبَذَلْتُ بَعْدَ تَمْنَعِ  
وَلَوْ أَنِّي أَنْصَفْتُ نَفْسِي صُنْهَافًا عَنْ أَنْ أَكُونَ كَطَالِبٍ لَمْ يَنْجِعِ  
إِنِّي دَعَوْتُ نَدَى الْغَرَامِ فَلَمْ يُجِبْ فَلَا شُكْرَنَ نَدَى أَجَابَ وَمَادَعَى (٤)

(١) كان ابن حيوس يدعى بالأمير ، لأن أباه كان من أمراء المغرب ، قاله ابن خلكان

(٢) في ابن خلكان « هو ذاك ربع المالكية » .

(٣) في ابن خلكان « فلقد فنين أمام دان هاجر » وضمير الاناث في قوله « فنين » على هذه الرواية يعود إلى المدامع .

(٤) في ابن خلكان « إني دعوت ندى الكرام » وهذا البيت ليس متصلا بما قبله فيه .

وَمِنْ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ شَكَرْتُ بَطْنِي عَنْ نَدَى مُتَمَرِّعٍ

وَمِنْ شَعْرِهِ يَمْدَحُ سَابِقَ بْنِ مُحَمَّدٍ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

يَزْدَادُ إِنْ قَصُرَ الْخَطِيُّ عَنْ غَرَضٍ طُولًا، وَيَمُضِي إِذَا حَدَّ الْحُسَامُ نِيًّا<sup>(١)</sup>  
حَلَّ السَّمَاءَ وَمَا حُلَّتْ تَمَارِئُهُ عَنْ جِيدِهِ وَحَبَا الْعَافِينَ مِنْهُ جَبَاً  
حَوَى مِنَ الْفَضْلِ مَوْلُودًا بِلا طَلَبٍ أَضَاعَ مَا أَعْجَزَ الطَّلَّابُ مَكْتَسِبَا  
طَلَّقُ الْحَيَا إِذَا مَارُزْتَ مَجْلِسُهُ حَزَّتْ الْغَنَى وَالْعُلَا وَالْبَاسُ وَالْأَدْبَا  
وَمَحَاسِنُهُ كَثِيرَةٌ

وكان أحمد بن محمد الخياط الشاعر قد وصل إلى حلب سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وبها يومئذ ابن حيّوس المذكور فكتب إليه ابن الخياط يقول  
[من الكامل] :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي مَا يُبَاعُ بِدَرَاهِمَ وَكَفَاكَ مِنِّي مَنَظَرِي عَنْ تَجَبُّرِي  
إِلَّا بَقِيَّةُ مَاءٍ وَجَهٌ حَسَنَتُهَا عَنْ أَنْ تُبَاعَ وَأَيْنَ ابْنِ الْمُشْتَرِي  
فَقَالَ : لَوْ قَالَ « وَنَعَمْ أَنْتَ الْمُشْتَرِي » لَكُنَ أَحْسَنَ

وكان مولد ابن حيّوس سنة أربع وتسعين وثلاثمائة بدمشق ، وتوفي سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

وإبن حبوس<sup>(٢)</sup> الاشبيلي ذكره ابن فضل الله فقال : لا يخف له ضرع خاطر

(١) المراد أنه إذا كان بينه وبين العدو مسافة لا يصلها الرمح فإنه يخطو إلى العدو ليطعنه ، وقد أخذ هذا من قول الشاعر :

\* نَصَلَ السِّیُوفُ إِذَا قَصَرَ نَحْطُونَا \*

(٢) قال ابن خلكان في نهاية تجمته لابن حيوس الدمشقي الحلبي ، السابق ذكره مانصه : « وفي شعراء المغاربة ابن حبوس مثل الأول ، لكن بالباء الموحدة المحففة ، وإنما ذكرته ، لئلا يتصحف على كثير من الناس بإبن حيوس ، ورأيت خلقاً كثيراً يتوهمون أن المغربي يقال له ابن حيوس أيضاً ، وهو غلط ، والصواب ما ذكرته ، والله تعالى أعلم » اهـ .

ولا يحف له نوره سحاب ماطر، لو مسّ بقر يخته الصلدة لتفجر، أو الجهام لا تنعجر،  
وحسبك من هزى غرضه البعيد، ما ذكره له ابن سعيد، وأورد له في المرقص  
قوله في أشر العين لا تفارقه الدمعة [من الكامل] :

شيت فقلنا زورق في لجة مالت بإحدى دفتيه الريح  
فكأنما إنسانها ملاحها قد خاف من غرق فظل يبيع

\* \* \*

شاهد الجمع

١٢٥— إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

البيت لأبي العتاهية، من أرجوزته المزدوجة التي سماها ( ذات الأمثال )  
يقال: إن له فيها أربعة آلاف مثل، فمنها :

حسبك مما تبغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت  
الفقر فيما جاوز الكفا من اتقى الله رجا وخافا  
هي المقادير فلمنى أو فندر إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر  
لكل ما يؤذى وإن قل ألم ما أطول الليل على من لم ينم  
ما انتفع المرء بمثل عقله وخير دخر المرء حسن فعله  
إن الفساد ضده الصلاح ورب جد جره المزاح  
من جعل النمام عبنا هلكا مبلغك الشر كباغيه لكا

وبعد البيت ، وبعده :

يغنيك عن كل قبيح تركه يرتن الرأي الأصل شكه  
ما عيش من آفته بقاءه نعص عيشا كله فباؤه  
يارب من أسخطنا بجهده قد سرنا الله بغير حمده



ما تطلعُ الشَّمْسُ ولا تغيبُ      إلا لِأمرٍ شأنُهُ عَجيبُ  
لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرٌ وَجَوْهَرُ      وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ  
فَكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ      أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ  
مَنْ لَكَ بِالْحَضَى كُلِّ مُتَمَزِّجُ      وسالوسٌ فِي الصَّدْرِ مِنْكَ تَخْلُجُ  
ما زالتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَذَى      تَمَزُّوجَةُ الصَّفْوِ بِأَنْوَاعِ الْقَدَى  
الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا أَزْوَاجُ      لَذَا نَتَاجُ وَلَذَا رِتَاجُ  
مَنْ لَكَ بِالْحَضَى وَلَيْسَ مُحَضُّ      يَخْبُثُ بَعْضُ وَيَطِيبُ بَعْضُ  
لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ      خَيْرُهُ وَشَرُّهُ وَهُمَا ضِدَّانِ  
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَاعِدَا      بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جَدَا  
إِنَّكَ لَو تَسْتَنَشِقُ الشَّحِيحَا      وَجَدْتَهُ أَتَنَ شَيْءٌ رِيحَا  
عَجِبْتُ حَتَّى ضَمَّنِي السُّكُوتُ      صِرْتُ كَأُنِّي حَائِثُ مَبْهُوتُ  
كَذَا أَقْضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ      وَالصَّمْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

وهي طويلة جدا ، وهذا الأنموذج كاف منها

والجدة : الاستغناء ، والمفسدة : الخلة الداعية إلى الفساد

والشاهد فيه : الجمع ، وهو الجمع بين متعدد في حكم ، وهو ظاهر في البيت ،

وما أحسن قول الصفي الخلي فيه [ من البسيط ] :

من أمثلة الجمع

أَرَأَوْهُ وَعَطَايَاهُ وَزِعْمَتُهُ      وَعَفْوُهُ رَحْمَةٌ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ

ومنه قول ابن حجة مع تسمية النوع [ من البسيط ] :

آدَابُهُ وَعَطَايَاهُ وَرَأْفَتُهُ      سَجِيَّةٌ ضَمَّنَ جَمْعُ فِيهِ مُلْتَمِ

وقول ابن جابر الأندلسي [ من البسيط ] :

قَدْ أَحْرَزَ السَّبْقَ وَالْإِحْسَانَ فِي نَسَقِ      وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ قَبْلَ الدَّرَكِ لِلْحِلْمِ

ترجمة  
أبي العتاهية

وأبو العتاهية<sup>(١)</sup> هو : إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان،<sup>(٢)</sup> مولى عنزة<sup>(٣)</sup> وكنيته أبو إسحاق ، وأبو العتاهية كنية غلبت عليه لأنه كان يحب الشهرة والمجون فكفى لعنوه<sup>(٤)</sup> بذلك ، وقيل : إن المهدي قال له يوماً : أنت إنسان متعته متحذلق ، فاستوت له من ذلك كنية ، ويقال للرجل المتحذلق عتاهية ، وفيه يقول أبو قابوس النصراني وقد بلغه أنه فضل عليه العتابي [ من الكامل ] :

قُلْ لِلْمُسْكَنِ نَفْسُهُ مُتَخِيرًا بَعْتَاهِيَّةُ  
وَالْمُرْسِلِ الْكَلِمِ الْقَبِيحِ وَعَنْهُ أَذْنٌ وَاعِيَّةُ  
إِنْ كُنْتَ سِرًّا سَوْتَنِي أَوْ كَانَ ذَاكَ عَلَانِيَّةُ  
فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ ذِي الْجَلَالِ لَ وَأُمُّ زَيْدٍ زَانِيَّةُ

وأم زيد هي أم أبي العتاهية<sup>(٥)</sup> ومنشأه بالكوفة ، وكان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة الخنثين ، ثم كان يبيع الفخار بالكوفة ، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم ، ويقال : أطبع الناس بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية ، وما قدر

(١) لأبي العتاهية ترجمة في الأغاني ( ٣ : ١٢٦ — ١٨٣ ) وهو لم يذكر فيها أخباره مع عتبة — وهي من أعظم أخباره — لأنها كما قال طويلة وقد طلت أخباره ، فأحب أن يفرد أخباره معها . وقد ذكر بعض أخباره في ( ١٤ : ٥٦ — ٥٩ ) ولم يذكر أخباره مع عتبة بعد إخباره أنه أفرداها ، ولأبي العتاهية ترجمة في ابن خلكان ( ١ : ١٢٥ — ١٣٠ ) .

(٢) عنزة بن أسد بن ربيعة ، قاله ابن خلكان ؛ وضبط عنزة بفتح العين المهملة والنون وبعدها زاي .

(٣) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هذه العبارة ما نصه « لا يخفى أن العتو غير العته ، فليس ما قاله صحيحا » اهـ .

(٤) أمه هي : أم زيد بنت زياد المحاربي ، مولى بنى زهرة ، قاله صاحب الأغاني .

أحد قط على جمع شعر هؤلاء الثلاثة بأسره لكثرتة ، وكان غزير البحر ، كثير المعاني لطيفها ، سهل الألفاظ ، كثير الافتنان ، قليل التكلف ، إلا أنه كثير الساقط المردول مع ذلك ، وأكثر شعره في الزهد والأمثال ، وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث والنشور ، ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون النشور والمعاد

وحدث الخليل بن أسد النوشجاني قال : أتانا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعم الناس أنني زنديق ، والله ما ديني إلا التوحيد ، قتلنا له : قل شيئاً نتحدث به عنك ، فقال [ من المتقارب ] :

ألا إننا كنّا بآئدُ      وأى بنى آدم خالِدُ  
وبدؤهم كان من ربهم      وكُلُّ إلى ربِّه عائِدُ  
فيا عجبا كيف يمضى الاله أم كيف يجده الجاحد  
وفي كلِّ شيء له آية      تدلُّ على أنه واحدُ

وكان من أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الأموال

وحدث محمد بن عيسى الخرقى قال : وقف عليه ذات يوم سائل من العيارين الظرفاء وجماعة من جيرانه حواليه ، فسأله دونهم ، فقال له : صنع الله لك ، فأعاد السؤال ، فرد عليه ، فأعاد الثالثة ، فغضب ، وقال له : ألست الذى يقول [ من المديد ] :

كلُّ حَيٍّ عند ميتته      حظُّه من ماله الكفنُ

قال : نعم ، قال : فبالله عليك أتريد أن تعد مالك كله لثمن كفنك ؟ قال : لا ، قال : فبالله كم قدرت لكفنك ؟ قال : خمسة دنانير ، قال : فأعمل على أن ديناراً من الخمسة وضيعته قيراطاً ودفع إلى قيراط واحد ، وإلا فواحدة أخرى ، قال : وماهى ؟ قال : القبور تحفر بثلاث دراهم ، فأعطني درهما وأقيم لك كفيلاً بأن أحفر لك به

قبرك متى مت وترى درهمين لم يكونا في حسابك ، فان لم أحفر رددته على ورثتك أو رده كفيلى عليهم ، فنجعل أبو العتاهية وقال : اغرب لعنك الله وغضب عليك ، وضحك جميع من حضر ، ومر السائل يضحك ، فالتفت إلينا أبو العتاهية وقد اغتاض فقال : من أجل هذا وأمثاله حرمت الصدقة ، فقلنا له : ومن حرما ومتى حرمت ؟ فما رأيت أحدا ادعى أن الصدقة حرمت قبله ولا بعده

وقال : قلت لأبي العتاهية : أتزكى مالك ؟ فقال : والله ما أنفق على عيالى إلا من زكاة مالى ، فقلت له : سبحان الله ! إنما ينبغي لك أن تخرج زكاة مالك للفقراء والمساكين ، فقال لى : لو انتطعت عن عيالى زكاة مالى لم يكن فى الأرض أفقر منهم

وحدث أيضاً قال : كنت جازاً لأبي العتاهية ، وكان له جار يلتقط النوى ضعيف سىء الحال متجمل عليه ثياب ، فكان يمر بأبي العتاهية طرّفى النهار فيقول أبو العتاهية : اللهم أعنه على ما هو بسبيله ، شيخ ضعيف سىء الحال عليه ثياب متجمل ، اللهم اصنع له ، اللهم بارك فيه ، فبقى على هذا إلى أن مات الشيخ نحواً من عشرين سنة ، لا والله إن تصدق عليه بدرهمين ولا دنانق قط ، وما كان زاده على الدعاء شيئاً ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، إني أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنه فقير معيل ، فلم لا تتصدق عليه بشىء ؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصدقة وهى آخر مكاسب العبد ، وإن فى الدعاء خيراً كثيراً

وقال الجاحظ : حدثني ثمامة بن أشرس قال : دخلت يوماً على أبي العتاهية فاذا هو يأكل خبزاً بلا شىء ، فقلت له كالمسكر : كأنك رأيته يأكل خبزاً وحده ، فقال : لا ولكنى رأيته يتأدّم بلا شىء ، فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال : رأيته قدماه خبزاً يابساً من دقاق فطير وقدحا فيه حليب ، فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها فى اللبن ويخرجها فلم تتعلق منه بقليل ولا كثير ، فقلت له : كأنك اشتبهت أن تتأدّم بلا شىء ، وما رأيته أحداً قبله تأدّم بلا شىء .

وقال ثمامة أنشدني أبو العتاهية [من الطويل] :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْرِقْ مِنَ الْمَالِ نَفْسَهُ      تَمَلَّكَهُ الْمَالُ الَّذِي هُوَ مَالُكَهُ  
أَلَا إِنَّمَا مَالِي الَّذِي أَنَا مُنْفِقُهُ      وَلَيْسَ لِيَ الْمَالُ الَّذِي أَنَا تَارِكُهُ  
إِذَا كُنْتُ ذَا مَالٍ فَبَادِرْ بِهِ الَّذِي      يَحِقُّ وَلَا اسْتَهِلْكَنَّهُ مَهَالِكُهُ

فقلت له : من أين قضيت بهذا ؟ قال : من قوله صلى الله عليه وسلم « إنما لك من مالك ما أكلت فأفنت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت » فقلت : أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الحق ؟ قال : نعم ، قلت : فلم تجلس عندك سبعا وعشرين بكرة في دارك لا تأكل منها ولا تشرب ، ولا تزكي ، ولا تقدمها ذخرًا ليوم فقرك وفاقتك ؟ قال : يا أبا معن ، والله إن ما قلت لحق ، ولكني أخاف الفقر والحاجة إلى الناس . قلت : وما يزيد حال من افتقر على حاله وأنت دائم الحزن لا تأكل ولا تشرب منها دائم الجمع شحيح على نفسك ، لا تشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد ؟ فترك جواب كلامي كله ، ثم قال لي : والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحماً وتوابعه وما يتبعه بخمسة دراهم ، فلما قال لي هذا القول أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومعاتبته ، وأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام .

وقيل له : مالك تبخل بما رزقك الله تعالى ؟ فقال : والله ما بخلت بما رزقني الله قط ، قيل له : فكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يحصى ؟ قال : ليس ذلك رزقي ، ولو كان رزقي لأنفقته .

وحدث أبو العتاهية قال : أخرجني المهدي معه إلى الصيد ، فوقعنا منه على شيء كثير ، وتفرق أصحابه في طلبه ، وأخذ هو في طريق آخر غير طريقهم ، فلم يلتفتوا ، وعرض لنا وادجرًا عظيم ، وتغيبت السماء ، وبدأت بمطر ، فتحيرنا ، وأشرقنا على الوادي ، وإذا فيه ملاح يعبر الناس ، فلجأنا إليه وسألناه

عن الطريق ، فجعل يضعف رأينا ويعجزنا في بذل أنفسنا في ذلك العيم والمطر  
للصيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كوخاً له ، وكاد المهدي يموت برداً ، فقال له :  
أعطيك بجبتي هذه الصوف ؟ فقال : نعم ، فغطاه بها ، فتماسك قليلاً ونام ، وافتقده  
غلماناً ، وتبعوا أثره حتى جاؤونا ، فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب  
وتبادر الغلمان ، فَنَحَوُوا الجبة عنه ، وألقوا عليه الخرز والوشى ، فلما انتبه قال لى :  
ويحك ! ما فعل الملاح ؟ فوالله لقد وجب حقه علينا ، فقلت : والله هرب خوفاً  
مما خاطبنا به . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لقد أردت أن أغنيه ،  
وبأى شيء خاطبنا ؟ نحن والله مستحقون لأضعاف ما خاطبنا به ، بجيأتى عليك  
إلا ما هجوتنى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تطيب نفسى بأن أهجوك ؟ قال :  
والله لتفعلن فأننى ضعيف الراى مغرم بالصيد ، فقلت [ من السريع ] :

يَا لَيْسَ الْوَشَى عَلَى ثَوْبِهِ      مَا أَقْبَحَ الْأَشْيَبَ بِالرَّاحِ

فقال : زدنى بجيأتى عليك ، فقلت :

لَوْ شِئْتَ أَيْضاً جُلْتَ فِي خَامَةٍ      وَفِي وَشَاحِينَ وَأَوْضَاحِ

فقال : ويلك ! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وأنا أستأهل ، زدنى شيئاً  
آخر ، فقلت : أخاف أن تغضب ، فقال : لا والله ، فقلت :

كَمْ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ فِي نَفْسِهِ      قَدْ نَامَ فِي جُبَّةٍ مَلَّاحِ

فقال : معنى سوء عليك لعنة الله ، وقننا فركبنا وانصرفنا .

وعن الحسن بن عابد قال : كان أبو العتاهية يحج في كل سنة ، فإذا قدم أهدي  
للمأمون برداً قطرياً ونعلاً سوداء ومساويك أراك ، فبيعت إليه بعشرين ألف  
درهم ، فأهدى له مرة كما كان يهدى كل سنة إذا قدم ، فلم يثبه ولا بعث إليه  
بالوظيفة ، فكتب إليه أبو العتاهية يقول [ من الرمل ] :

خبرونى أن من ضَرَبَ السَّهْ      جَدَّاً بَيْضاً وَصُفْراً حَسَنَ

( ١٩ — مهاد ٢ )

أُحْدِثْتُ لَكُنِّي لَمْ أَرَهَا      مِثْلَ مَا كُنْتُ أَرَى كُلَّ سَنَةٍ  
 قال: فأمر المأمون بحمل العشرين ألفاً إليه ، وقال: أغفلناه حتى أذكركنا .  
 وحدث أبو عكرمة قال : كان الرشيد إذا رأى عبد الله بن معن بن زائدة ،  
 يتمثل بقول أبي العتاهية [ من السريع ] :

أُخْتُ بَنِي شَيْبَانَ مَرَّتْ بِنَا      مَمْشُوطَةٌ كُورًا عَلَى بَغْلٍ  
 وهذا البيت من أبيات لأبي العتاهية يهجو بها عبد الله المذكور ، وبعده :  
 تَكُنِّي أَبَا الْفَضْلِ وَمَنْ ذَا أَرَأَى      جَارِيَةً تَكُنِّي أَبَا الْفَضْلِ  
 قَدْ تَقَطَّتْ فِي وَجْهِهَا نَقْطَةٌ      مَخَافَةَ الْعَيْنِ مِنَ الْكُحْلِ  
 إِنْ زُرْتُمُوهَا قَالِ حُجَابُهَا      نَحْنُ عَنْ الزُّوَارِ فِي شُغْلٍ  
 مَوْلَانَا مَشْغُولَةٌ عِنْدَهَا      بَعْلٌ وَلَا إِذْنَ عَلَى الْبَعْلِ  
 يَا بِنْتَ مَعْنٍ الْخَيْرِ لَا تَجْهَلِي      وَأَيْنَ تَقْصِيرُ عَنْ الْجَهْلِ (١)  
 أَتَجْلِدُ النَّاسَ وَأَنْتَ أَمْرُؤُ      تُجْلِدُ فِي دُبْرِكَ وَالْقَبْلِ  
 مَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَنْسُبُوا      مَنْ كَانَ ذَا جُودٍ إِلَى الْبِخْلِ  
 يَبْذُلُ مَا يَمْنَعُ أَهْلُ النَّدَى      هَذَا لِعَمْرِي مِنْتَهَى الْبَذْلِ  
 مَا قُلْتُ هَذَا فَيْكَ إِلَّا وَقَدْ      جَعَلْتُ بِهِ الْأَقْلَامُ مِنْ قَبْلِي

قال : فبعث إليه عبد الله بن معن ، فأتى به ، فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن  
 يرتكبوا منه الفاحشة ، ففعلوا ذلك ، ثم أجلسه ، وقال له : قد جزيتك على  
 قولك ، فهل لك بعد هذا في الصلح ومعه مركب وعشرة آلاف درهم أو تقبم  
 على الحرب وما ترى ؟ قال : بل الصلح ، قال : فأسمعني ما تقوله في معنى الصلح  
 فقال [ من الرمل ] :

(١) في الأغاني « وأين إقصار عن الجهل » وهو أظهر

ما لعدالي ومالي      أمروني بالضلال  
عدلوني في اغتفاري      لا بين معني واحتمالي  
إن يكن ما كان منه      فبجزئي وفعالي  
أنا منه كنت أسوا      عشرة في كل حال (١)  
قل لمن يعجب من حسن رجوعي ومقالي (٢)  
رب ود بعد صد      وهوى بعد تقال  
قد رأينا ذا كثيرا      جاريا بين الرجال  
إنما كانت عيني      لطمت مني شمالي

وكان أبو العتاهية في حدائته يهوى امرأة من أهل الحيرة نأحمة لها حسن ودمائة، [يقال لها سعدى] (٢). وكان ممن يهواها أيضا عبد الله بن معن، وكانت مولاهم، وكانت صاحبة حبائب، وكان أبو العتاهية مولعا بالنساء، فقال فيها [من الطويل]:

ألا ياذوات السحق في الغرب والشرق      أفقن خان النيك أشهى من السحق  
أفقن فان الخبز بالآدم يشتهى      وليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلق  
أزا كن ترقعن الخروق بمثلها      وأنى لبيب يزقع الخرق بالخرق  
وهل يصلح المهراس إلا بعوده      إذا احتيج منه ذات يوم إلى الدق  
وقال فيها أيضا [من الخفيف]:  
قلت للقلب إذ طوى وصل سعدى      لهواه البعيدة الأسباب

- (١) في الأصل «كنت أسوا \* عبرة» وما أثبتناه موافقا لما في الأغاني  
(٢) في الأصل «ما لمن يعجب» محرفا عما أثبتناه موافقا لما في الأغاني  
(٣) وقعت هذه الجملة في الأصل بعد قوله «وكانت مولاهم» وأثبتناها في مكانها عن الأغاني



أنتَ مثلُ الذي يفرُّ من القطرِ حِذَارَ الندى إلى الميزابِ  
ففضب ابن معن لسعدى، فضرب أبا العتاهية مائة، فقال فيه [من مجزوء الخفيف]:

جلَّدتَنِي بكفها بنتُ معنِ بنِ زائده  
جلدتني بكفها بأبي تلك جالده<sup>(١)</sup>  
وتراها مع الخصى على الباب قاعده  
تكنى كنى الرجا ل لعمدٍ مُكايده  
جلَّدتَنِي وبالفتِ مائة غير واحد  
اجلديني اجلدى اجلدى إنما أنتِ والده

وقال في ضربه إياه أيضا [من الخفيف]:

ضربتني بكفها بنتُ معنٍ أوجعت كفها وما أوجعتني  
ولعمري لولا أذى كفها إذ ضربتني بالسوط ما تركتني  
وحدث أحمد بن أبي قتن قال: كنا عند ابن الأعرابي فذكر قول يحيى بن  
نوفل في عبد الملك بن عمير القاضى، وهو [من الطويل]:

إذا كلمته ذاتُ دَلٍّ لحاجةٍ فهمٌ بأن يقضى تنحج أوسعل<sup>(٢)</sup>  
وأن عبد الملك بن عمير قال: تركنى والله وإن السُّعلةَ تعرض لى فى الخلاء  
فأذكر قوله [فأهاب أن أسعل] <sup>(٣)</sup> قال: فقلت: هذا ابن معن بن زائدة يقول له  
أبو العتاهية<sup>(٤)</sup> [من الهزج]:

(١) فى الأغاني «جلدتني فأوجعت» ولا يتناسب مع المعنى الذى يريد،  
ولا مع البيتين اللذين بعد هذه الأبيات  
(٢) وقع فى الأصول (إذا كلمته ذات دار حاجة) محرفا عما أثبتناه، وفى  
الأغاني \* إذا ذات دل كلمته حاجة \*

(٣) زيادة يتم بها المعنى، وهى ثابتة فى الأغاني  
(٤) البيتان من أبيات يقولها أبو العتاهية فى عبد الله بن معن بن زائدة،  
وانظرها فى الأغاني (٤ - ٢٤ دار السكت)

فصنع ما كنت حليته به سيفك خلخالاً  
فما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالاً

فقال عبد الله : ما لبست السيف قط فلمحنى إنسان إلا قلت يحفظ شعر  
أبي العتاهية في فينظر إلى بسببه ، فقال ابن الأعرابي : اعجبوا لهذا العبد يهجو  
مولاه ، وكان أبو العتاهية من موالى بنى شيبان

وحدث المدايني قال : اجتمع أبو نواس وأبو الشمقمق في بيت ابن أذين ،  
وجاء أبو العتاهية - وكان بينه وبين أبي الشمقمق شر - فخبأه من أبي العتاهية في  
بيت ، ودخل أبو العتاهية ، فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث ، فظنه جارية فقال  
لابن أذين : متى استظرفت هذه الجارية ؟ قال : قريباً يا أبا إسحاق ، فقل فيها  
ما حضر ، فمد أبو العتاهية يده إليه وقال [ من السريع ] :

مددت كفى نحوكم سائلاً ماذا تردون على السائل

فلم يلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من داخل البيت بهذا البيت  
ترد في كفك ذا فيشة يشفى جوى في استك من داخل

فقال أبو العتاهية : [ أبو ] الشمقمق والله ، وقام مغضباً

20

وقال أبو العتاهية : حبسنى الرشيد<sup>(١)</sup> لما تركت قول الشعر ، فأدخلت السجن  
وأغلق الباب على ، فدهشت كما يدهش مثلى لذلك الحال ، فاذا أنا برجل جالس في  
جانب الحبس مقيد ، فجعلت أنظر إليه ساعة ، ثم تمثل وقال [ من الطويل ] :

تعوذت مسّ الضر حتى ألفت وأسلمنى حسن العزاء إلى الصبر

وصيرنى يأسى من الناس راجياً لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى<sup>(٢)</sup>

فقلت له : أعد أعزك الله هذين البيتين ، فقال لى : ويلك يا أبا العتاهية !  
ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ! دخلت على الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ،

(١) فى ابن خلكان « أمر المهدي بحبسى » وفى بقية القصة ذكر الرشيد

(٢) فى الأصل « يأسى من الله » وهو فاسد ، وأثبتنا ما فى الأغاني

وَلَا سَأَلْتُ مَسْأَلَةَ الْحَرِّ لِلْحَرِّ ، وَلَا تَوَجَّعْتُ تَوَجُّعَ الْمَبْتَلَىِّ لِلْمَبْتَلَىِّ ، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ  
بِئْتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ الَّذِي لَا فَضْلَ فِيكَ غَيْرِهِ لَمْ تَصْبِرْ عَنْ اسْتِعَادَتِهِمَا ، وَلَمْ تَقْدَمْ قَبْلَ  
مَسْأَلَتِهِمَا عَذْرًا لِنَفْسِكَ فِي طَلِبِهِمَا ، فَقُلْتُ : يَا أَخِي ، إِنِّي دَهَشْتُ لِهَذَا الْخَالِ فَلَا  
تُعَذِّلْنِي . وَاعْذِرْنِي مَتَفَضِّلًا بِذَلِكَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ أَنَا أَوْلَى بِالْدهَشِ وَالْخَيْرَةِ مِنْكَ ،  
لَأَنَّكَ حَبَسْتَ فِي أَنْ تَقُولَ الشَّعْرَ الَّذِي بِهِ ارْتَفَعْتَ وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ ، فَإِذَا قُلْتَ  
أَمَنْتَ ، وَأَنَا مَأْخُذٌ بِأَنْ أَحِلَّ عَلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَقْتُلَ أَوْ أَقْتُلَ  
دُونَهُ ، وَاللَّهِ لَا أَدُلُّ عَلَيْهِ أَبَدًا وَالسَّاعَةَ يَدْعِي بِي فَأَقْتُلُ ، فَأَيْنَا أَحَقُّ بِالْدهَشِ ؟  
فَقُلْتُ : أَنْتَ وَاللَّهِ أَوْلَى سَلَمَكَ اللَّهُ وَكَفَاكَ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذِهِ حَالُكَ مَا سَأَلْتُكَ ،  
فَقَالَ : لَا نَبْخُلُ عَلَيْكَ إِذْنًا ، ثُمَّ أَعَادَ الْبَيْتَيْنِ حَتَّى حَفَظْتَهُمَا ، فَسَأَلْتُهُ مِنْ هُوَ (١)  
قَالَ : أَنَا حَاضِرُ (٢) دَاعِيَةِ عِيسَى بْنِ زَيْدٍ وَابْنِهِ أَحْمَدَ ، وَلَمْ نَلْبِثْ أَنْ سَمِعْتُ صَوْتَ  
الْأَقْفَالِ . فَقَامَ فَسَكَبَ عَلَيْهِ مَاءٌ كَانَ عِنْدَهُ فِي جَرَّةٍ وَلَبَسَ ثَوْبًا نَظِيفًا وَدَخَلَ  
الْحَرَسَ وَالْجُنْدَ مَعَهُمُ الشَّمْعَ . فَأَخْرَجْنَا جَمِيعًا ، وَقَدِمَ قَبْلِي إِلَى الرَّشِيدِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ  
أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى ، فَقَالَ : لَا تَسْأَلْنِي عَنْهُ وَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ فَلَوْ أَنَّهُ تَحْتَ ثَوْبِي  
هَذَا مَا كَشَفْتُ عَنْهُ . فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَضَرَبْتُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَظْنُكَ ارْتَفَعْتَ  
يَا إِسْمَاعِيلُ ؟ فَقُلْتُ : دُونَ مَا رَأَيْتَهُ تَسِيلُ مِنْهُ النُّفُوسُ . فَقَالَ : رُدُّوهُ إِلَى مَحْبِسِهِ .  
فَرُدُّدَتْ . وَانْتَحَلَتْ الْبَيْتَيْنِ وَزِدَتْ فِيهِمَا [ مِنْ الطَّوِيلِ ]

إِذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلِّ مَا تَكْرَهْتُ مِنْهُ طَالَ عَتْبِي عَلَى الدَّهْرِ  
وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مُشْتَهَرًا بِحُبِّ عَتْبَةٍ جَارِيَةِ الْمَهْدِيِّ ، وَأَكْثَرَ نَسِيهِ فِيهَا  
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ وَكَتَبَ بِهِ إِلَى الْمَهْدِيِّ يَعْزُضُ بِهَا [ مِنْ الْبَسِيطِ ] :

(١) فِي ابْنِ خُلِكَانَ « مِنْ أَنْتَ » وَفِي الْأَغَانِي مِثْلُ مَا هُنَا ، وَكَلَامُهُمَا صَحِيحٌ  
(٢) فِي الْأَغَانِي « أَنَا خَاصُ دَاعِيَةِ عِيسَى بْنِ زَيْدٍ وَابْنِهِ أَحْمَدَ » وَفِي  
ابْنِ خُلِكَانَ مِثْلُ مَا هُنَا .

نفسى بشئ من الدنيا معلقةً      والله والقائم المهدي يكفيها  
 إني لأياس منها ثم يطمعني      فيها احتقارك للدنيا وما فيها  
 فهم المهدي بدفع عتبة إليه ، فخرجت وقالت : يا أمير المؤمنين مع حرمتي  
 وخدمتي أفتدفعني إلى قبسح المنظر بأفع جرارٍ ومكتسب بالعشق ؟ فأعفاها ،  
 وكان قد كتب البيتين على حواشي ثوب مطيب ووضعه في برنية ضخمة ، فقال  
 المهدي : املاؤا له البرنية مالا ، فقال لاسكتاب : أمرلى بدنانير ، قالوا : ماندفع  
 إليك ذلك ، ولكن إن شئت أعطيناك الدراهم إلى أن يفصح بما أراد ، فاختلف  
 في ذلك حولا ، فقالت عتبة : لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في  
 التميز بين الدراهم والدنانير ، وقد أضرب عن ذكرى صفحا  
 وجلس أبو العتاهية يوما يعذل أبا نواس ويلومه على استماع الغناء ومجالسته  
 لأصحابه ، فقال أبو نواس [ من مجزوء الرمل ]

أتراني يا عتاهي      تاركا تلك الملاهي  
 أتراني مفسداً بالنسك عند القوم جاهي  
 فوثب أبو العتاهية وقال : لا بارك الله عليك ! وجعل أبو نواس يضحك  
 وحدث مخارق قال : جاءني أبو العتاهية يوما فقال لي : قد عزمت على أن  
 أتزود منك يوما تببه لي ، فمتى تنشط لذلك ؟ فقلت : متى شئت ، قال : إني أخاف  
 أن تقطع بي ، فقلت : لا والله ولو طلبني الخليفة ، فقال : يكون ذلك في غد ،  
 فقلت : أفعل ، فلما كن من الغد باكرني رسوله ، فجيته فأدخلني بيتا له نظيفا فيه  
 فرش نظيف ، ثم دعا بمائدة وعليها خبز سميد وخل وبقل وملح وجدى مشوى ،  
 قال : فأكلنا منها حتى اكتفينا ، ثم دعا بسمك مشوى فأصبنا منه أيضا ، ثم  
 دعا بفراخ ودجاج وفراريج مشوية فأكلنا منها حتى اكتفينا ، ثم أتونا بجلاء  
 فأصبنا منها وغسلنا أيدينا ، ثم جاءونا بفاكهة وريحان وألوان من الأبندة فقال

لى : اختر ما يصلح لك ، فاخترت وشربت وصب قدحاً ثم قال : غنى لى قولى  
[ من الخفيف ]

أحمدٌ قال لى ولم يذّر ما بى      أتحبُّ الفتاة عُتْبَةً حقاً  
فغنيته ، فشرب أقداحاً ، وهو يبكى أحر بكاءً ، ثم قال : غنى فى قولى  
[ من السريع ] :

ليس لمن ليست له حيلةٌ      موجودةٌ خيرٌ من الصبرِ  
فغنيته ، وهو ينتحب ويبكى ، ثم قال : غنى ، فديتك فى قولى  
[ من الطويل ] :

خليلى مالى لا تزال مضررتى      تكون مع الأقدار حتماً من الختمِ  
فغنيته إياه ، وما زال يقترح على كل صوت غنى به فى شعره ، ويقول : غنى  
به ، فأغنيه ويشرب ويبكى ، ثم صارت العتمة ، فقال لى : أحب أن تصبر  
حتى ترى ما أصنع ، فجلست ، فأمر ابنه وغلّامه ، فكسرا كل ما كان بين أيدينا  
من النبيذ وآلات الملاهى ، ثم أمر باخراج كل ما كان فى بيته من النبيذ وآلاته  
فما زال يكسره ويصب النبيذ ، وهو يبكى ، حتى لم يبق من ذلك شىء ، ثم  
نزع ثيابه واغتسل ولبس ثياب بياض من الصوف ، ثم عانقنى وبكى ، وقال :  
عليك السلام يا حبيبي وفرحى من الناس كلهم ، سلام الفراق الذى لا لقاء بعده ،  
وجعل يبكى ويقول : هذا آخر عهدك بى فى حال تعاشر أهل الدنيا ، فظننت  
أنها بعض حماقاته ، فانصرفت فما لقينته زماناً ، ثم تشوقته ، فأتيته فاستأذنت  
عليه ، فأذن لى فدخلت ، فاذا هو قد أخذ قوسرتين وثقب إحداها وأدخل  
رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص ، وثقب أخرى وأخرج رجله منها وأقامها  
مقام السراويل ، فلما رأيت نسيته ما كان عندى من الغم عليه والوخشة لعشرته  
وضحكت والله ضحكاً ما ضحكت مثله قط ، فقال لى : من أى شىء تضحك ؟

لا ضحكت ! فقلت : أسخن الله عينيك ! أى شىء هو ؟ من بلغك عنه أنه فعل مثل هذا من الأنبياء ، أو الزهاد ، أو الصحابة ، أو التابعين ، أو المجانين ؟ انزع عنك هذا ياسخين العين ، فكأنه استحيا منى ، ثم بلغنى عنه أنه جلس حجاماً ، فجهدت أن أراه بتلك الحالة ، فلم أره ، ثم مرض فبلغنى أنه اشتهى أن أغنيه ، فأتيته عائداً ، فخرج إلى رسوله يقول : إن دخلت جددت لى حزناً وتاقت نفسى إلى سماعك وإلى ما قد غلبتها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدى به .

وقيل لأبى العتاهية عند الموت : ما تشهى ؟ فقال : أشتهى أن يجىء مخارق فيضع فيه على أذنى ثم يغنبنى [ من الطويل ] :

ستعرض عن ودى وتنسى مودتى ويحدث بعدى للخليل خليل  
إذا ما انقضت عنى من الدهر مدتى فان غناء الباكيات قليل  
وحدث محمد بن أبى العتاهية قال : آخر شعر قاله أبى فى مرضه الذى مات فيه [ من الوافر ] :

إلهى لا تعذبى فإنى	مقر بالذى قد كان منى
فما لى حيلة إلا رجائى	لعفوك إن عفوت وحسن ظنى
وكم من زلة لى فى الخطايا	وأنت على ذو فضل ومن
إذا فكرت فى ندمنى عليها	عضضت أنا لى وقرعت سنى
أجن بزهرة الدنيا جنونا	وأقطع طول عمرى بالتمنى
ولو أنى صدقت الزهد عنها	قلبت لأهلها ظهر المجن
يظن الناس بى خيراً وإنى	لشر الناس إن لم تعف عنى

ومحاسنه كثيرة .

وكان الأصمعى يستحسن قوله [ من مجزوء الرمل ] :

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا حَبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ  
فَإِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ سَاعَةً بَجَّكَ نُفُوهُ

وحدث ابن الأنباري أبو بكر ، قال : أرسلت زبيدة أم الأمين إلى أبي العتاهية أن يقول على لسانها أبياتا بعد قتل الأمين يستعطف بها المأمون ، فأرسل إليها هذه الأبيات [من الطويل] :

أَلَا إِنَّ صَرْفَ الدَّهْرِ يُدْتِي وَيُبْعِدُ وَيُمْتَعُّ بِالْآلَافِ طَوْرًا وَيَفْقَدُ  
أَصَابَتِ بَرِيْبِ الدَّهْرِ مَنِي يَدِي فَسَلِمْتُ لِلْأَقْدَارِ وَاللَّهُ أَحْمَدُ  
وَقُلْتُ لَرِيْبِ الدَّهْرِ : إِنْ هَلَكْتُ يَدُ فَقَدْ بَقِيَْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِي يَدُ  
إِذَا بَقِيَ الْمَأْمُونُ لِي فَالرَّشِيدُ لِي وَلِي جَعْفَرُ لَمْ يَفْتَقِدْ وَمُحَمَّدُ

قال : فلما قرأها المأمون استحسناها وسأل عن قائلها ، فقيل له : أبو العتاهية فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعطف على زبيدة ، وزاد في تكريمها ، وقضى خوائجها جميعاً .

وحدث عمر بن أبي شيبه قال : مرَّ عابدٌ براهب في صومعة ، فقال له : عِظْنِي ، قال : أعظاك وعليكم نزل القرآن ، ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم ؟ قلت : نعم ، قال : فاعظ بيت من شعر شاعركم أبي العتاهية حيث يقول [من الطويل] :

تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا وَقَعْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَجَرَّدُ  
وَمِنْ شِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ [من الكامل] :

بَادِرْ إِلَى الدَّلَّاتِ يَوْمًا أَمْكَنْتَ بِحُلُولِهِنَّ بِوَادِرِ الْآفَاتِ (١)  
كَمْ مِنْ مُؤَخَّرٍ لَذَّةٍ قَدْ أَمْكَنْتَ لَعْدٍ وَلَيْسَ غَدٌ لَهُ لُحُومَاتِ  
حَتَّى إِذَا فَاتَتْ وَفَاتَ طُلَابُهَا ذَهَبَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ حَسَرَاتِ

(١) في الديوان (٤٩) « بادر إلى الغايات يوما أمكنت » وليس بشيء

تأتى المكارة حين تأتى جملة وأرى الشرور ينجى فى الفلوات  
ومنه قول بعضهم [من الخفيف] :

أى شىء يكون أعجب أمراً إن تنكرت من صروف الزمان  
عارضات الشرور توزن فيه والبلايا تكال بالقفر أن  
ومن شعره أيضاً قوله [من الكامل] :

وإذا انقضى هم امرى فقد انقضى إن الهموم أشدهن الأحداث  
ويؤى إلى هذا المعنى قوله أيضاً ، وهو عجيب فى معناه [من الخفيف] :  
إنما أنت طول عمرك ما عمرت فى الساعة التى أنت فيها  
ومن هذا قول من قال [من الرمل] :

وكما تبلى وجوه فى الثرى فكذا يبلى عليهم الحزن  
ومن شعره أيضاً قوله [من البسيط] :

كان عائبكم يبدى محاسنكم منكم فيمدحكم عندي فيغيرني  
إني لأعجب من حب يقربني معاً يباعدني عنه ويقصيني  
ومثل الأول قول عروة بن أذينة [من السريع] :

كانما عائبها جاهداً زينها عندي بتزين

وكذا قول أبي نواس [من السريع] :

كانهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذى عابوا

وقال أبو العنابية لابنته رقية فى علته التى مات فيها : قومي يا بنية ، فارثي  
أباك واندبيه بهذه الأبيات ، فقامت ، فندبته بقوله [من الكامل] :

لعب البلا بمعالى ورسومي وقبرت حياً تحت ردم همومي  
لزم البلا جسمي فأوهى قوتي إن البلا لموكل بلزومي



وكان مولده سنة ثلاثين ومائة ، ووفاته في يوم الاثنين ، ثمان من جمادى الأولى ، وقيل : ثلاث من جمادى الآخرة ، سنة إحدى عشرة ومائتين ، وقيل : سنة ثلاث عشرة ، ودفن حيا ل قنطرة الزياتين في الجانب الغربى ببغداد ، وأمر أن يكتب على قبره [ من الخفيف ] :

إِنَّ عَيْشًا يَكُونُ آخِرُهُ الْمَوْتُ لَعَيْشٌ مُعْجَلُ التَّنْصِيفِ  
وقيل : أوصى أن يكتب عليه [ من مجزوء الخفيف ] :

أَذْنٌ حَيٌّ تَسْمَعِي واسمعي ثم رعى ورعى  
أنا رهنٌ بمضجعى فاحذروا مثل مصرعى  
عشت تسعين حجةً اسلمتني لمضجعى  
كم ترى الحى ثابتاً فى ديار التزعزع  
ليس زاد سوى التقى فخذى منه أو دعى

ولما مات رثاه ابنه محمد فقال [ من مجزوء الخفيف ] :

يا أبى ضمك الثرى وطوى الموت أجمعك  
ليتنى متُّ يوم صرْتُ ت إلى حفرة معك  
رحم الله مصرعك برَّدَ الله مضجِعك

\*\*\*

١٢٦ - ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سناء  
فنوال الأمير بذرة عين ونوال الغمام قطرة ماء

شاهد التفريق

البيتان لرشيد الدين الوطواط الشاعر، من الخفيف  
والنوال : العطاء، والبذرة : كيس فيه ألف دينار ، أو عشرة آلاف درهم ،  
أو سبعة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار ، والعين هنا : المال

والشاهد فيهما : التفريق ، وهو : إيقاع تباين بين أمرين من نوع في المدح أو في غيره ، فمن ذلك قول بعضهم [ من الوافر ] :

من أمثلة  
التفريق

حسبتُ جمالهُ بدرًا منيرًا      وأين البدر من ذاك الجمال  
وقول الآخر [ من مخرج البسيط ] :

قاسوك بالغصن في التَّنَنِي      قياسَ جهلٍ بلا انتصاف  
هذاك غصن الخلاف يُدْعَى      وأنت غصن بلا خلاف  
وما أحسن قول الموصلي مع تسمية النوع [ من البسيط ] :

قالوا هو البحر والتفريق بينهما      إذ ذاك غمٌّ وهذا فارق الغمِّ  
وقد تلاعب الشعراء بمعنى البيتين المستشهد بهما ، فلولؤاء الدمشقي [ من المنسرح ] :

مَنْ قاسَ جَدَّوَاكَ بالغمامِ فما      أنصف في الحكم بين شكلين  
أنت إذا جدتَ ضاحكٌ أبدًا      وهو إذا جادَ بأكى العين  
ولبعضهم فيه أيضا وأجاد جدًّا [ من المجتث ] :

من قاسَ جَدَّوَاكَ يومًا      بالسُّحْبِ أخطأ مدحك  
السُّحْبُ تعطى وتبكي      وأنت تعطى وتضحك

21

ولأبي الفتح البُستِي وأجاد [ من الكامل ] :  
ياسيد الأمراء يا مَنْ جودُهُ      أوفى على الغيث المطير إذا همي  
الغيثُ يعطى بأكيا متجهِّمًا      ونراك تعطى ناضرًا متبسِّمًا

ومثله لأبي منصور البوشنجي [ من الوافر ] :  
وذلك ضاحكٌ أبدًا بجودٍ      وجودك ليس بمطرٍ غيرَ بأكى  
وقول الأديب يعقوب النيسابوري ، في الأمير أبي الفضل الميكالي ،  
[ من الطويل ] :

رَأَيْتُ عُبيدَ اللَّهِ يَضْحَكُ مُعْطِيًا      وَيَبْكِي أَخُوهُ الْغَيْثُ عِنْدَ عَطَائِهِ  
وَكَمْ بَيْنَ ضَحَّاكَ يَجُودُ بِمَالِهِ      وَآخَرَ بَكَاءِ يَجُودُ بِمَالِهِ  
ولشرف الدين السنجارى فى معناه [من الكامل] :

مَا قَسْتُ بِالْغَيْثِ الْعَطَايَا مِنْكَ إِذْ      يَبْكِي وَتَضْحَكُ أَنْتَ إِذْ تُؤَلِّى النَّدَا  
وَإِذَا أَفَاضَ عَلَى الْبَرِيَّةِ جُودُهُ      مَاءً تَفِيضُ لَنَا يَمِينُكَ عَسَجِدًا  
وما أبدع قول البديع الهمداني ، مع زيادة المعنى ، والمبالغة فى الغلو  
[من البسيط] :

يَكَادُ يَحْكِيكَ صُوبُ الْغَيْثِ مَنْسَكِبًا      لَوْ كَانَ طَلَقَ الْحَيَا يَمْطُرُ الذَّهَبَا  
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ      وَاللَّيْثُ لَوْ لَمْ يُصَدِّ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَّبَا  
وقول ابن بابك يمدح نظام الملك [من الطويل] :

يَقُولُونَ إِنَّ الْمَزْنَ يَحْكِيكَ صُوبُهُ      مَجَامِلَةً هَا قَدْ شَهِدَتْ وَغَابَا  
وَكَمْ عَزْمَةٍ عَمَّ الْبَرِيَّةَ بَوْسُهَا      قَهْلُ نَابٍ فِيهَا عَنْ نَدَاكَ مَنَابَا  
تَهَمَّتْ ذَهَابًا فِيهَا يَدَاكَ عَلَيْهِمْ      وَضَنْتَ يَدَاهُ أَنْ تَرَشَّ ذَهَابَا  
وقول ابن اللبانة فى المعتمد على الله بن عباد [من الطويل] :

سَأَلْتُ أَخَاهُ الْبَحْرَ عَنْهُ فَقَالَ لِي      شَقِيقِي إِلَّا أَنَّهُ الْبَارِدُ الْعَنْبُ  
لَنَا دِيمَتَا مَاءٍ وَمَالٍ ، فَدِيمَتِي      تَمَاسِكُ أَحْيَانًا وَدِيمَتُهُ سَكَبُ  
إِذَا نَشَأَتْ بَرِّيَّةٌ فَلَهُ النَّدَى      وَإِنْ نَشَأَتْ بَحْرِيَّةٌ فَلِيَ السَّحْبُ  
وينظر إل معانى ما مر ولم يكن بعيدا منها قول بعضهم [من الخفيف] :

يَا عَيُونََ السَّمَاءِ دُمُوعُكَ يَفْنَى      عَنْ قَرِيبٍ وَمَا لِدُمْعَى قَنَاءُ  
أَنَا أَبْكِي طَوْعًا وَتَبْكِينَ كَرْهًا      وَدُمُوعِي دِيمًا وَدُمُوعُكَ مَاءُ

ولم أقف على ترجمة الوطواط <sup>(١)</sup> الشاعر، لكن رأيت ابن فضل الله ذكره في المسالك في معرض تراجم فائبت<sup>٢</sup> ما رأيت<sup>٣</sup>، قال في ترجمة الشمس بن دانيال إنه كان بينه وبين الوطواط ما يكون بين الأدباء، ويدب بين الأحياء، فعرضت للوطواط رمة تكدر بها صفيحه، وتكنى له فيها صريحه، فقيل له: لو طلبت ابن دانيال، فقال: ذاك لا يسمح بذرة، يعنى من كحله. فبلغ ابن دانيال فقال في ذلك [من الطويل]:

ولم أقطع الوطواط بُخْلاً بِكَحْلِهِ      ولا أنا من يعيبه يوماً تردد  
ولكنه ينبو عن الشمس طرفه      فكيف به لى قدرة وهو أرمَد  
وقال في ترجمة شافع بن علي بن عباس الكاتب، ومن قوله في الوطواط الشاعر [من الخفيف]:

كم على درهم يلوح حراماً      يالئيم الطباع سرّاً تواطى  
دائماً في الظلام تمشى مع الناس      س، وهذى عوائد الوطواط  
وقوله فيه [من السريع]:

قالوا نرى الوطواط في شدة      من تعب الكد ومن ويل  
فقلت هذا دأبه دائماً      يسعى من الليل إلى الليل

ثم إنى رأيت المرحوم الجلال السيوطي ذكره في طبقات النحاة، فقال: محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه،

(١) اقرأ خبراً عن الرشيد الوطواط في معجم الأدباء ليناقوت (١ - ١٠٣ مصر) وقرأ له ترجمة في المعجم أيضاً (١٩ : ٢٩ - ٣٦) وعنهما نقل السيوطي ما ذكره المؤلف عنه فيما بعد.

المعروف بالرشيد الوطواط<sup>(١)</sup> قال ياقوت : كان من نوادر الزمان وعجائبه ، وأفراد الدهر وغرائبه ، أفضل أهل زمانه في النظم والنثر ، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب ، وأسرار النحو والأدب ، طار في الآفاق صيته ، وسار في الأقاليم ذكره ، وكان ينشئ في حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر وبيتا بالفارسية من آخر ، ويعليهما معا ، وله من التصانيف « حدائق السحر ، في دقائق الشعر » أسفاره رسالة بالعربي ورسالة بالفارسي ، وغير ذلك ، مولده ببلخ ، ومات بخوارزم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

فتبين بهذا أن الذي ذكرناه أولا ليس هو  
ومن رسائله ما كتبه إلى العلامة جارا لله الزمخشري ، ليستأذنه في حضور  
مجلسه والاستفادات من سؤالاته [ من الطويل ] :

لقد حاز جارا لله دام جماله فضائل فيها لا يشق غباره  
تجدد رسم الفضل بعد اندراسه بأيام جارا لله فالله جاره<sup>(٢)</sup>  
أنا منذ لفظتني الأقدار من أوطاني ، ومعاهد أهلي وجيراني ، إلى هذه  
الخطبة التي هي اليوم بمكان جارا لله ، أدام الله جماله جنة للكرام ، وجنة من  
نكبات الأيام ، كانت قصوى منيقي ، وقصارى بغيقي ، أن أكون أحد  
الملازمين لسدته الشريفة التي هي بجسم السيادة<sup>(٣)</sup> ومقبّل أفواه السادة ، فمن  
ألقي بها عصاه ، حاز في الدارين مناه ، ونال في الحلين مبتغاه ، ولكن سوء  
التقصير ، أو مانع التقدير ، حرمني<sup>(٤)</sup> مدة تلك الخدمة ، وحرمت تلك النعمة ،  
والآن أظن وظن المؤمن لا يخطئ أن آفل جدّي هم بالاشراق ، وذابل إيراق

(١) في معجم الأدباء « رشيد الدين المعروف بالوطواط »

(٢) في المعجم « بآثار جارا لله »

(٣) في المعجم « مخيم السيادة » وكلاهما صحيح له وجه .

(٤) هذه الكلمة لا توجد في المعجم .

تحرك للإيراق (١)، فقد أجد في نفسي نوراً مجدداً يهدينى إلى جنته ، ومن شوقى داعياً موقفاً يدعونى إلى عتبته ، ويقرع سمعى كل ساعة لسان الدولة (٢) أن اخلع نعلك ، واطرح بالواد المقدس رحلك ، ولا تحفل بقصد قاصد (٣) ، وحسد حاسد ، فان حضرة جبار الله أوسع من أن تضيق على راغب فى فوائده ، وأكرم من أن تستنقل (٤) وطأة طالب لعوائده ، ومع هذا أرجو إشارة تصدر عن مجلسه المحروس ، إما بخطه الشريف ، فان فى ذلك شرفاً لى يدوم مدى الدهر والأيام ، وفخراً يبقى على مر الشهور والأعوام ، وإما على لسان من يؤثق بصدق مقالته ، ويعتمد على تبليغ رسالته ، من المنخرطين فى سلك خدمته ، والراغبين فى رياض نعمته ، ورأيه فى ذلك أعلى وأصوب .

وكتب إليه يهنئه بالعيد : الأعياد - عرف الله سيدنا جبار الله بركة قدومها وورودها ، وجعل له الحظ الأكمل والقسط الأجل من ميامنها وسعودها ! - فرائد قلائد الأيام ، وغرر جبهات الأعوام ، لكنها راحلة لا تقوم ، وزائلة لا تدوم ، ولقاء جبار الله - أدام الله مجده لنا معشر خدمه ، والمرتعين در فضله وكرمه - عيد لا زال العيد له كتصحيفه (٥) باقية محاسنه ، دائمة ميامنه ، يهدى كل ساعة إلى أبصارنا نوراً ، وإلى أرواحنا راحة وسروراً ، فكيف نهى عيداً هذه حاله ، بعيد لا يؤمن زواله [ من الطويل ] :

(١) الذى فى المعجم « وذابل إقبالى أقبل على الايراق »

(٢) فى المعجم « لسان الهيبة »

(٣) فى المعجم « ولا تحفل بحقد حاقد »

(٤) فى الأصول « وأكرم من أن تستنقل من وطأة » وما أثبتناه

موافق لما فى معجم ياقوت

(٥) يريد لازال العيد له عبدا .

أَتَى الْعِيدُ جَارَ اللَّهِ وَهُوَ مُجَدِّدٌ      بِخِدْمَتِهِ عَهْدَ الْمُهَيْمِنِ تَجْدِيداً  
فَلَسْتُ بِعِيدٍ لَا يَدُومُ مَهْنَةً      لَصَدْرِ مُحْيَاهُ يَدُومُ لَنَا عَيْداً

\* \* \*

شاهد التقسيم

١٢٧ - وَلَا يَقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يَرَادُ بِهِ

إِلَّا الْأَذْلَافَ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَرْدُ

هَذَا عَلَى الْخُصْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ      وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتَقِي لَهُ أَحَدٌ

الْبَيْتَانِ مِنَ الْبَسِيطِ ، وَقَائِلُهُمَا الْمُتَمَسِّسُ مِنْ أَيْيَاتِ (١) ، وَهِيَ :

(٢) إِنَّ الْهُوَانَ حَمَارُ الْأَهْلِ يَعْرِفُهُ      وَالْحَرْ يَنْكُرُهُ وَالرَّسَلَةُ الْأَجْدُ (٢)

(٣) كُونُوا كَسَامَةً إِذْ ضُنْكَ مَنَازِلُهُ      إِذْ قِيلَ جَيْشٌ وَجَيْشٌ حَافِظٌ عَتْدُ (٣)

(٤) شَدَّ الْمَطِيَّةَ بِالْأَنْسَاعِ فَانْحَرَفَتْ      عَرَضَ التَّنَوُّفَةِ حَتَّى مَسَّهَا النَّجْدُ (٤)

كُونُوا كَبْكُرَ كَمَا قَدْ كَانَ أَوْلَكُمْ      وَلَا تَكُونُوا كَعَبْدِ الْقَيْسِ إِذْ قَعْدُوا

يُعْطُونَ مَاسَلُوا وَالْبَحْرُ مُحْتَدُهُمْ      كَمَا أَكْبَّ عَلَى ذِي بَطْنِهِ الْفَهْدُ (٥)

- (١) اقْرَأْ هَذِهِ الْأَيْيَاتَ مَعَ أَيْيَاتٍ أُخْرَى فِي شِعْرَاءِ النَّصْرَانِيَّةِ (٣٤٣) .  
(٢) فِي شِعْرَاءِ النَّصْرَانِيَّةِ « حَمَارُ الْقَوْمِ يَعْرِفُهُ » وَمَعْنَى يَعْرِفُهُ : يَصْبِرُ لَهُ وَيَقْبَلُهُ . وَالرَّسَلَةُ : النَّاقَةُ السَّهْلَةُ السَّيْرُ ، وَالْأَجْدُ : الْمُوثَقَةُ الْخَلْقُ مِنَ النَّوْقِ .  
(٣) فِي الْمَرْجِعِ الْمَذْكُورِ « إِذْ شَعَفَ مَنَازِلَهُ » وَفِيهِ « وَجَيْشٌ حَافِظٌ رَصْدٌ » .

- (٤) الْأَنْسَاعُ : جَمْعُ نَسْعٍ ، وَهُوَ مَا يَشُدُّ بِهِ رَحْلَ الْبَعِيرِ ، وَانْحَرَفَتْ : أَمْرَعَتْ فِي سِيرِهَا . وَالتَّنَوُّفَةُ : الْفَلَاةُ ، وَالنَّجْدُ : الْعَرَقُ وَالْكَرْبُ .  
(٥) فِي الْمَرْجِعِ الْمَذْكُورِ « وَالْخَطُّ مَنْزِلُهُمْ » مَكَانُ « وَالْبَحْرُ مُحْتَدُهُمْ » وَالْخَطُّ : مَرْفَأٌ تَنْسَبُ إِلَيْهِ الرِّمَاحُ فَيُقَالُ لَهَا : الْخَطِيَّةُ ، وَهُوَ مِنْ مَنَازِلِ عَبْدِ الْقَيْسِ .

وبعد البيتان ، وبعدهما قوله :

وفي البلاد إذا ما خِفَتْ شائِرة مشهورة عن ولاة السوء تنتقد<sup>(١)</sup>  
والضيم : الظلم ، والعير ، بفتح الميملة : الحمار ، وغلب على الوحشى ،  
والمناسب هنا : الأهل ، والخسْفُ : النقيصة ، والاذلال : تحميل الانسان  
ما يكره ، وحبس الدابة بلا علف ، والرمة — بضم الراء ، وتكسر — قطعة  
من جبل ، والشج : الكسر والدق ، والاستثناء في « إلا الاذلان » استثناء مفرغ  
وقد أسند إليه فعل الإقامة في الظاهر ، وإن كان مسندا في الحقيقة إلى  
العام المحذوف .

والشاهد فيهما : التقسيم ، وهو : ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكل إلى على  
التعيين ، فانه ذكر العير والوتد ، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف ،  
وإلى الثاني الشج ، على التعيين

ومما ورد في التقسيم قول زهير بن أبي سلمى السابق في شواهد الإيجاز  
والاطناب [ من الطويل ] :

من أمثلة  
التقسيم

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عَمِي  
وقد نقل أبو نؤاس هذا التقسيم من الجدي إلى الهزل فقال [ من المنسرح ] :  
أمرُ غدٍ أنتَ منه في لبسٍ وأمس قد فات فله عن أمس  
وإعما الشأنُ شأنُ يومك ذا فباكرِ الشمسِ بابنةِ الشمسِ  
وقد نقله بعضهم أيضا ، فقال [ من الطويل ] :

تمتع من الدنيا بساعتك التي ظفرت بها مالم تَعْقُكَ العوائقُ

(١) في المرجع المذكور :

وفي البلاد إذا ما خفت شائرة مشهورة عن ولاة السوء مبتعد



فلا يومك الماضي عليك بعائدٍ ولا يومك الآتي به أنت واثقٌ  
ومن التقسيم قول بشار بن برد [من الطويل] :  
وزاحوا فريقاً في الأسار، ومثله قَتِيلٌ، ومثلٌ لاذ بالبحر هاربٌ به  
ومثله قول الصفي الحلبي [من البسيط] :  
أفنى جيوش المداغز وأفلست ترى سوى قتيلٍ ومأسورٍ ومنهزمٍ  
وهو مأخوذ من قول عمر بن الأيهم [من الخفيف] :  
اشربا ما شربتما فهدَّيلٌ من قتيلٍ أو هاربٍ أو أسيرٍ  
ومنه ، وزعم قومٌ أنه أفضل بيت وقع فيه تقسيم ، قول نصيب  
[من الطويل] :

فقال فريقُ القوم : لا ، وفريقُ أمين الله ما ندري  
وزعم أبو العيناء أن خير تقسيم قول عمر بن أبي ربيعة [من الطويل] :  
نهيهم إلى نعم فلا الشملُ جامعٌ ولا الحبلُ موصولٌ ، ولا القلبُ مُقَصَّرٌ  
ولا قربٌ نعم إن دنت لك نافعٌ ولا نأبها يُسَلِّي ولا أنت تصبرُ  
واختار آخرون قول الحاركي ، وقالوا : إنه أفضل [من الطويل] :  
فلا كمدى يفتى ولا لك رقةٌ ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مطمعٌ  
وبديع قول الأمير السلمي [من الطويل] :

وصلت فلما أن ملككتُ حشاشتي هجرت فجِدَ وأرحم فقدمسني الضرُّ  
فليت الذي قد كان لي منك لم يكن وليتك لا وصلٌ لديك ولا هجرٌ  
فلا عبرتي ترقاً ولا فيك رقةٌ ولا منك إلمامٌ ولا عنك لي صبرٌ  
وقد ألم بنحو هذا التقسيم الشهابُ محمود حيث قال [من المتقارب] :

وإني لفي نظري نحوها وقد ودَّ عتني قبيلَ الفراقِ  
ولا صبرَ لي فأطبقَ الهوى ولا طمعٌ إن نأت في اللحاقِ

ولا أملٌ يرتجى في الرجوع      ولا حكم في ردّ تلك النياقِ  
كمضنّى يودّع رُوحاً غدت      يراها على رغبه في السياقِ  
ومن مليح التفسير قول داود بن مسلم [من السريع] :  
في باعه طولٌ ، وفي وجهه نورٌ ، وفي العرين منه شممٌ  
وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر وكان معجباً بقول العباس  
ابن الأحنف [ من الطويل ] :

وصالكم صرمٌ ، وجبكم قِلاءٌ ،      وعطفكم صدةٌ ، وسلمكم حربٌ  
ويقول : أحسن والله فيما قسم حيث جعل حيال كل شيء ضده ، والله إن  
هذا التقسيم لأحسن من تقسيمات إقليدس .

ومن جيد التقسيم قول أبي تمام [ من الطويل ] :  
فما هو إلاّ الوحي أوحى مرهفٍ      تميلُ ظبَاهُ الحدَّ عن كل مائلٍ  
فهذا دواء الداء من كل عالم      وهذا دواء الداء من كل جاهلٍ  
وذكر الجاحظ أن قتيبة بن مسلم لما قدم خراسان خطب الناس ، فقال :  
من كان في يده من مال عبد الله بن حازم شيء فلينبذه ، وإن كان في فمه فليلفظه ،  
وإن كان في صدره فلينفثه ، قال : فعجب الناس من حسن ما فصل وقسم .  
ووقف أعرابي على حلقة الحسن ، فقال : رحم الله من تصدق من سعة ، أو  
واسى من كفاف ، أو آثر من قوت .

ولقد أجاد ابن حيّوس في التقسيم بقوله [ من الطويل ] :  
ثمانية لم تفترق منذ جمعها      فلا افتترقت ماذبٌ عن ناظرٍ شفرٍ  
ضاميرك والتقوى ، وكفك والندی ،      وانظك والمعنى ، وسينك والنصر  
وما أحسن قول أبي ربيعة المخزومي <sup>(١)</sup> [ من الطويل ] :  
وهبها كشيء لم يكن أو كنازح      عن الدار أو من غيبته المقابر

وعجيبٌ هنا قول أبي تمام في مجوسى أحرقت النار [من الكامل] :

صَلَّى لَهَا حَيًّا ، وَكَانَ وَقُودُهَا مَيْتًا ، وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْفَجَّارِ

وما أعذب قول الشيخ شرف الدين بن الفارض [من الطويل] :

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بَوَصْفِهَا خَيْرٌ ، أَجَلٌ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ  
صَفَاءِ وَلَا مَاءٍ وَلُطْفٌ وَلَا هَوًى وَنُورٌ وَلَا نَارٌ ، وَرُوحٌ وَلَا جِسْمٌ

وقول محمد بن دراج القسطلى وأجاد [من الطويل] :

عَطَاءٌ بِلَا مَنْ ، وَحُكْمٌ بِلَا هَوًى وَمَلِكٌ بِلَا كِبَرٍ ، وَعِزٌّ بِلَا عَجَبٍ

وقول الآخر أيضاً [من الطويل] :

بَنَى جَعْفَرٌ أَنْتُمْ سَمَاءَ رِيَاسَةٍ مُنَاقِمَكُمْ فِي أَقْفِهَا أَنْجَمٌ زَهْرٌ  
طَرِيقَتَكُمْ مِثْلِي ، وَهَدْيَكُمْ رَضَى وَمَذْهَبَكُمْ قَصْدٌ ، وَنَائِلَكُمْ غَمْرٌ  
عَطَاءٌ وَلَا مَنْ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوًى ، وَحِلْمٌ وَلَا عِجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرٌ

وبديع قول بعضهم أيضاً [من البسيط] :

قَوْسٌ وَلَا وَتَرٌ ، سَهْمٌ وَلَا قَوْدٌ عَيْنٌ وَلَا نَظَرٌ ، نَحْلٌ وَلَا عَسَلٌ

وقول بعضهم أيضاً [من الطويل] :

تَسْرُبُ لَ وَشَيْءٌ مِنْ خَزْوَازٍ تَطَرَّرَتْ مَطَارِفُهَا طَرَزًا مِنَ الْبَرْقِ كَالْتَبَرِ

فَوْشَى بِلَا رَقْمٍ ، وَرَقْمٌ بِلَا يَدٍ ، وَدَمْعٌ بِلَا عَيْنٍ ، وَضَحْكٌ بِلَا ثَغْرِ

وقول الرستمي [من الطويل] :

فَتَى حَازَرَ قَ الْمَجْدِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَيْهِ وَخَلَّى كَاهِلَ الشُّكْرِ ذَا ثَقُلِ

بِعَقْوٍ بِلَا كَدٍ ، وَصَفْوٍ بِلَا قَدْنِي وَنَقْدٍ بِلَا وَعْدٍ ، وَوَعْدٍ بِلَا مَطْلٍ

وما أشرف قول ابن شرف [من الطويل] :

لِخْتَلَقِ الْحَاجَاتِ جَمْعٌ بِيَابِهِ فَهَذَا لَهُ فَنٌ وَهَذَا لَهُ فَنٌ

فَلِلْخَامِلِ الْعُلِيَاءِ ، وَلِلْمَعْدِمِ الْغَنَى وَلِلْمَذْنَبِ الْعَتِي ، وَلِلْخَائِفِ الْأَمْنُ

وقول بعضهم أيضاً [ من الكامل ] :

نرجو سؤلوا في رسومِ بَيْنِهَا الْأَغْصَانُ سَكْرَى وَالْحَمَامُ مُتَمِيمٌ  
هَذِي تَمِيلُ إِذَا تَنَسَّمَتِ الصَّبَا وَالْوَرَقُ تَذْكُرُ شَجْوَهَا فَنَرْتَمُ

ولا بن جابر الأندلسي [ من المتقارب ] :

لَقَدْ عَطَفْتَنِي عَلَى حَبِيبِهَا بِوَجْهِ تَبَدَّى عَلَى عَطْفِهِ  
فَهَذَا هُوَ الْبَدْرُ فِي أَفْتِهِ وَهَذَا هُوَ الْغُصْنُ فِي حَتْفِهِ

ولأبي الحسين الجزار [ من الوافر ] :

وَزِيرٌ مَا تَقَلَّدَ قَطُّ وَزَرًا وَلَا دَانَاهُ فِي مَثْوَى أَنَامٍ  
وَجُلٌّ فِعَالِهِ صَادَاتُ بَرٍّ صِلَاتٌ أَوْ صِلَاةٌ أَوْ صِيَامٌ

ولشيخ شيوخ حجة [ من المتقارب ] :

لَنَا مَلِكٌ وَاجِدٌ مَا اشْتَهَى وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ مِثْلَهُ  
مَلَاذَى بِهِ وَمَثَوَى لَدَيْهِ وَمَيْلَى إِلَيْهِ وَمَدْحَى لَهُ

ومثله قول بعضهم مجوناً [ من الخفيف ] :

وَبَدِيعُ الْجَمَالِ مُعْتَدِلُ الْقَا مَةِ كَالْغُصْنِ حَنِّ قَلْبِي إِلَيْهِ  
أَشْتَهَى أَنْ يَكُونَ عِنْدِي وَفِي بَيْتِي وَبَعْضِي فِيهِ وَكُلِّي عَلَيْهِ

ومن المضحك فيه قول السراج الوراق [ من مجزوء الوافر ] :

رَأَتْ حَالِي وَقَدْ حَالَتْ وَقَدْ غَالِ الصَّبَا فَوَتْ  
فَقَالَتْ إِذْ تَشَاجَرْنَا وَلَمْ يُخَفِّضْ لَنَا صَوْتُ  
أَشِيخٍ مَفْلَسٌ يَهُوَى وَيَمُشِّقُ فَاتَكَ الْفَوْتُ  
فَلَا خَيْرٌ وَلَا مِيرٌ وَلَا إِيْرٌ فَذَا مَوْتُ

ولطيف قول بعضهم [ من الطويل ] :

وفي أربع مَنى حَلَّتْ مِنْكَ أَرْبَعٌ      فما مِنْهُ أَدْرَى أَيُّهَا هَاجَ لِي كَرْبِي  
أَوْجْهِكَ فِي عَيْنِي أَمْ الرِّيقُ فِي فَمِي      أَمْ النُّطْقُ فِي سَمْعِي أَمْ الْحُبُّ فِي قَلْبِي  
وقد سمع يعقوب بن إسحاق الكندي هذا فقال : هو تقسيم فلسفي  
وقد أخذه الحمانى العلوى فجعله خمسة فقال [ من الطويل ] :

وفي خمسة مَنى حَلَّتْ مِنْكَ خَمْسَةٌ      فَرِيقَكَ مِنْهَا فِي طَيْبِ الرَّشَفِ  
وَوَجْهَكَ فِي عَيْنِي وَلَمْسَكَ فِي يَدِي      وَنُطْقَكَ فِي سَمْعِي وَعَرَفَكَ فِي أَنْفِي  
والمتملس (١) اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعي (٢) ، وهو أحد الثلاثة  
المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر على أنه أشعرهم ، وهم المتملس ، والمسيب بن علس  
وحصين بن الحمام ، ولقب بالمتملس لقوله [ من الطويل ] :

ترجمة المتملس

وذاك أَوَانُ الْعَرِضِ طَنْ ذَبَابُهُ      زَنَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمَتَمَلِّسُ (٣)  
وكان هو وطرفة بن العبد يتنادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان  
سوء الخلق شديده ، وكان قد حرق من تميم مائة رجل فهِجَّوه وكان مما هجاه به  
المتملس قوله [ من الكامل ] :

إِنْ الْخِيَانَةَ وَالْمَغَالَةَ وَالْخَنَا      وَالْغَدْرَ نَتْرُكُهُ بِلَدَةِ مُقْسِدٍ (٤)

(١) تجدد للمتملس ترجمة في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٨٥—٨٨) وفي  
الأغانى (٢١: ١٢٠—١٣٧) وفي شعراء النصرانية (٣٣٠)

(٢) في الأصول « الضبعي » وهو تحريف ما أثبتناه ، وهو أحد  
بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار

(٣) العرض : الوادى . وروى « جن ذبابه » وروى « حن ذبابه » وعنى  
بالأزرق المتملس الذباب الأخضر ، وأصله من قولهم : تلمس فلان الحاجة ، إذا  
طلبها سرا ، وكانه يبحث عنها بيده فيمنسها

(٤) في الأصول « إن الخيانة والمقالة » وهو تحريف ما أثبتناه ، والمقالة -  
بالعين المعجمة - الغيلة ، وهى القتل خفية

ملكٌ يلاعبُ أمهُ وقَطيعُها. رَخْوُ المفاصلِ بطنُهُ كالزُّودِ  
 فاذا حَلَّتْ فَدُونَ بيتي نَمارةٌ فأبرُقُ بأَرْضِكَ ما بَدالكِ وأَرَعِدِ (١)

وهجاء طرفه بما تقدم في ترجمته في شاهد التكميل ، فاستحيا أن يقتلها  
 بحضرتها و بينه وبينهما إدلال المنادمة ، فكتب لهما صحيفتين وختمها لثلا  
 يعلم ما فيهما ، وهو أول من ختم الكتاب ، وقال لهما : اذهبا إلى عاملي بالبحرين  
 فقد أمرته أن يصلكما بالجوائز ، فذهبا فمرا في طريقهما بشيخ يُحدث ويأكل  
 من خبز بيده ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه ، فقال المتلمس : ما رأيت شيئا  
 كالتيوم أحق من هذا ، فقال الشيخ : ما رأيت من حمقى ، أخرج الداء ، وأدخل  
 الدواء ، وأقتل الأعداء ، ويروى : أطرح خبيثا ، وأدخل طيبا ، وأقتل عدوا ،  
 أحمق والله مني من يحمل ختفه بيده ، فاستراب المتلمس بقوله ، فطلع عليهما  
 غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب ، فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام ؟ قال :  
 نعم ، فك حينئذ الصحيفة فاذا فيها « إذا أتاكَ المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه  
 حيا » فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك فإن فيها مثل هذا ، فقال طرفه : كلام  
 يكن لي جتري على ، وكان غرا صغير السن ، فقذف المتلمس بصحيفته في نهر  
 الحيرة وقال [ من الطويل ] :

قَدَفْتُ بِهَا بِالنَّيِّ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَقْنَى كُلِّ قِطْرٍ مُضَلِّلٍ (٢)

(١) وقع في شعراء النصرانية ( فدون بيتي غاوة ) بالواو ، وفسرها بأنها  
 قرية قرب حلب .

(٢) النتي : منعطف النهر ، وكافر : اسم لنهر الحيرة ، وأقنى - بضم همزة  
 المضارعة - بمعنى أحفظ ، والقط - بكسر القاف - الكتاب ، وكأنه يقول :  
 لا أحفظ الكتاب الذي يضللني إلا بقذفه في النهر ، ويروى « أقنو » بفتح  
 همزة المضارعة ، وروى « كذلك ألقى »

رضيتُ بهما رأيتُ مدادها يجولُ به التيارُ في كلِّ جدولٍ

وأخذ نحو الشام وقال: (١) [من الكامل]:

ألقى الصحيفة كي يخففَ رحلهُ والزَّادَ حتى نعلهُ ألقاها

يريد أنه تخفف للفرار وألقى ما يثقل وما لا بد للسفر منه .

وأما طريقة فانه وصل إلى البحرين وقتل كما مر في ترجمته، وهلك المتلمس في الجاهلية، وقال ابن فضل الله في حقه: هو رجل نبيه الذكر، معروف بصحة الفكر، وهو الذي يضرب المثل بصحيفته، ومن شعره [من الطويل]:

ألم تر أن المرءَ رهنُ منيةٍ صريعاً لعافى الطيرِ أو سوفَ يرْمسُ  
فلا تقبلن ضيماً حذارَ منيةٍ وموتنُ بها خراً وجلدك أملسُ (٢)  
فمن حذر الأوتار ما حَزَّ أنفهُ قصيرٌ وخاض الموتَ بالسيفِ يهسُ  
وما الناس إلا ما رأوا وتحدثوا وما العجز إلا أن يضاموا فيجلسوا  
فان تقبلوا بالود تقبلُ بمنله وإلا فانا نحن آبي وأشمسُ

ومن شعره أيضاً [من الطويل]:

تعيرني أمي رجال ولا أرى أخا كرمٍ إلا بأن يشكرَ ما (٣)

(١) المعروف عند النحاة أن هذا البيت من كلام أبي مروان النحوى يقوله في قصة المتلمس .

(٢) يروى « مخافة ميتة » في مكان « حذار منية » ووقع في الأصول « وموتن بها واحيا » وهو تحريف رواية أخرى وصوا بها « واحين » أمر من الحياء مؤكد بالنون الخفيفة فيأوه مفتوحة .

(٣) في الأصول « تعيرني أمي رجلا » وهو تحريف مفسد للمعنى، فان مقصوده أن يقول: يعيرني بأبي رجال .

أَحَارِثُ إِنَّا لَوُتْسَاطُ دِمَاؤُنَا      تَزِيلُنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دِمَا<sup>(١)</sup>  
 لَذَى الْحَلَمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تَقَرَّعُ الْعَصَا      وَمَا عَلَّمُ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا  
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ      بَكَفٍّ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْدَمَا  
 يَدَاهُ أَصَابَتْ هَذِهِ حَنْفَ هَذِهِ      فَلَمْ تَجِدِ الْآخِرَى عَلَيْهَا مَقْدَمَا  
 فَاطَّرَقَ إِطْرَاقُ الشَّجَاعِ وَلَوْ يَرَى      مَسَاغًا لِنَابِيهِ الشَّجَاعُ لَصِمَمَا<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا مَا أَدِيمُ الْقَوْمِ أَنَهْجَهُ الْبِلَى      تَقَرَّى وَإِنْ كَتَبْتَهُ وَتَحْرَمَا  
 وَمَا يَتِمُّثَلُّ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ [ مِنْ الْوَافِرِ ] :

وَأَعْلَمُ عِلْمٍ حَقٍّ غَيْرَ ظَنٍّ      لَتَقْوَى اللَّهَ مِنْ خَيْرِ الْعِتَادِ  
 وَحِفْظُ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْ ضِيَاعِ      وَضَرْبُ فِي الْبِلَادِ بَغَيْرِ زَادِ  
 وَإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ      وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ<sup>(٣)</sup>  
 وَهَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ مَطْلَعُهَا :

صَبَّامٌ بَعْدَ سَلَوْتِهِ فُوَادَى      وَأَسْمَحَ لِلْقَرِينَةِ بِالْقِيَادِ  
 وَقَدْ ضَمَّنَهُ بَعْضُهُمْ فِي الْهَجَاءِ فَقَالَ [ مِنْ الْوَافِرِ ] :  
 يُحَصِّنُ زَادَهُ عَنْ كُلِّ ضِرْسٍ      وَيُعْمَلُ ضِرْسُهُ فِي كُلِّ زَادِ  
 وَلَا يَرَوِي مِنَ الْأَشْعَارِ شَيْئًا      سِوَى بَيْتٍ لَا بُرْهَةَ إِلَّا يَادَى  
 قَلِيلُ الْمَالِ تَصْلَحُهُ فَيَبْقَى      وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ

- (١) فِي الْأَصُولِ «لَوْ تَسَاقَطَ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتْنَاهُ ، وَتَسَاطَ - بِالسَّيْنِ  
 مَهْمَلَةً - أَيْ تَخَلَّطَ ، وَيَقَعُ فِي بَعْضِ الْأَمْهَاتِ «تَشَاطَ» بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةً - وَمَعْنَاهُ  
 تَهْدَرُ ، وَتَزِيلُنَ : أَيْ تَمِيزُنَ وَانْفَصَلَ دَمِي عَنْ دَمِكَ لِأَنَّ دَمَ الْمُلُوكِ لَا يَتَخَلَّطُ بِدَمِ  
 السُّوقَةِ ، وَيُرْوَى «تَزِيلُنَ» وَهِيَ بِمَعْنَى تَزِيلُنَ  
 (٢) يَرَوِي النَّحَاةُ هَذَا الْبَيْتَ «وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَابَاهُ الشَّجَاعُ لَصِمَمَا» .  
 (٣) يَرَوِي صَدْرُ هَذَا الْبَيْتِ «قَلِيلُ الْمَالِ تَصْلَحُهُ فَيَبْقَى» كَمَا سَيَقُولُ  
 الْمُؤَلِّفُ بَعْدَ .



وشرط هذا البيت رواية في شرط البيت السابق ، وأخذه ابن وكيع فقال  
[ من مجزوء الكامل ] :

مالٌ يُخْلَفُهُ الْفَتَى لِلشَّامِتِينَ مِنَ الْعِدَا  
خَيْرٌ لَهُ مِنْ قَصْدِهِ إِخْوَانُهُ مُسْتَرْفِدَا

ويقال : إن حاتم الطائي لما سمع قول المتلمس هذا قال : ماله قطع الله لسانه  
يحمل الناس على البخل والتباخل ، ألا كان يقول [ من الأول ] :

وما البذلُ يُفْنِي الْمَالَ قَبْلَ فَنَائِهِ وَلَا الْبُخْلُ فِي مَالِ الشَّحِيحِ يَزِيدُ  
فَلَا تَلْتَمِسُ فَقْرًا بَعِيشَ فَانِهِ لِكُلِّ غَدٍ رِزْقٌ يَعُودُ جَدِيدُ  
أَلَمْ تَدْرَأَنَّ الْمَالَ غَادِرٌ وَرَائِحُ وَأَنَّ الَّذِي يُعْطِيكَ لَيْسَ يَبِيدُ  
انتهى .

وقد قال البلغاء في معنى الأول : إن في إصلاح مالك جمال وجهك ، وبقاء  
عزك ، ونقاء غرضك ، وسلامة دينك ، وطيب عيشك ، وبناء مجدك ، فأصلحه  
إن أردت هذا كله ، وفي المثل « احفظ ما في الوعاء ، بشد الوكاء » يضرب في الحث  
على أخذ الأمر بالحزم ، وقيل : من أصلح ماله فقد صان الأكرمين الدين والعرض  
وقيل : التدبير يشمر التيسير ، والتبذير يبرد الكثير ، ولا جود مع تبذير ، ولا بخل  
مع اقتصاد ، والاعتدال في الجود ، أحسن من الاعتداء على الموجود ، والرزق  
مقسوم محدود ، فزرزوق ومحدود (١) والله أعلم بالوجود

\*\*\*

قد تم - بحمد الله تعالى وعونه - الجزء الثاني من « معاهد التنصيص » ويليهِ  
- إن شاء الله تعالى - الجزء الثالث ، مفتتحاً بشواهد الجمع مع التفريق ، نسأله  
- سبحانه - الإعانة على إكماله ، والتوفيق إلى إتمامه .

(١) محدود الأول من الحد بمعنى تحديد الشيء بنهاية يقف عندها  
لا يتجاوزها ، ومحدود الثاني بمعنى الذي لاحظ له ولا بحث .